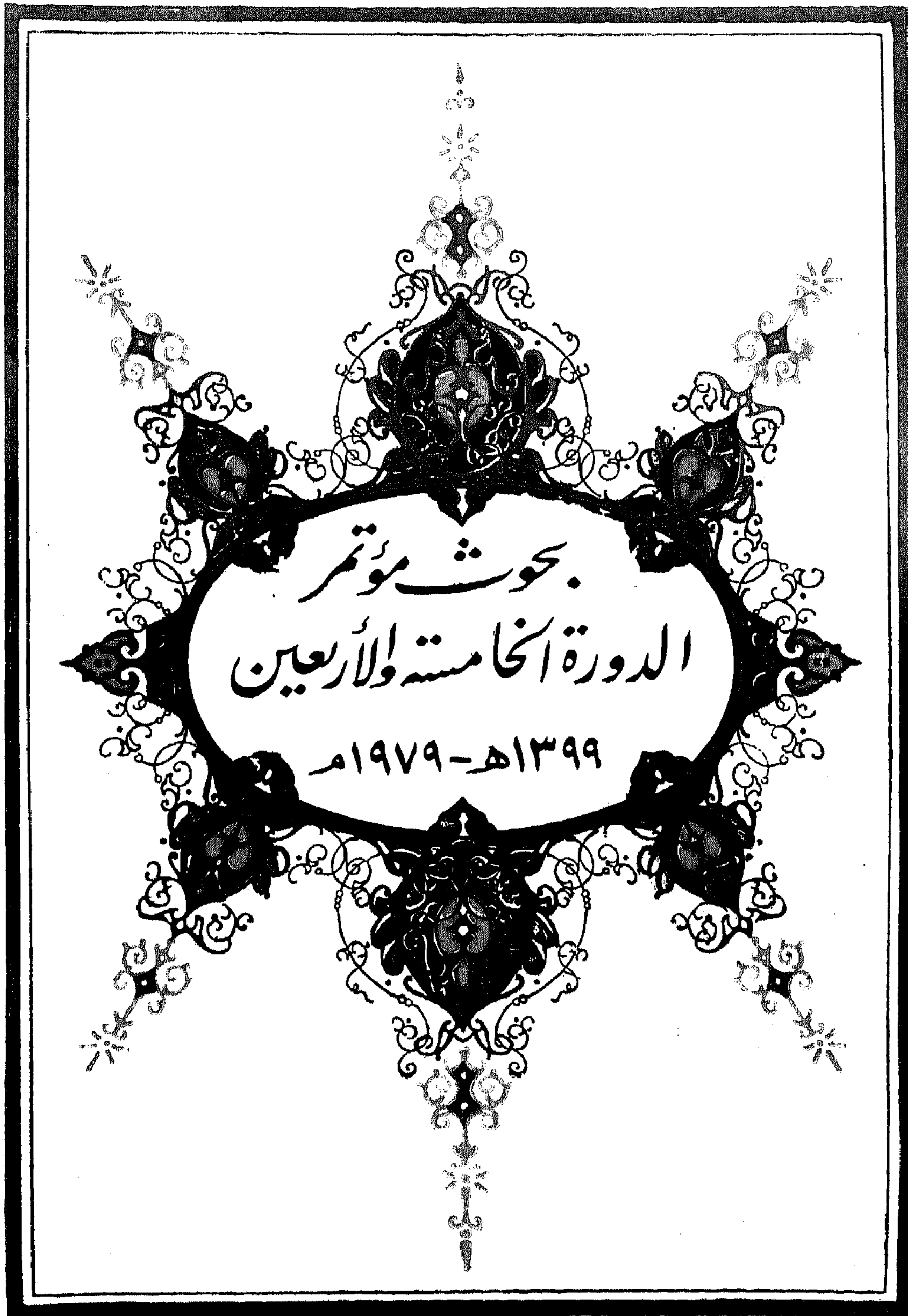


مجلة مجمع اللغة العربية



الجزء الثالث والأربعون
جمادى الآخرة ١٣٩٩هـ
مايو ١٩٧٩م



مجمع اللغة العربية
القاهرة - مصر

مجمع اللغة العربية بالقاهرة
٢٦ شارع الدكتور طه حسين
(مراد سابقا) بالجيزة

مجلة مجمع اللغة العربية

(تصدر مرتين في السنة)

الجزء الثالث والأربعون

جمادى الآخرة ١٣٩٩ هـ - مايو ١٩٧٩ م

المشرف على المجلة:

الدكتور مهدي علام

رئيس التحرير:

إبراهيم التريزى

الفهرس

تصدير :

للأستاذ ابراهيم التري

رئيس التحرير

ص ٥

● كلمة السيد الدكتور حسن اسماعيل

وزير التعليم والبحث العلمي

في افتتاح مؤتمر الدورة الخامسة والاربعين

ص ٧

● كلمة افتتاح المؤتمر

للدكتور ابراهيم مذكور

رئيس المجمع

ص ٨

● المجمع بين مؤتمرين

للدكتور مهدي علام

الأمين العام للمجمع

ص ١١

● كلمة الأعضاء العرب

للدكتور عمر فروخ

عضو المجمع من لبنان

ص ١٦

البحوث :

● قصيدة « محمد رسول الله »

للدكتور حسن ابراهيم

ص ٢٣

● فجر الاعلام في اللغة العربية

للدكتور عمر فروخ

ص ٢٩

● اللغة العربية ووسائل الاعلام

للأستاذ حسن عبد الله القرشي

ص ٤٠

● قبل يكون ... وقبل أن يكون

للأستاذ محمد عبد الغني حسن

ص ٤٥

● من كناسة النوادر

للأستاذ عبد السلام هارون

ص ٥٥

● قصيدة « لغة تجمع القلوب على الحب »

للأستاذ محمد عبد الغني حسن

ص ٦٥



- من تصريف الضمير في القرآن الكريم
للاستاذ علي النجدي ناصف
ص ٦٩
- كلمة الدكتور أحمد الحوفي
في استقبال :
الأستاذ محمد عبد الغني حسن
ص ١١٤
- اللغة العربية
في خدمة علوم الأحياء
للدكتور محمود حافظ
ص ١٩
- آخر ساجع في الشام
للاستاذ سعيد الأفغاني
ص ٩٠
- كلمة الدكتور أحمد عمار
في استقبال :
الدكتور حسن علي إبراهيم
ص ١٢٣
- اللغة العربية ووسائل الإعلام
أترجمة أم عدوى لغوية ؟
للدكتور إبراهيم السامرائي
ص ٩٩
- كلمة الدكتور حسن علي إبراهيم
ص ١٢٧
- تحية الشعر للعضوين الجديدين
للاستاذ عبد الله بن محمد بن خميس
ص ١٣٢
- كلمة الدكتور إبراهيم مذكور
في استقبال :
الأستاذ محمد عبد الغني حسن
والدكتور حسن علي إبراهيم
ص ١٠٣
- كلمة الدكتور سليمان حزين
في استقبال :
ص ١٣٣

شخصيات مجمعية :



-
- كلمة الشعر
للدكتور ابراهيم أدهم الدمرداش
ص ١٥٠
 - كلمة الأسرة لشقيق الفقيد
الأستاذ محمد عبد الشافي اللبان
ص ١٥٢
 - كلمة الدكتور ابراهيم مذكور
في تأييد المغفور له :
الدكتور عثمان أمين
ص ١٥٤
 - كلمة الدكتور سليمان حزين
ص ١٥٦
 - كلمة الأسرة لشقيق الفقيد
الأستاذ محمد عز الدين أمين
ص ١٦٠
 - كلمة الدكتور محمد محمود الصياد
في استقبال :
الدكتور سليمان حزين
ص ١٣٤
 - كلمة الدكتور سليمان حزين
ص ١٣٩
 - كلمة الدكتور ابراهيم مذكور
في تأييد المغفور له :
الأستاذ ابراهيم عبد المجيد اللبان
ص ١٤٤
 - كلمة الأستاذ عبد السلام هارون
ص ١٤٥

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

بقلم : ابراهيم الترنزي

وإن مجمع^٣ اللغة العربية في القاهرة ، بلجانه
العديدة ، وأعضائه العرب والمستعربين ،
قد حمل أمانة هذه الرسالة ، وأدّاها ،
وسيطل يؤديها ، على الوجه المنشود .

وفي كل مؤتمر يجمعى تكون كلمة الأمين
العام للمجمع - التي يلقاها في الجلسة
الافتتاحية - خير شاهد على جهود المجمع وأوجه
نشاطه اللغوى ، خلال عام ، وهى دائماً -
بحمد الله - كثيرة جليلة .

وهاهو الجزء الثالث والأربعون من مجلة
المجمع (الخاص بمؤتمر الدورة الخامسة
والأربعين) يطالعنا بكلمة للسيد وزير
التعليم والبحث العلمى والثقافة الدكتور حسن
إسماعيل ، وكلمة للدكتور إبراهيم مذكور
رئيس المجمع ، أشار فيها إلى جهود المجمع في
معالجة قضية من أخطر قضايا العربية ،
وهى قضية « تيسير النحو » كما يطالعنا
بكلمة للدكتور مهدي علام ، الأمين
العام للمجمع ، تعرض ما أنجزه المجمع في
مختلف مجالاته اللغوية ، وما حققه من صلات
ثقافية ، في مصر ، وخارج مصر ، وكلمة
الأعضاء الأشقاء العرب ، التي ناب عنهم

تبعده اللغة العربية أعظم اللغات أصالة وحيوية ،
فجذورها قد امتدت في أعماق الزمن قروناً
بعد قرون ، وهى مازالت ، وستظل ، تمتد
أصولاً وفروعاً في مختلف مجالات الحضارة
إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وهى - دون ريب - أشرف اللغات ،
وحسبها أن الله تعالى اختارها لتكون اللسان
المعبر عن ذكره الخالد الكريم .

ولغة هذا شأنها من الأصالة والحيوية
والشرف جديرة بأن تبسط أجنحتها في آفاق
الآداب والعلوم والفنون ، وتخلق بها من
مستويات إلى مستويات ، مستشرفة غايات
بعد غايات ..

وهى جديرة - كذلك - بأن تنشط لها
البحوث ، وأن ينهض بها أهلها لمسايرة
الانطلاقات الحضارية ، المعاصرة والرائدة ،
مُتَّبِعِينَ في دراساتهم أقوم المناهج ، التي
تكفل لها الصبغة والدقة ، في الاستقراء
والاستنتاج ، والتحليل والتعليل ، حتى
تستقيم أحكامها اللغوية على أقدام راسخة من
الصواب والساداد .

فيها الدكتور عمر فروخ، وهي - كما عهدنا -
معبرة عن أواصر القربى، والمشاركة في
خدمة لغتنا العربية انطلاقاً من مجمع القاهرة .
وقد تصدّت هذه الكلمة لتلك الهجمة الباغية،
المتجددة، والمسلولة، التي يشنّها دُعاة
العامية على الفصحى، وقد عاودت الظهور في
لبنان الشقيق .

وتبرز في هذا المؤتمر بحوث ثلاثة تتجه
إلى ميدان لغة الإعلام، في وسائله المتعددة
قديماً وحديثاً، وهي بحوث « فجر
الإعلام في اللغة العربية » للدكتور عمر
فروخ، و « اللغة العربية ووسائل الإعلام »
للأستاذ حسن عبد الله القرشي، و « اللغة
العربية ووسائل الإعلام : أترجمة أم
عدوى لغوية؟ » للدكتور إبراهيم السامرائي .

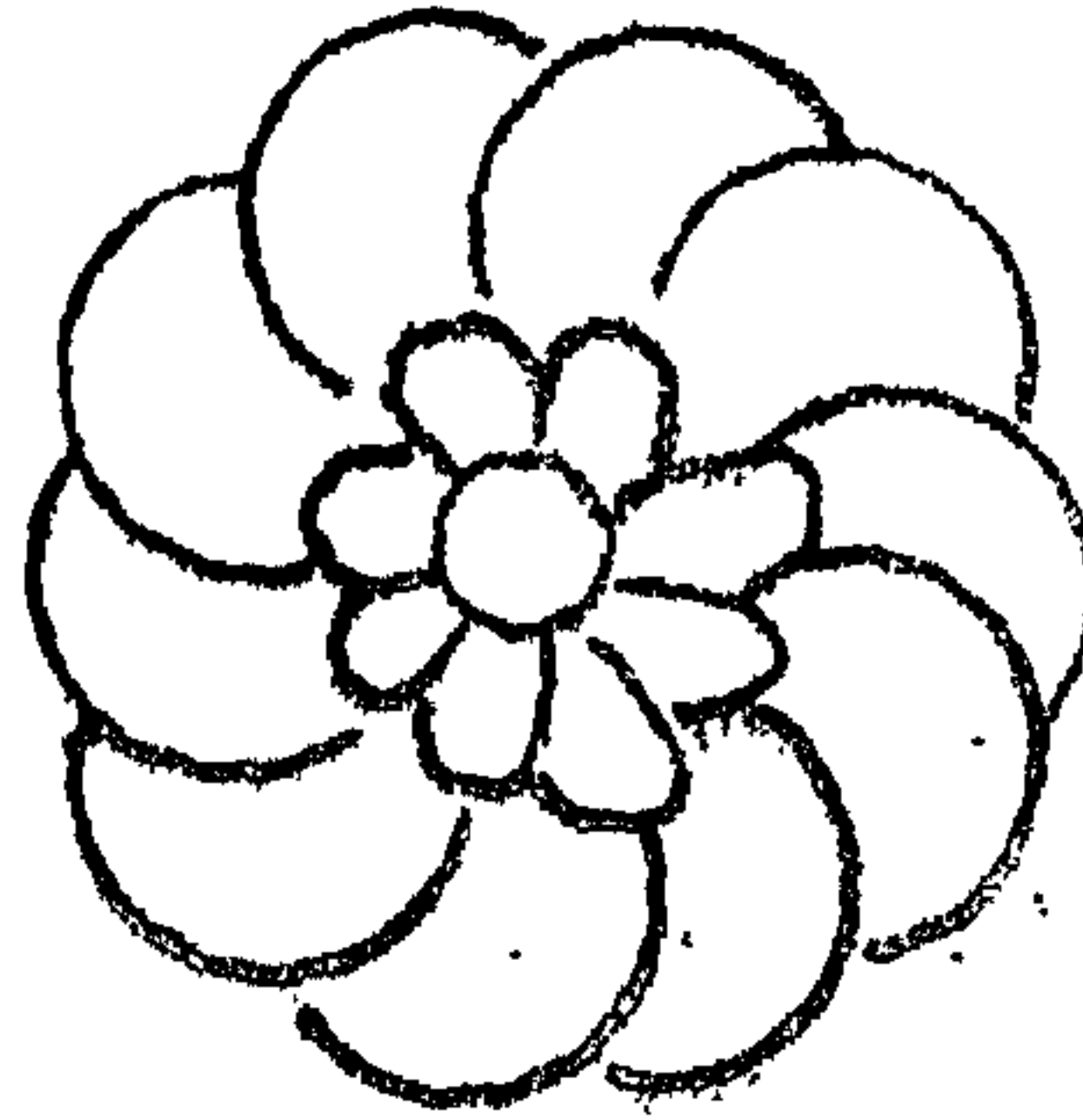
وإلى جانب هذه البحوث تمتدّ السلسلة
الذهبية، من البحوث القرآنية، التي بدأها
المرحوم صاحب الفضيلة الدكتور عبد
الرحمن تاج، فنلتقي ببحت جديد للأستاذ
علي النجدي ناصف، عنوانه « من تصريف
الضمير في القرآن الكريم » .

ونلتقي في هذا الجزء من المحلة ببحثين
لغويين آخرين، هما : « قبل يكون ..
وقبل أن يكون » للأستاذ محمد عبد الغني
حسن، و « اللغة العربية في خدمة علوم
الأحياء » للدكتور محمود حافظ .

ولاتنسى بحوث هذا المؤتمر كُتّاب العربية
الأفذاذ، فيحدثنا الأستاذ سعيد الأفغا
عن « آخر ساجع في بلاد الشام »، كما لاتنسى
ذخائر العربية النفيسة، فيعرض علينا
طُرفاً منها الأستاذ عبد السلام هارون في
بحثه « من كناشة النواذر » .

وتُطيلُ علينا إشراقات شعرية، في
قصيدة الطبيب الشاعر الدكتور حسن علي
إبراهيم : « محمد رسول الله »، وقصيدة
الأستاذ محمد عبد الغني حسن « لغة تجمع
القلوب على الحب » .

إبراهيم التريزى
رئيس التحرير



كلمة السيد الدكتور حسن سمحيل وزير تعليم والثقافة والبحث العلمي

في افتتاح مؤتمر الدورة الخامسة والأربعين

المعاجم اللغوية ، التي يعدها مجتمعكم كل عام ..
يتابع - أيضا - ويلاحق الركب العلمي المعاصر ،
بمستحدثاته ومخترعاته . . . وهو - قبل هذا
وبعده - يسير بنا خطوات ونخطوات . . نحو
غاية المنشودة . . وهي توحيد المصطلح العلمي
العربي ، الذي يعد الأساس الأول لتعريب
التعليم الجامعي . . وذلك هدف تتطلع إليه
الأمة العربية ذات الماضي الحضاري العريق .

الأستاذ الحليل رئيس المجمع :

الأساتذة الأعضاء الأجلاء :

إن مؤتمركم حين يؤدي هذه الرسالة الهامة
للغتنا العظيمة الخالدة . . لهُ مؤتمر جدير بكل
إشادة وتقدير .

وإنكم ببحوثكم الوافية الشافية لقضايا
اللغة العربية ، وبالقرارات التي تصدرونها
تيسيرا على الكاتبين والقارئ ، وتوسعة
عليهم . . وبما تعدونه من المصطلحات في
مختلف العلوم والفنون . . إنكم بكل هذا
زادة وقادة لمسيرة اللغة العربية ، ولسوف
تستعيد بكم ما كان لها من مكانة علمية سامية .
تحية لكم أيها السادة ، ودعاء خالصا
لمؤتمركم بالنجاح والتوفيق .
والسلام عليكم ورحمة الله .

الأستاذ الحليل رئيس مجمع اللغة العربية :

الأساتذة الأجلاء أعضاء المجمع :

إنه لشرف عظيم لي أن أفتتح مؤتمركم
المجمعي : مؤتمر الخالدين من أعلام اللغة
والأدب والعلم ، في عالمنا العربي .
وإذا كان مجتمعكم مجمع الأمة العربية
كلها . . فإن مؤتمركم يتجاوز آفاقنا العربية
إلى سائر الآفاق . . بأعضائه المراسلين ،
الذين يمثلون أكثر بلدان العالم المتحضر .

وإن مؤتمركم بانعقاده الدوري السنوي
يتصدى - دائما - لقضايا اللغة العربية
ومشكلاتها في عصرنا الحديث . . ويتابعها
ويلاحقها . بهذه البحوث التي يعدها أعضاء
المؤتمر ، وبما تقوم به لجان المجمع اللغوية
من دراسات ، وما تصدره من قرارات . .
لعلاج هذه المشكلات والقضايا . . فأنتم أطباء
اللغة ، تفحصون أدواءها ، وتضعون لها دواءها . .
فإذا باللغة تشفى على أيديكم مما قد يصيبها من
علل ، أو يعثر بها من ضعف . . وإذا بها تنهض
وافرة الصحة والسلامة والعافية . لتؤدي رسالتها
الخالدة في كل مجالات الأدب والعلم والفن .
وهذا المؤتمر الدوري السنوي حين ينظر
مئات المصطلحات العلمية والفنية ، ومواد

(*) ألقيت هذه الكلمة في حفل افتتاح مؤتمر الدورة الخامسة والأربعين .

كلمة افتتاح المؤتمر للأستاذ إبراهيم بكر عيسى المجمع

بسم الله الرحمن الرحيم

سيداتي ، سادتي :

إنى لأشكر باسمي واسم السادة الزملاء جميعا السيد وزير التعليم والثقافة والبحث العلمى على كلمته الطيبة ، وأشاركه تمام المشاركة فى الترحيب بضيوفنا الكرام أعضاء المجمع العاملين والمراسلين . وقد لى دعوتنا مشكورا جمع منهم نعتز به ونعول عليه ، ولم يتخلف إلا من قعدت به ظروف خاصة .

سيداتي ، سادتي :

يشتمل برنامج مؤتمرا هذا على ثمار جهود مجعنا فى عام كامل ، منذ المؤتمر الأخير إلى اليوم ، وسيتون زميلى الدكتور مهدى علام الأمين العام للمجمع إعطاء فكرة واضحة عنها . وأود أن أقف قليلا عند نقطة واحدة من قضايا هذا المؤتمر ، وهى فى الواقع قضية قديمة نوعا ، عنت بها وزارة المعارف المصرية منذ خمسين سنة تقريبا ، وكان على رأسها المرحوم بهى الدين بركات الذى كون لجنة من كبار رجال اللغة العربية بالوزارة ، ومن بعض كبار أساتذة الأدب واللغة فى كلية الآداب بجامعة القاهرة ، وطلب إليها أن تعالج مشكلة تيسير القواعد النحوية والصرفية والبلاغية . وقد أثرت هذه المشكلة من قبل ، وقدمت لها

حلول ، من أخصها كتاب «قواعد اللغة العربية» لحفنى ناصف ، وكتاب «النحو الواضح» لعلى الحارم . ولكنها لم تعالج رسميا إلا على أيدي بهى الدين بركات ، وانتهت اللجنة التى كونها إلى مقترحات كانت محل أخذ ورد .

وفى عام ١٩٤٢ رأت وزارة المعارف أن تحيل هذه المقترحات إلى مجمع اللغة العربية ، وعهدت إليه أن يدرس ما من شأنه أن ييسر قواعد النحو والصرف على الناشئة ، وفى العام نفسه ألفت المجمع لأول مرة «لجنة الأصول» ، ووكل إليها دراسة الموضوع برمته ، وقضت فى درسه نحو عامين ، ووقفت على كل ما أثر حوله من بحوث . وفى عام ١٩٤٥ خصص مؤتمر المجمع عدة جلسات لدراسة هذا الموضوع ، وأخذ بمعظم ما ذهبت إليه لجنة وزارة المعارف من مقترحات . وأشار خاصة إلى ضرورة أخذ معلمى اللغة العربية بهذه المقترحات ، وإيمانهم بها ، وتدريبهم عليها . وطلب إلى الوزارة وضع كتب على أساسها ، وأبدى استعدادا تاما لمراجعة هذه الكتب وتدارك ما قد ينقصها ، وتحمل قدر من مسؤولياتها . ولم تستجب الوزارة لهذه الرغبة ، برغم متابعة المجمع لها وإلحافه فى السؤال عنها .

(*) أقيمت هذه الكلمة فى حفل افتتاح مؤتمر الدورة الخامسة والأربعين .

وبقى مشروع التيسير في مرقده ، ولم يبعث إلا عام ١٩٦١ إبان الوحدة بين سوريا ومصر ، ويظهر أنه بعث على عجل ، فلم تعرض كتبه على الجمعيتين ، ولم يهيا معلم اللغة العربية للاقتناع به . وربما يكون قد مسه لفحة من لفحات السياسة في جو الوحدة الذي أشرنا إليه ، وما أقسى اللفحات السياسية بوجه عام . وبذا قضى على هذا المشروع في مهده . ولكن الجمعيتين لم يغفلوه ، ومضت لجنة الأصول بمجمع القاهرة في طريقها منذ أنشئت ، محاولة تيسير ما ترى ضرورة تيسيره من قواعد اللغة وأصولها ، وانتهت في ذلك إلى قرارات يعتمد بها . وفي عام ١٩٧٦ نظم اتحاد المحام ندوة بالجزائر حول « تعليم النحو العربي » ، وأجتمعت فيها الجمع الثلاث القائمة حين ذاك على ضرورة هذا التيسير ، ورسمت قدرا من مخطوطه . وفي نوفمبر الماضي عقد اتحاد المحام ندوة أخرى بعمان دارت حول « تعليم اللغة في ربع القرن الأخير » ، وقدمت فيها دراسات ممتعة انصببت على معظم البلاد العربية ، وانتهت إلى توصيات تدعو إلى التوسع في إعداد معلم اللغة العربية لإعدادا علميا وفنيا يمكنه من تحقيق النهضة اللغوية المنشودة .

وطوال العامين الأخيرين وقفت لجنة الأصول بمجمعنا معظم جهودها على مشكلة تيسير تعليم اللغة العربية على الناشئين . وانتهت إلى مشروع أقره مجلس المجمع أخيرا ، وهو الآن تحت أنظار المؤتمر .

ودون أن أدخل في تفاصيله أحب أن أشير إلى أمرين هامين : أولهما أنه جاء في حينه ، وثانيهما أنه رسم للتيسير خطوطا عملية محددة وواضحة . أقول إنه جاء في حينه ، لأن مشكلة تيسير تعليم اللغة العربية تشغل اليوم المجلس القومي للتعليم ووزارة التعليم نفسها في آن واحد ، وفي كل منهما لجنة متخصصة تقلب الموضوع على مختلف وجوهه ، وأقول أيضا إن في المشروع المعروض على المؤتمر مادة صالحة لوضع كتب النحو الملائمة ، رأى كبير في أن تنمى منها اللجان المعنية الفائدة المرجوة .

سيادتي ، سادتي :

لقد قيل وبحق : « إن علم النحو أثر رائع من آثار النقل العربي لما فيه من دقة في الملاحظة ، ونشاط في جميع ما تفرق ، وهو بهذا يحمل المتأمل فيه على تقديره ، وبحق العرب أن يباهوا به » . ولا أظن أن نحوا في لغة ما ، قديمة أو حديثة ، صادف من العناية ما صادفه النحو العربي ، نشأ في أخريات القرن الأول الهجري ، وبقي يندو ويتكون في القرون التالية . فعميق بحثه وتعقدت مدارسه ، وأفاد من الدراسات الإسلامية المعاصرة ، نقاية كانت أو عقلية . ففيه أدب ولغة ، ومنطق وفلسفة ، ولحات من مناهج الفقهاء وآراء المتكلمين . ويمكن أن يقال إن دراسة علوم العربية ، فيما بين القرنين السادس والثالث عشر للهجرة لتكاد تقتصر عليه وحسبه ، وكان حظها من التعلم

والتعليم فوق حفظ الدراسات الإسلامية
الأخرى . والمجديون حريصون دون نزاع
على حماية أصوله والاستمسك بمبادئه ،
ويشجعون ما استطاعوا كل دراسة جادة
وأصيلة تدور حوله .

بيد أن هذا النحو في سعته وعمقه إن لاعم
الخاصة ، فإنه لا يلائم العامة بحال ، وقد
انقضى زمن أرسطراطية العلم والتعلم ،
وأصبحنا نوؤمن ونسعى جميعا إلى ديمقراطية
التعليم وشعبيته . وباسم هذه الديمقراطية
ندعو إلى تيسير تعليم العربية ، والوقوف عند
أضيق الحدود الممكنة فيما يقدم للناشئين من
قواعدها . وهذا هو الاتجاه السائد في تعليم
اللغات العالمية الكبرى ، ولن يحول هذا
دون أن يتوسع المختصون في دراسة النحو
العربي والتعمق فيه . واللغة نطق وتعبر ،
حديث واستعمال ، كتابة وقراءة ، ومن أحسن
ذلك قبل أن تجسول بخاطره قاعدة نحوية
أو صرفية . ونحن نريد للعربية السهلة السليمة
أن تكون لغة أبناء العربية جميعا ، في البيت
والمدرسة ، في الحقل والمصنع ، في الديوان
والمكتب . فلنيسرها لهم ، ولنحبها إلى

قلوبهم ، ورب درس في القراءة والمطالعة أو في
المحفوظات والمحادثة يكون أجدي على صغار
التلاميذ من ساعات تنفق في شرح قاعدة
نحوية أو صرفية غامضة ، لا يلبث التلاميذ
أن ينسوها بعد أن عرفوها .

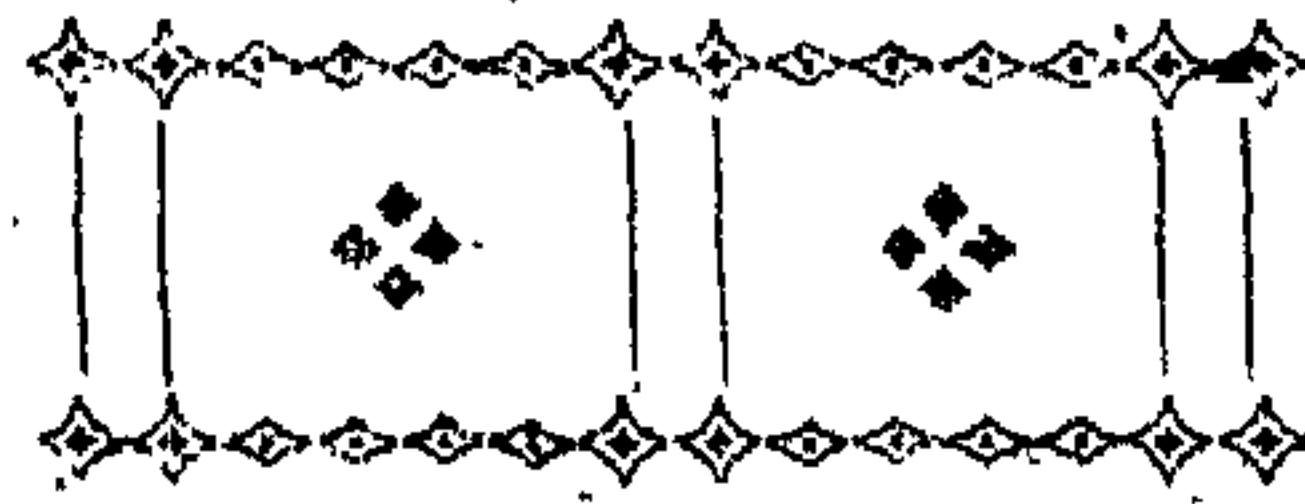
أيها السادة

هذه هي إحدى مشكلات تعليم اللغة العربية
وتيسيرها ، ونحن نريد لها أن تحتل عن
جدارة مكانتها بين اللغات العالمية الكبرى ،
وهناك اتجاه ملحوظ في العالم الناهض نحو
تعليمها ، وفي تيسيرها ما يعين على نشرها ،
فسيردا في طريقكم ، والله يوفقكم .
ولا يفوتني أن أبعث باسمكم إلى السيد الأمين
العام للجامعة العربية خالص الشكر على
تفضله بوضع هذه القاعة الفخمة تحت تصرفنا
في جلسة الافتتاح هذه ، وستكون جلساتنا
التالية في دارنا ، والكافة الآن للسيد الزميل
الدكتور مهدي علام الأمين العام للمجمع .

والسلام عليكم ورحمة الله .

ابراهيم مدكور

رئيس المجمع



الجمع بين مؤتمري الدكتور ممدوح الأسدي والجمع

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد وزير التعليم والثقافة والبحث العلمي .

السيد رئيس الجمع .

السادة الزملاء أعضاء المؤتمر .

سيداتى وسادتى .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

وبعد ، فإن هذا المؤتمر المجمعى الذى نعقد

كل عام ، هو عكاظ العصر الحديث للغتنا

العريقة ، التى تمتاز بأنها عاصرت نحو

عشرين قرنا من الزمان ، وهى فى أصولها

متحدة منسابة نفهم منها اليوم بمثل ماكان

يفهم أهلها قديما - فيما عدا الألفاظ التى

يستحدثها كل عصر .

ولا كذلك زميلاتها فى القدم كاللاتينية

واليونانية ، فليس لهما صفة الحياة المستمرة

التي للعربية .

وفى رحاب هذا المؤتمر يلتقى أعضاء

الجمع المصريون وإخوانهم العرب ، وزملاؤهم

من جهابذة الفصحى وسدنتها فى مختلف

بلاد العالم ، شرقه وغربه يلتقون هنا فى

القاهرة ، على مدى أسبوعين ، يعرضون فى

أثنائهما ما أنجزته لجان الجمع ، وأقره

المجلس ، منذ المؤتمر السابق .

كما تلقى - فى المؤتمر - بحوث ودراسات ،

وتناقش آراء ومقترحات ، تؤتى أكلها كل

عام قرارات وتوصيات . . تهدف إلى رفعة

الفصحى ، وسيادتها فى مختلف مجالات

الأدب والعلم والفن .

ولا يفوتنى - قبل أن أعرض لأوجه

النشاط المجمعى فى خلال عام - أن أشرك

فى الترحيب بكم ، مشفوعا بالشكر لزملاء

قدموا إلينا من بلادهم ، للإسهام فى مؤتمر

مجمعهم بالقاهرة .

المؤتمر السابق :

عقد المؤتمر السابق إحدى عشرة جلسة .

واحدة منها علنية هى جلسة الافتتاح ،

والعشر الأخرى مغلقة ، نظر فيها أعضاء

المؤتمر أكثر من ألف مصطلح ، فى الفيزيقا ،

والجيولوجيا ، ورجيولوجيا النفط ، والكيمياء

والصيدلة ، والهيدرولوجيا ، والقانون المدنى ،

والتربية وعلم النفس ، وطائفة جديدة من ألفاظ

الحضارة الحديثة ، وطائفة جديدة - أيضا -

من مواد المعجم الكبير (من الشاء والميم وما

يشلثهما إلى آخر الجيم والتاء وما يشلثهما) .

وقد أقر المؤتمر هذه المصطلحات العلمية ،

والألفاظ الحضارية ، والمواد المعجمية ،

إلا قليلا أقره بعد تبديل وتعديل .

(*) ألقى هذه الكلمة فى حفل افتتاح مؤتمر الدورة الخامسة والأربعين .

وقد أنهى المؤتمر أعماله بإصدار القرارات والتوصيات التالية :

— تعريب التعليم الجامعي هدف يسعى إليه في العالم العربي بأسره ، وسبيله الحق تزويد مكتباتنا بمراجع عربية إحدثة وافية ، وقيام الأستاذ بواجبه قياماً حقاً نحو مادته ولغته وتمكين الطالب من لغته القومية ، ومن لغة أخرى أجنبية تربطه بسير العلم وتقدمه .

— توحيد المصطلح العلمي والأدبي والفني هدف منشود لعالمنا العربي ، ولكن بعض الهيئات والأفراد يعمدون إلى إصدار معاجم اصطلاحية مختلفة ، ينشأ عنها بلبلة في استعمال المصطلحات العربية ، لدى المشتغلين بالعلوم والآداب والفنون ، والمؤتمر يوصي بأن يترك أمر المصطلحات للمجتمع العربية ، على أن ينسق ذلك في إطار اتحاد الجامعات اللغوية العالمية العربية .

— يأسف المؤتمر لما يبدو من تحريف في نطق بعض الحروف ، على ألسنة العاملين في الإذاعات : المسموعة والمرئية ، لذلك يوصي المؤتمر بأن تعني وزارات الإعلام بتدريبهم على نطق الحروف العربية من مخارجها الصحيحة ، مستعينة في ذلك بالأساتذة المتخصصين في هذا الميدان .

— مازال الكتاب المدرسي العربي ، في حاجة إلى إخراجه بصورة تجتذب الطلاب ،

كما أقر المؤتمر السابق من أعمال لجنة الأصول : موضوع تتابع الأعلام ذرن ذكر « ابن » وموضوع قياس « فعل » مصادر كـ « النعمول » له « فعمل » اللازم . وأقر من أعمال لجنة الألفاظ والأساليب مايلي :

— أبدا في معنى النفي للماضي .

— القيد بمعنى التقييد .

— المديونية .

— هذا المنزل آيل للسقوط .

— يلعب الكرة .

— تراوح الشيء بين كذا وكذا .

— غش في الامتحان .

— عزف لنا .

— أدانت المحكمة فلانا ، أو حكمت المحكمة بالإدانة .

— أمعن النظر ، وأنعم النظر .

ونظر المؤتمر من أعمال لجنة اللهجات تقاريرها في ظاهرة الإسكان ، والإفادة من المقطعية في تدريس العربية ، وبحثا في معنى « لغة الضاد » ، وطائفة من المصطلحات اللغوية .

وكان حظ المؤتمر السابق من بحوث الزملاء عظيم السخاء ، فقدم إليه خمسة عشر بحثا أكثرها في اللغة : فصحي وعامية ، وما بينهما من وشائج وصلات وبعض هذه البحوث في الدراسات القرآنية ، والجغرافية والموسوعية ، والتراجم ، والشعر الجاهلي .

وتحجبه إليهم كنظائره في البلاد الأجنبية ،
والمؤتمر يوصى وزارات التربية والتعليم
في العالم العربي بأن تحرص على تحقيق
ذلك في الكتاب المدرسي كحرصها على
اختيار موضوعاته ، وضبط كلماته .

— تتقارب اللهجات الدارجة في العالم العربي
في العشرين سنة الماضية ، تقارباً ملحوظاً
وللمدرسة والمدرس شأن في ذلك ، ولوسائل
الإعلام من صحافة وإذاعة ومسرح
وسينما شأن أوضح . وما أجدرنا أن
نتعهد ذلك ونرعاه ، حتى يزداد
تقارب اللهجات العربية الدارجة ،
ويكون ذلك سبيلاً للعمل على تضييق شقة
الاختلاف بينها وبين الفصحى ، وهو
هدف منشود .

— يشجع المؤتمر مبادئه وزارة الثقافة
والإعلام بمصر ، من إقامة أمسيات
شعرية ، لأعلام الشعراء ، ويحثها على
المضي في هذا السبيل ، ويأمل أن
تأخذ بذلك وزارات الثقافة والإعلام
في وطننا العربي ، ففيه إحياء لتراثنا
الشعري لدى أبناء هذا الجيل وترغيب
لهم فيه ، فيقبلوا عليه ، ريفيدوا منه .

* * *

— تبلغ توصيات المؤتمر وقراراته للمجامع
اللغوية والعلمية العربية ، واتحاد الجامعات
والجامعات ، وجامعة الدول العربية ،
والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ،

وزارات التربية والتعليم والثقافة
والإعلام ، في العالم العربي جميعه .

أعمال المجلس واللجان :

عقد مجلس الجمع إحدى وأربعين
جلسة .

منها ثلاث علنية ، استقبل في إحداها الزميل
الجغرافي الكبير الدكتور سليمان حزين وأبن
في الجلستين الآخرين الزميلين الحلبيين :
العلامة الفقيه صاحب الفضيلة المرحوم
الشيخ علي الخفيف ، والفيلسوف الكبير
المرحوم الدكتور عثمان أمين .

أما الجلسات الأخرى التي عقدها المجلس
فقد كانت مغلقة ، جدد في إحداها انتخابه
لرئيس الجمع الدكتور إبراهيم مذكور ،
وانتخب في أخرى أربعة من الزملاء
الجدد هم : الأستاذ الدكتور مجدى وهبة ،
وصاحب الفضيلة الشيخ أحمد هريدى ،
والأستاذ الدكتور أحمد السعيد سليمان ،
والدكتور الشيخ محمد رفعت فتح الله .

كما شرف مجلس الجمع — مشكورا —
باختياري ممثلاً للجمع القاهرة — مع الدكتور
الرئيس إبراهيم مذكور — اتحاد الجامعات
اللغوية والعلمية ، الذى يضم مجامع :
القاهرة ، ودمشق ، وبغداد ، والأردن .

ونظر مجلس الجمع في جلساته المغلقة نحو
ألف وخمسمائة مصطلح ، في الكيمياء
والصيدلة ، والطب ، والحيولوجيا ، والنقط

والفيزيكا ، والنبات ، والحيوان ، والرياضة ،
والهيدرولوجيا ، والقانون التجارى ،
والتربية وعلم النفس والتاريخ وطائفة
جديدة من مصطلحات الفنون ، وكانت
خاصة بالفن السينمائى .

كما نظر المجلس قرارات لجنة الأصول ،
ولجنة الألفاظ والأساليب ، ولجنة اللهجات ،
وكل ما أقره مجلس المجمع من هذه
المصطلحات ، وألفاظ الحضارة الحديثة ،
وقرارات اللجان اللغوية ، قد أعد لتقدمه
إلى المؤتمر ، مع مواد جديدة أعدتها لجناتا
المعجم الكبير .

مسابقة المجمع الأدبية :

فصلت لجنة الأدب فيما قدم إليها من
بحوث فى موضوع مسابقتها فى الدورة
المجمعية السابقة ، وهو : « الدكتور محمد
كامل حسين : مفكرا وأديبا » . وفاز
بالجائزة الأولى السيد محمد الجوادى ،
ورأت اللجنة أن بحوث السادة : فكرى
الحولى ، وعبد الوهاب العفيفى ، وإميل
توفيق ، فى منزلة متقاربة ، فضمت قيمة
الجائزتين : الثانية والثالثة ، ووزع ثلثها
على كل منهم ، باعتبارها جائزة ثانية مكررة .

وقررت لجنة الأدب - بموافقة المجلس -
أن تشارك فى عام الطفولة ، الذى خصص
هذا العام فجعلت موضوع مسابقتها فى هذه
الدورة : « الطفولة فى الأدب العربى » .

مطبوعات المجمع :

أصدر المجمع فى هذه الدورة :
- الجزء السادس من « التكملة والذيل
والصلة » للصغاني ، وبه يكتمل هذا المعجم
اللغوى الفريد .

القسم الأول من الجزء الرابع لـديوان
الأدب للفارائى ، وهو يتضمن بقية
المادة اللغوية للكتاب . أما القسم الثانى
منه - وهو خاص بفهارسه - فتوشك
المطبعة ان تفرغ من طبعه ونشره .

- الجزء الثالث من كتاب الأفعال للسرقسطى .

- المجلد العشرين من مجموعة المصطلحات
العلمية والفنية .

- الأجزاء : السابع والثلاثين ، والثامن
والثلاثين ، والتاسع والثلاثين ، من مجلة
المجمع .

- أحاديث جمعية .

- محاضر مجلس المجمع فى الدورتين :
الثانية والأربعين والثالثة والأربعين .

- محاضر مؤتمر المجمع وبحوثه فى الدورتين
السابقتين .

ويواصل المجمع نشر محاضر جلساته وبحوثه
فى دوراته الماضية ، وقد أصدر منها
هذه الدورة محاضر الدورتين : العشرين ،
والحادية والعشرين .

صلات المجمع الثقافية :

لا يدخر المجمع وسعا في تدعيم صلاته الثقافية بالمجامع ، والهيئات والمنظمات والمؤسسات التي تتصل برسائله من قريب أو بعيد ، ويحرص على الإسهام فيما يدعى إليه من مؤتمراتها وندواتها . وقد شرفني مجلس المجمع باختيارى لإعداد كلمة باسمه ، تلقى في حفل افتتاح «أكاديمية الآداب» بباكستان ، الذي أقيم في الحادى والثلاثين من يناير السابق .

والمجمع يتلقى بين الحين والحين عديدا من المصطلحات والدراسات ، من هيئات ومنظمات وباحثين ، فيجيبها على لحانه المختصة ، لتنظرها ، وتعرض ماتراه فيها من آراء على مجلس المجمع .

وللمجمع صلة وثقى باتحاد المجامع ، وقد شارك في الندوة التي عقدها الاتحاد بالأردن في المدة من ٣١ من أكتوبر إلى ٤ من نوفمبر في العام السابق ، وكان موضوعها : "تعليم اللغة العربية في ربيع القرن الأخير" . ومثل المجمع في هذه الندوة رئيسه ورئيس اتحاد المجامع الدكتور إبراهيم مذكور ، وكان لي شرف تمثيل المجمع معه في هذه الندوة . ولا يفوتنى أن أنوه بأن الملك حسين - ملك الأردن - قد تفضل برعاية الندوة ، وألقى كلمة في حفل افتتاحها ،

وأنعم بأوسمة رفيعة على رؤساء مجامع : القاهرة ، ودمشق ، وبغداد .

سيداتى سادتى :

ما زالت جوائز الدولة التقديرية - وسوف تظل - تُكرم المجمعين ، وتُكرم بهم ، ويحظون بشرف الفوز بها ، وتحظى هى بشرف الخلود مع الخالدين .

وكم يسعدنا أن نهى زميلنا العالم الكبير الدكتور محمود حافظ بحصوله على جائزة الدولة التقديرية في العلوم ، عام ١٩٧٨ .

سيداتى سادتى

قبل أن أنهى كلمتى أكرر ترحيبى بكم ، وشكرى لكم ، آملا أن نلتقى في مؤتمرننا القادم - إن شاء الله - بمن اعتذر من السادة الزملاء ، وهم : الأستاذ على الفقيه حسن (عضو المجمع من ليبيا) ، والأستاذ محمد بهجة الأثرى (عضو المجمع من العراق) ، والأستاذ حمد الحاسر (عضو المجمع من السعودية) ، والأستاذ رودلف زهايم (عضو المجمع المراسل من ألمانيا الغربية) والدكتور محسن مهدي (عضو المجمع المراسل من العراق) .

ونختاما أسأل الله تعالى أن يرعى مؤتمرننا بتفريقه ، وأن يهيىء لنا من أمرننا رشدا . والسلام عليكم ورحمة الله .

كلمة الأعضاء العرب للكونفرانس عضو المجمع من لبنان

بالبارحة ، وما أقرب الشر من الشر !
هاتان حجبتان وجهتان جدا يتمسك
بهما دعاة العامة عندنا في لبنان ، ذلك
لأن مصر كانت منذ صدر الإسلام -
برغم تقلب الدول والأحوال - منارة
يهتدى بها المسلمون في جميع أقطارهم
وهم بذلك على حق .

إن الخير الذي يهيم على مصر تنال
منه البلاد الإسلامية كلها ، وإن الشر
الذي يصيب مصر يشقى به المسلمون في
جميع أقطارهم . ولا شك في أن مصر
كانت وما تزال تعي أثر هذه المكانة
في أحداث الشرق كله . وإذا كان الله قد
أنعم على مصر بهذه النعمة العظيمة فشكر
الله على هذه النعمة هو المحافظة عليها .
واللغة العربية تنطوي في هذه النعمة الحليّة
على مصر :

إن هذه المقدمة التي ترون أنها طالت
تنقلني إلى بلاد بعيدة جدا : إلى الدنمرك
واسوج ونرويج وايسلندة . كانت هذه
البلاد مملكة واحدة ، وبلاداً يحكمها
حاكم واحد ؛ لأنها كانت تكتب لغة واحدة
وإن كانت تتكلم لهجات لاعداد لها .

في كل عام يلتقي على مثل هذا المنبر مثل
هذا الخطاب الذي يدور حول اللغة العربية ؛
لأنه يلتقي بإذن مجمع اللغة العربية ، فهل في اللغة
العربية مجال واسع لموضوع في كل عام إلى
ما شاء الله من امتداد سلسلة الزمن ؟ أجل
إن للغة العربية في أقطارها المختلفة مثل هذا
المجال الرحب لموضوعات لا تنهاى ، ذلك
لأن الأحوال المحيطة باللغة العربية خاصة -
تزدنا دائماً بموضوعات جديدة في كل عام .
والموضوع الذي تركته ورأى ثائراً في
بيروت هو الموضوع الذي فتحت صدرها
له جريدة « النهار » تجربة الكتابة باللغة
العامة عملياً (ففي اليوم بعد اليوم) تنشر
جريدة « النهار » البيروتية مقالاً أو مقالين
طويلين أو قصيرين في تقرير تقعيد اللبغة
العامة أو في تجربة موضوع من القصص
أو الوصف أو البحث في لهجة عامة :

والذي حملني على أن أنقل هذا الموضوع
من بيروت إلى القاهرة أن هذا الموضوع
قد أثر في زمن باكر . في القاهرة
وقد قيل لي إن جريدة قاهرية قد
فعلت منذ أمس يسير ما تفعله جريدة
« النهار » البيروتية اليوم . ما أشبه الليلة

(*) ألقيت هذه الكلمة في حفل افتتاح مؤتمر الدورة الخامسة والأربعين .

وبالأمس القريب كان أوسكار الثاني ملك اسوج ونروج ، ثم لما كتب النرويجيون لهجتهم المحلية آثروا أن تكون لهم دولة خاصة بهم ، وأثار أحد أدبائهم مشكلة غريبة فقال : إن بلاد النروج لا تدعى « نورغه » كما كان مألوفاً في لغتهم الجامعية بل « نورنخ » فما أشقى قوما لا يعرفون اسم بلدهم .

وحينما نقول كلاماً من الحجاز المرسل . ليست كل وزارة مسئولة عن اللغة العربية وليست كل مؤسسة مسئولة عن الحفاظ على هذه اللغة ، وإن كان ينتظر من كل وزارة ومن كل مؤسسة أن تقوم بقسط من ذلك يزيد وينقص بين كل وزارة وأختها ، وبين كل مؤسسة ونظيرتها ، وغنى عن البيان أن نقول إن ثقل هذا العبء مأتى على عاتق وزارات التعليم وعلى عاتق مجمع اللغة العربية .

ركان دعاة التجديد يزعمون أن الذين يريدون الحفاظ على اللغة العربية الفصحى لا يسايرون الزمن ، ولا يدركون حاجة الناس إلى الحديد من القول وإلى الحديث من الحديث .

غير أن هذا الحكم ظالم فاشل وغافل أو جاهل . إن مجامع العربية وإن مراكز التعريب في البلاد العربية قد وضعت مئات الألوف من الألفاظ الجديدة في قوائم مفصلة ، أو في قواميس قد طبعت ثم نشرت على الناس لمعظم نواحي الحياة

العلمية والعملية ، في الرياضيات والكيمياء وفي علم الحياة وعلم الطب ، في الفلسفة وعلم النفس وفي الحياة الحضارية من المنزل إلى المتجر إلى مجالس السمر وخزائن الثياب . وأنا واثق من أن مجمع اللغة العربية يسره أن يرى عالماً أو أدبياً يضع لفظاً شائعاً أو مصطلحاً موافقاً في كل موضوع يعرض في أحاديث أبناء هذه اللغة الشريفة وفي تدوين آرائهم وبحوثهم :

إن كلمة الجبر والمقابلة في الرياضيات ، وإن كلمتي الانكسار والانعطاف في علم الضوء من الفيزياء أو الطبيعية ، وإن كلمات الاستحسان والاستدلال والمصالح المرسلة في الفقه ، وإن كلمة المزاج أو الوباء أو قارورة الماء في الطب ، وإن كلمة جريدة وكلمة مجلة في الصحافة ، لم تضعها مجامع علمية أو لغوية ، ولكن وضعها أفراد قد أصابوا في وضعها وأحسنوا ؛ فلاقى رواجاً واسعاً . وكذلك لا تساء المجامع العلمية إذا عرب أحد الناس لفظاً أو مصطلحاً ؛ فالذى نقل لفظ بولك الأشورى إلى لفظة « فلك » أو لفظة « اندازه » الفارسية إلى كلمة « هندسة » ، والذى ترك كلمة « جغرافية » على لفظها اليوناني ولفظة دينار على لفظها اللاتيني لم يغضبوا مجامع اللغة العربية ؛ ذلك لأن

اللغة لا توّثّق من قبل الألفاظ ولكن من قبل التراكيب .

إن الذي جعل اللغات الفرنسية والإيطالية والإسبانية والبرتغالية مختلفة عن اللغة اللاتينية، ثم جعل بعضها مختلفا عن بعض لم يكن الألفاظ، فإن ثلاثة أرباع الألفاظ في هذه اللغات واحدة . ولكن الذي صنع الاختلاف في هذه اللغات هو التركيب المختلف بينها وقواعد التصريف . وإن أربعين من المئة من الكلمات الإسبانية والبرتغالية - أو قريبا من ذلك - يرجع بأصله إلى اللغة العربية . ومع ذلك فقد ظلت الإسبانية إسبانية، والبرتغالية برتغالية، ولم تصبح إحداها عربية . وفي اللغة الإنكليزية نحو أربعمئة كلمة من العربية، ومع ذلك فإزالت اللغة الإنكليزية إنكليزية . وحيثما نقول « أعضاء محترمان مجلس ملي ايران » أو « أعضاء محترمان مجلس » لا نحكم على تينك الجملة بأنهما غير عربيتين بألفاظهما فإن ألفاظهما كلها عربية . ولكننا نقول إن الأولى فارسية والثانية تركية لأن التركيب وقواعد التصريف فيهما (صيغة الجمع مثلا) غير عربية . ونشأ في الشعر الفارسي وفي الأدب التركي فن اسمه الملامع يورد شاغره في قصيدته أحيانا أشطرا عربية أو أبياتا عربية تامة . ومع ذلك تظل قصيدته فارسية أو تركية

وتكون الأبيات العربية فيها دخيلة .

أما الهجمة على اللغة العربية فإنها قديمة جدا وهي في حقيقتها جانب من هجمة عامة على الإسلام ديننا وسياسة وتشريعنا . وأشد عناصر هذه الهجمة أن الأعداء يقعون بين الحين والحين على عربي يقبل أن يكون ستارا - عن غفلة منه أو عن وعي - يقاتلون من ورائه .

وقد يتفق أن تضعف دولة إسلامية فينقلون ميدان المعركة إليها . وقد تقوى الدول كلها فتفتقر هذه الهجمة قليلا أو كثيرا . غير أن التبسط هنا ينقلنا إلى الحقل السياسي ، ومجمع اللغة العربية مؤسسة تشريعية لا مؤسسة تنفيذية ، فالسلطة التنفيذية وحدها هي السلطة التنفيذية .

بقي لي من الجانب العلمي في الموضوع كلمة هي أن أسلوب تعليم اللغة العربية اليوم مسئول إلى حد كبير عن ضعف اللغة العربية على ألسنة قومنا، وعلى أقلام قومنا . إن اللغة العربية لغة هجائية يلفظ كل حرف فيها لفظا واحدا حيثما وقع في الكلمة الواحدة أو في الكلمات المختلفة، ولكن نفرا كثيرين من المدرسين ينتهجون في تدريس اللغة العربية سبيل الطريقة الصوتية أو سبيل الطريقة الحيلية وهذا خطأ على اللغة العربية أحببت أن أشير إليه هنا، ولا أريد التبسط فيه؛ لأن التبسط فيه خارج عن حدود هذه المناسبة .

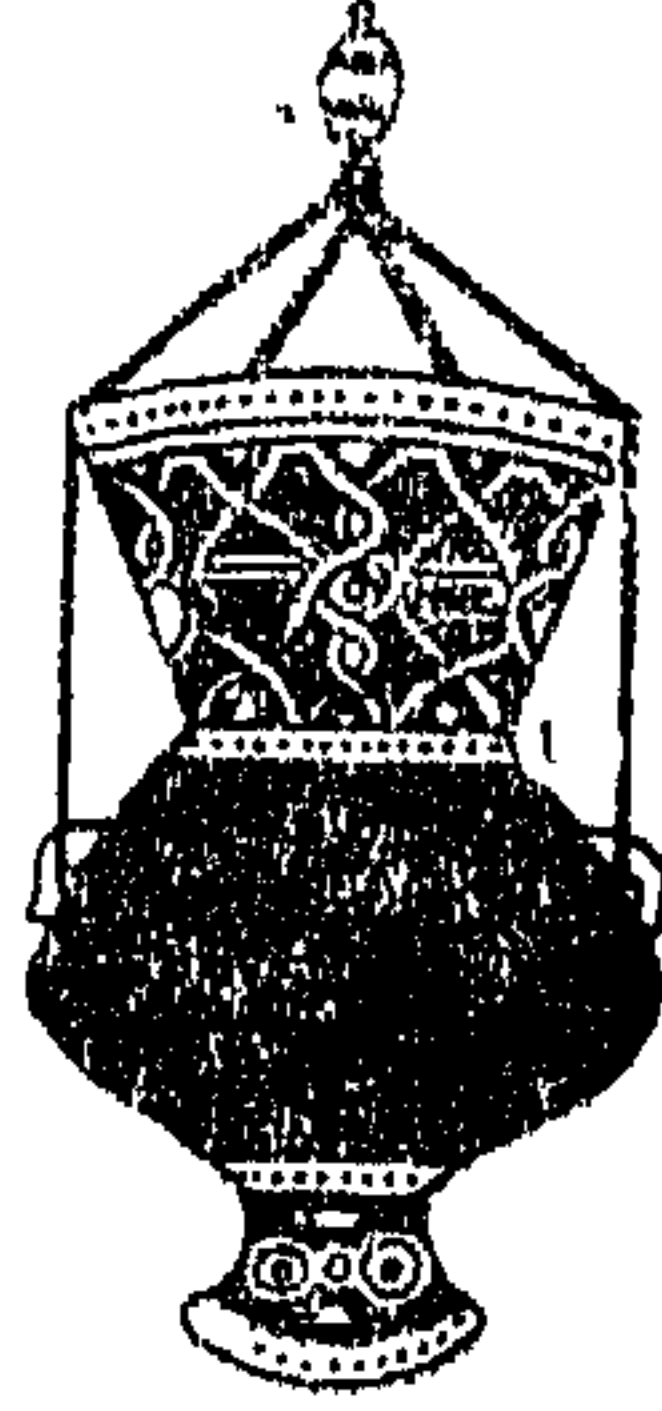
أيها الزملاء والإخوان :

نحن مطعونون إلى مناعة اللغة العربية
فهي لغة تكثر فيها عناصر الحياة . إن القرآن
الكريم قد صنع للغة العربية في سنة البقاء
وسلم القوة ونطاق الانتشار ما لم تستطع
التوراة، ولا استطاع الإنجيل، أن يصنعاً للغة
العبرية واللغة الكلدانية واللغة الآرامية، ولا
للغة اليونانية أو اللغة اللاتينية . رفى أيامنا
هذه استطاعت وسائل الإعلام من الصحافة
والراديو والتلفزيون أن تصنع للغة العربية
وللثقافة الإسلامية في مجال الانتشار والثبات

فوق ما استطاعت المطبعة في القرن السادس
عشر أن تصنع في سبيل انتشار المذهب
البروتستنتي، برغم مفارقة غريبة عجيبة أريد
أن أسمها هنا مساريفاً خفيفاً فقط ، هي أن
المحطات الأجنبية للراديو والتلفزيون تذيع
برامجها العربية بلغة عربية أصبح من لغة
الكثيرين من مذيعينا في البلاد العربية نفسها .
أليس في ذلك عبرة لأولى الألباب ؟ والسلام
عليكم .

عمر فروخ

عضو المجمع سن لبنان





محلى رسول الله

للكنور حسن ابراهيم

ما ذُبْتُ شَوْقاً لِحِيرَانِ بَدَى سَلَمٍ
وَمَا أَبَحْتُ لِرِيمِ الْقَاعِ سَفَكَ دَمِي
وَمَا سَعَادُ إِذَا بَانَتْ بِمَثْبَلَةٍ
إِنِّي اتَّجَهْتُ بِقَلْبِي نَحْوَ بَارِئِهِ
وَسِيدِي الْمُصْطَفَى أَرْجُو شِفَاعَتَهُ
إِنَّ الْمَشِيبَ عَلَانِي فَاتَّعَظْتُ بِهِ
مُحَمَّدٌ عَرَكَ الدُّنْيَا بِمَا حَفَلَتْ
جَاءَ الْحَيَاةَ [أَيْتِيماً] قَبْلَ مَوْلِدِهِ
فَعَاشَ مَعَ جَدِّهِ حِيناً وَفِي كَتَفِ
وَحِينَ شَبَّ رَهَى لِلْقَوْمِ شَاتَهُمْ
وَسَارَ بِالْعِيرِ وَالْأَمْوَالِ مُتَجَرِّراً
وَهُوَ الْمُصَدِّقُ فِي قَوْلٍ وَفِي عَمَلٍ
وَصَارَ يَعْجَبُ مِنْ قَوْمٍ فَلَدَيْنُهُمْ
أَيَنْحَبْتُ النَّاسَ مِنْ أَحْجَارِهِمْ صَنَمًا
وَكَيْفَ يَحْكُمُ صُلْدٌ لَا جَنَانَ لَهُ
وَكَيْفَ يَخْلُقُ هَذَا الْمَسْخُ مَقْتَدِرًا

وَلَا أَرَقْتُ لِذِكْرِ الْبَسَانِ وَالْعَلَمِ
فِي الْأَشْهُرِ الْحِلِّ أَوْ فِي الْأَشْهُرِ الْحَرَمِ
مِنِي الْفَسَادُ فَإِنَّ الْقَلْبَ فِي شَبَمِ
مِنْ مَطْلَعِ الْفَجْرِ حَتَّى غَيْهَبِ الظُّلَمِ
وَهَسُو الشَّفِيعُ لَنَا مِنْ زَلَّةِ الْقَدَمِ
وَكَمْ أَرَقْتُ لَوِزْرِي عِبْرَةَ النَّدَمِ
مِنْ الشَّقَاوَةِ وَالنُّعْمَى وَمِنْ غَمَمِ
وَفِي الطُّفُولَةِ عَانِي شِقْوَةَ اللَّطَمِ
لَعَمْرِهِ وَالْعُرَى مَوْصُولَةُ الرَّحِمِ
كُلُّ النَّبِيِّينَ قَدْ هَشُّوا عَلَى الْغَنَمِ
وَهُوَ الْأَمِينُ عَلَى قَوْمٍ وَمَالِهِمْ
فَصَارَ يُكْنَى أَمِينًا وَهُوَ خَيْرُ سَمِي
تَوَارَتْهُ عَنِ الْآبَاءِ مِنْ قِلَمِ
وَيَسْجُدُونَ خُشُوعًا خَشْيَةً الصَّنَمِ
مَسِيرَةَ الْكَوْنِ وَالْأَجْرَامِ وَالسُّدَمِ
إِنْسَاءً وَقَدْ خَلَقْتُهُ الْإِنْسُ بِالْقُدَمِ

(*) أُلْقِيَتْ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ فِي الْجُلُوسَةِ الثَّانِيَةِ لِمَوْتَمَرِ مَجْمَعِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي الدُّورَةِ الْخَامِسَةِ وَالْأَرْبَعِينَ (الثَّلَاثَاء ٣٠)
مِنْ رَجَبِ الْآوَلِ سَنَةِ ١٣٩٠ هـ ، الْمَوَافِقُ ٢٤ مِنْ قَبْرَايَزْ سَنَةِ ١٩٧٩ م .

فَمَا تَعَبَّدَ فِي يَوْمٍ إِلَى وَثْنٍ
بَلْ رَاحَ لِلْغَارِ يَصْفُو فِي تَأْمَلِهِ
تَأْمَلُ الْفَجْرَ يَبْدُو وَالْحَيَاةَ مَعًا
وَتُشْرِقُ الشَّمْسُ لِلْأَحْيَاءِ جَالِبَةً
وَهَذِهِ الشَّمُّ مَنْ أَرَسَى^١ دَعَائِمَهَا
مَنْ خَالَقَ الرُّوحَ وَالْإِنْسَانَ هَلْ خُلِقَا
جَاءَ الْجَوَابُ بِجُنْحِ اللَّيْلِ فَاخْتَلَجَتْ
جَبْرِيلُ فِي الْغَارِ قَالَ اقْرَأْ مَدْوِيَّةً
فَغَطَّاهُ ثُمَّ قَالَ اقْرَأْ فَرَدَّدَهَا
وَأَصْبَحَ الْهَدْيُ يَسْرِي كُلَّ نَاجِيَةٍ
أَنْ أُعْبِدُوا اللَّهَ رَبَّ الْخَلْقِ كُلِّهِمْ
الْوَاحِدُ الْفَرْدُ عَالٍ لَا شَرِيكَ لَهُ
تَرَدَّدَ الْوَحْيُ بِالْآيَاتِ مُنْزَلَةً
جَاءَ الْكِتَابُ عَجِيبًا فِي بِلَاغَتِهِ
فَمَا اسْتَطَاعَ مَحَاكَاةَ لِسَانِهِ أَحَدٌ
فِي كُلِّ يَوْمٍ يُرِيكَ الْعِلْمَ آيَتَهُ
فِيهِ الْهَدَايَةُ لِلدُّنْيَا وَآخِرَةِ
ذِكْرُ السَّعِيرِ تَهَابُ النَّفْسُ صَوْرَتَهُ
بِهِ الرِّوَاءُ مِنْ وَعْظٍ وَمِنْ قَصَصٍ
وَصَارَ يَدْعُو قَرِيشًا لِلْهُدَى فَابَّوْا
غَشَاوَةُ الْعَيْنِ قَدْ تُشْفَى وَإِنْ عَمِيَ

وَلَمْ يُشَارِكْ بِقُرْبَانٍ وَلَمْ يَهْمِ
وَكَمْ تَغَيَّبَ نَجْمٌ وَهُوَ لَمْ يَنْمِ
وَكَيْفَ تَحْيَا مَوَاتُ الْأَرْضِ بِالْدَّيْمِ
دِفءُ الْحَيَاةِ وَيَسْرِي الْبَدْرُ فِي الْغَسَمِ
فَزَاخَمَتْ شُهَبَ الْأَفْلَاكِ مِنْ شَمَمِ
سُدَى وَمَاذَا وَرَاءَ الْمَوْتِ مِنْ حِكَمِ
لَهُ الْعُرُوشُ وَكَانَ الْفَجْرُ لِلْأُمَمِ
فَقَالَ كَيْفَ وَمَا عَلَّمْتُ بِالْقَلَمِ
فَكَانَ أَوَّلَ تَنْزِيلٍ مِنَ الْكَلِمِ
كَالنُّورِ فِي اللَّيْلِ أَوْ كَالْبُرْءِ فِي السَّقَمِ
وَفَاطَرَ الْكُونِ وَالْدُّنْيَا مِنَ الْعَدَمِ
فِي الْخُلْدِ وَالْمُلْكِ وَالتَّذْيِيرِ وَالْقَدَمِ
فَسَطَّرَتْ كَنْظِيمَ الدُّرِّ وَالتُّسُومِ
وَمَا حَوَاهُ مِنَ التَّقْنِينِ وَالنُّظُمِ
فَالْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَانِ إِثْرَ مُنْفَحِمِ
فَالْيَوْمَ يُكْشَفُ مَا قَدْ غَابَ عَنْ فَهْمِ
فِيهِ الطَّرِيقُ إِلَى الْإِيمَانِ وَالْعِصَمِ
أَمَّا الْجِنَانُ فَمَشَوَى كُلُّ مُلْتَزِمِ
فِيهِ التَّأْمُلُ فِي سَبْعِ وَخَلْقِهِمْ
وَقَابَلُوهُ بِهِجْرَ الْقَوْلِ وَالصِّمَمِ
يَغْشَى الْقُلُوبَ لَدَاءٌ غَيْرُ مُنْجِمِ

فَقِلَّةٌ آمَنَتْ وَالْجُلُّ قَدْ جَنَحُوا
سَرِيَتْ فِي اللَّيْلِ تَطْوِي الْبَيْدَ مَرْتَحِلًا
حَتَّى نَزَلَتْ بِبَيْتِ الْقُدْسِ فَاجْتَمَعَتْ
ثُمَّ ارْتَفَعَتْ لِعَرْشٍ لَا يُقَارِبُهُ
وَقَدْ تَجَلَّى لَكَ الرَّحْمَنُ وَانْبَلَجَتْ
وَعُدَّتْ تَدْعُو فَزَادُوا مِنْ عَدَاوَتِهِمْ
وَصُدُّوا مِنْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا
فَهَاجَرَ الْقَوْمُ تَتَرَى مِنْ دِيَارِهِمْ
مَاتَتْ خَدِيجَةُ وَالْأَعْمَامُ وَارْتَحَلُوا
وَلَمْ يَعْذِ لِرَسُولِ اللَّهِ مِنْ أَحَدٍ
فَدَبَرُوا قَتْلَهُ لَيْلًا بِزُمَرَتِهِمْ
حَلَّ السُّبَاتُ بِهِمْ جَمْعًا فَلَمْ يَرَهُ
فِي الْغَارِ حَلَّ مَعَ الصَّدِيقِ مُخْتَبِئًا
فِي مَدْخَلِ الْغَارِ خَاطَ الْعَنْكَبُوتُ شَعًا
أَعْمَى إِلَهُ قُرَيْشًا عِنْدَ مَدْخَلِهِ
وَأَوْبُوا لِيُعِيدُوا عَنْهُ بَحْثَهُمْ
سَارَ الرَّسُولُ مَعَ الصَّدِيقِ مَرْتَحِلًا
وَفِي قُبَاءٍ أَنَاخَ الرَّحْلُ بَعْدَ ضُنًى
وَوَخَّطَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ مَسْجِدَهَا
وَفِي الْمَدِينَةِ أَرَسَى أَضْلَ مَسْجِدِهِ
هَوَتْ قُلُوبٌ إِلَى الْإِسْلَامِ وَانْدَفَعَتْ

إِلَى الْعَدَاءِ وَإِيذَاءٍ وَمُصْطَلَمٍ
بِقُدْرَةِ اللَّهِ لَا بِالْأَيْدِيقِ الرَّسْمِ
مِنْ حَوْلِكَ الرَّسُلُ مِنْ خَاشٍ وَمُؤْتَمِمٍ
إِلَّا مُحَمَّدٌ دُونَ الْخَلْقِ كُلِّهِمْ
مِنْ نُورِهِ سُنَنُ الْإِسْلَامِ وَالذَّمَمِ
بِالضَّرْبِ وَالرَّجْمِ وَالتَّجْوِيعِ وَالْوَصَمِ
وَأَوْعَدُوهُمْ بِتَشْرِيدٍ وَسَفْكِ دَمٍ
يَبْغُونَ يَثْرِبَ فِي مَأْوَى وَمُعْتَصِمٍ
وَأَوْحَشَتْ مَكَّةُ مِنْ بَعْدِ فَقْدِهِمْ
يُجِيرُهُ مِنْ عُتَاةِ الْكُفْرِ وَالنَّقَمِ
فَلَا يَكُونُ لَهُ شَأْرٌ لِمُنْتَقِمٍ
عِنْدَ الْخُرُوجِ عُمَاةُ الْقَلْبِ وَالْفَهَمِ
وَلَا حَقْوُهُ بِبَيْضِ الْهَنْدِ وَالذُّمِّ
وَحَطَّتِ الْوُزُقُ فِي وَكْرِ وَلَمْ تَجِمِ
وَأَيَقُنُوا أَنَّهُ خَاوٍ مِنَ النَّسَمِ
فِي كُلِّ فَجٍّ وَفِي الْوُذْيَانِ وَالْقِمَمِ
نَحَوَ الْمَدِينَةِ وَالْأَجَوَاءِ فِي ضَرَمٍ
وَقُوبِلَ الرُّكْبُ بِالتَّهْلِيلِ وَالنَّعَمِ
فَكَانَ أَوَّلَ مَا يُبْنَى لِمُؤْتَمِمٍ
وَصَارَ يَدْعُو لِرَبِّ الْكَوْنِ وَالْأَمَمِ
لِطَاعَةِ اللَّهِ فِي حَشْدٍ وَمُزْدَحَمِ

وَحِينَ أَنْ أَذَى قَوْمٍ بِمَا كَفَرُوا
هَبُوا لِحَرْبِ قُرَيْشٍ فِي تِجَارَتِهَا
فِي يَوْمِ بَدْرِ أَهَابَ الْكُفْرُ فَاجْتَمَعُوا
وَقَالَ عَاقِلُهُمْ لَا حَرْبَ فَاتَّيَدُوا
فَلَمْ يُعِرْهُ أَبُو جَهْلٍ وَزُمُرُتْسَهُ
أَلْفًا بِفِرْسَانِهِمْ وَالْخَيْلُ مُسْرَجَةٌ
وَالْمُسْلِمُونَ بِبَدْرِ قَلَّةٌ كَثُرَتْ
وَأَرْسَلَ اللَّهُ أَلْفًا مِنْ مَلَائِكِهِ
فَحَاقَ بِالْكَفْرِ كُلُّ الْخِزْيِ إِذْ دُحِرُوا
وَصَارَتِ الْعُرْبُ تَرَوِي عَنْ هَزِيمَتِهِمْ
فَهَلْ تَأْمَلُ أَهْلُ الشُّرْكِ وَاتَّعَظُوا
إِنَّ الْأَفَاعِيَ قَدْ تَنَدَّسَ قَاتِلَةٌ
فَبَعْدَ حَوْلٍ أَعَادُوا جَمْعَ شَمْلِهِمْ
وَكُلُّ هَمِّهِمْ تَقْوِيضُ دَعْوَةٍ مَنْ
وَفِي الْمَدِينَةِ هَبَّ الْمُسْلِمُونَ إِلَى
سَارُوا إِلَى أَحَدٍ أَمَا الرُّمَاهُ فَقَدْ
دَرَجًا لَخَالِدٍ وَالْفِرْسَانِ إِنْ هَجَمُوا
مُحَمَّدٌ قَالَ لَا تُخَلُّوا أَمَا كِنُكُمُ
وِطَاعَةُ الرُّسُلِ مِثْلُ اللَّهِ وَاجِبَةٌ
سَبَّغُونَ مِنْ أَهْلِهِمْ فِي الدِّينِ قَدْ قَتَلُوا
لَا رَحَى الْحَرْبِ قَدْ دَارَتْ لِصَالِحِهِمْ

دَعَا الرَّسُولُ إِلَى بَدْرِ لِمُنْتَقِمٍ
فَأَفْلَتَتْ عَيْرُهُمْ مِنْ غَيْرِ مُلْتَحِمٍ
مِنْ كُلِّ شَاكٍ بِخَطِيٍّ وَكُلِّ كَمِيٍّ
إِنَّ اللَّطِيمَةَ قَدْ مَرَّتْ وَلَمْ نُضْمِ
أُذْنًا وَشَدُّوا إِلَى بَدْرِ بِجَمْعِهِمْ
وَالْقَلْبُ فِي ضَرْمٍ بِالشَّرِّ مُتَّسِمٍ
بِنُصْرَةِ اللَّهِ وَالْإِيمَانِ وَالْهَمِّ
يُقَاتِلُونَ خَفَاءً وَالْوُطَيْسُ حَمٍ
وَفُرَّقُوا بَيْنَ مَقْتُولٍ وَمُنْهَزِمٍ
وَصَارَ أَمْرُهُمْ هُزُؤًا بِكُلِّ فَمٍ
وَهَلْ تَخَلَّتْ نَفُوسُ الشَّرِّ عَنْ سَدَمٍ
طَى الْجُحُورِ إِذَا لَمْ تُؤْذَ بِالْثَرَمِ
يَبْغُونَ يَشْرِبُ وَالْأَرْوَاحُ فِي حَلَمٍ
يَدْعُو إِلَى اللَّهِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْقِيَمِ
صَدَّ الْبَلِيَّةِ بِالْخَطِيٍّ وَالْخُسْدِ
خَلُّوا بِتَلٍّ مَنِيعٍ غَيْرِ مُقْتَحِمٍ
وَالسَّهْمُ يَدْرَأُ بِأَسِّ الْفَارِسِ الْقَرَمِ
وَابْثُقُوا عَلَى التَّلِّ حَتَّى لَوْ أُرِيقَ دَمِي
لَمَّا عَصُوا كَانَ دَرْسًا بِالْغِ الْأَلَمِ
حَتَّى الرَّسُولُ قَلَمَ يَسْلُمُ مِنَ الثَّلَمِ
وَأَذْبَرَ الشُّرْكَ تَحْتَ الصَّارِمِ الْغَلَمِ

وقد تناثر فوق الأرض زادهم
فكر خالد بالفرسان فاجأهم
رمات حمزة في أوج الوغى ومضى
ما شاء ربك للإسلام منتكساً
تحصنوا بسفوح الطود فامتنعوا
وحل يأس وإرهاق بمن كفروا
آبت قريش بغيط كاذ يقتلها
واستنفروا العرب أدناهم وقاصيهم
جاؤوا ويشرب في قري وفي سغب
فصلهم خندق عن نيل بغيتهم
سلمان خط فهب المسلمون مع
قام الرسول مع الأتباع معتمراً
وتم إبرام صلح في حديبية
إلا الرسول جلاً المولى بصيرته
وبعد حول أتموا فرض عمرتهم
سعى لخبر لما أن تكشف ما
قد جاء خيبر لا حصن ليعصمه
رمى به الله فانهارت معاقليهم
الغدر شيمة أهل الكفر مذ وجدوا
أردوا خزاعة غدرًا رغم حلفهم
هب الرسول بجيش جحفل لجب

فاتوا أماكنهم مبعغة مقتسم
والمشركون أعادوا جمع صفهم
من ضربة الغدر لا من لهنم البهم
فالمسلمون غدوا كالأسد في الأجم
على العدو وأردوا كل مقتحم
فأدبروا ونجا الإسلام من قحم
فما بنوه لهنم الدين لم يقم
فاستنفر الجبل في مد وفي دعم
في كثرة لو دنت أدت لمختتم
فأوبوا بعد شهر دون مقتسم
نبي للحنر رغم الجوع والحزم
فأوقفتم قريش دون قصديهم
فضج صخب وما أخفوا من البرم
فكان يبصر فتح البيت من أمم
وقد خلت مكة من كل ذي نسمة
قد بيثوه لغزو شامل عرم
وقابلوه بشم العصم وأطم
وشردوا في وهاد الأرض والأكم
والغدر أسوأ ما في النفس من شيم
مع النبي فخانوا نص عهدهم
لفتح مكة فتحا غير منصرم

فُلُّ السُّلَاحِ وما اسطاعوا مقاوَمَةً
ما جاء مَكَّةَ تَنكِيلًا بمن كَفَرُوا
مُغْتَالُ حَمَزَةٍ غَدْرًا نَالَ مَغْفِرَةً
حتى الغريمُ أَبُو سَفِيانَ كَرَّمَهُ
وهَشَّمُوا كُلَّ ما في البيتِ من وَثَنٍ
بِلَالُ أَذَنَ بالبَيْتِ العَتِيقِ وَقَدْ
وَأَسْلَمْتُ مَكَّةَ والمُسْلِمُونَ غَدَوْا
أَتَتْ حَشُودٌ إِلَى الإسلامِ مَائِلَةٌ
فَكَانَ يَوْمَ حُنَيْنٍ بِالْقَنَا دُجِرُوا
حَجَّ الرِّسُولُ معِ الأَتْبَاعِ حَاجَّتَهُ
وكَيْفَ تَدْمَعُ عَيْنٌ بَعْدَ أَنْ بَصُرَتْ
وَحَلَّ يَثْرِبَ والإِيلَامُ مُزْدَهَرٌ
وفى تَبُوكَ جَرَى الرومانُ في هَلَعٍ
كُلُّ إِلَى اللَّهِ ماضٍ في مَسِيرَتِهِ
وما مُحَمَّدٌ بِباقٍ إِنَّهُ بَشَرٌ
لَاقَى الإِلَهَ وَقَدْ أَدَّى رِسالَتَهُ
إِنْ جِئْتَ مَكَّةَ يَمِّمُ نَحْوَ كَعْبَتِهَا
يَكْفِيكَ أَنَّ أَبَا إِسْمَاعِيلَ شَيْدَهَا
وُطِفَ بِسَاحَتِهَا لِلَّهِ مُبْتَهِلًا
واخْشَعُ فَإِنَّ رِسُولَ اللَّهِ قَبْلَهُ
وفى المَدِينَةِ زُرَّ قَبْرَ الرِّسُولِ وَلَا
هَذَاكَ مَنْ في الثَّرَى نَهْجًا وَمَوْعِظَةً
واطْلُبْ مِنَ اللَّهِ رِضْوانًا وَمَغْفِرَةً
سَبَّأْتُكَ لِعَفْوِهِ رَبِّي إِنَّنِي بَشَرٌ

من ذا يُقاوِمُ زَحَفَ الفَجْرِ في الظُّلَمِ
بل جاءَ لِلْهُدَى وَالْغُفْرائِ وَالْحُرَمِ
وهِنْدُ آكَلَةُ الأَكْبَادِ لَمْ تُسَمِّ
وصارَ مَنْزِلُهُ في الأَمْنِ كَالْحَرَمِ
فالبَيْتُ لِلَّهِ لا لِلْمَسْخِ وَالْفَسَدِ
أَمَّ الصَّلاةَ رِسُولُ الخَيْرِ والرُّحَمِ
في الدِّينِ أَخُوَّةَ أَهْلِ الدِّينِ واللَّحَمِ
إِلَّا هِوازَنَ لَمْ تَمُثِّلْ وَلَمْ تَرُمِ
رَغَمَ الكَمائِنِ مِنْ أَمْواجٍ مُلْتَطِمِ
كانتِ وَداعًا بلا دَمْعٍ ولا أَلَمِ
بالْهُدَى يَطْفِئُ مَكانَ الكُفْرِ والعُدَمِ
فوقَ العِزِّيرَةِ والإِيمانِ في عَمَمِ
قَبْلَ اللِّقَاءِ وصارَ البَهِيمُ كالبُهِيمِ
والموتُ غايَةً مَنْ يَسْعَى على قَدَمِ
مَنْ قَبْلَهُ الرُّسُلُ قد عادُوا لِرَبِّهِمْ
وقامَ لِلدِّينِ صَرَحٌ غَيْرُ مُنْهَلِ
وكَعْبَةِ النَّاسِ مِنْ عُرْبٍ وَمِنْ عَجَمِ
وفَجَّرَ اللَّهُ فيها وَرْدَ كُلِّ ظَمَى
سَبْعًا وَهَلَّلَ لِذاكَ الرِّكنِ والتَّثْمِ
لِإِنْ لَثَمْتَ فِذاً مَنْ وارَفَ النِّعَمِ
تَمَسَّكَ الدَّمْعُ مِنْ هَامٍ وَمُنْسَجَمِ
وقالَ هَذا طَريقُ الحَقِّ فَاسْتَقِمِ
إِنَّ الخَطاياَ لَدَيَ الرَّحْمَنِ كَاللَّحَمِ
جَمِ الذُّنُوبِ وَأَنْتَ الواسِعُ الكَرَمِ

حسن على ابراهيم
عضو المجمع

فجر الإعلام في اللغة العربية

للدكتور عمر فرُّوخ

الإعلام

تسمية حديثة خاطئة
لمدرك قديم صحيح :

احتاج البشر منذ أقدم الأزمنة إلى أن ينقلوا عدداً من المعارف إلى مجموع معين من الناس فاستخدموا في سبيل ذلك عدداً من الوسائل والوسائط . وكانت اللغة أبرز تلك الوسائل وأبعدها أثراً : وقل ما عرف البشر وسيلة مادية لنقل المعرفة بين طبقات البشر عبر التاريخ الطويل كهرم خوفو : ولكننا الآن في صدد نقل جوانب من المعرفة من طريق اللغة .

١- **الإعلام : خطأ التسمية وتعريف مدركها**
إن كلمة « إعلام » تفسير لكلمة فرنجية Information ، وهي بدورها كلمة غامضة تستعمل مفردة في اللغة الإنجليزية وتدل على الجمع أيضاً ، كالكلمة القرية منها News ، والمصوغة في الجمع ، ولكنها تدل على المفرد أيضاً .

وما يسمى الإعلام في اللغة العربية غامض أيضاً كغموض الكلمة المقابلة له في اللغات الأجنبية . إن المدرك الحديث « إعلام » يتموج أحياناً كثيرة ، فيتناول الإعلان (بالنون)

حيناً ، والدعاية أو الدعاوة حيناً آخر ، وربما تناول التعلم . وللإعلام نفسه وجهان : وجه برئ مخلص غايته مخاطبة العقل لتعريفه أموراً أساسية صالحة ، ثم وجه خادع ملتو غايته مخاطبة العاطفة في سبيل إقرار أثر في السامعين يتعلق بقضية عارضة ربما تبدل الاهتمام بها غداً أو بعد غد .

وبالرجوع إلى الأصول العربية تبين أن العرب قد عرفوا هذا المدرك الضروري في الحياة الحضرية أو الحضارية فوجدناه في الشعر الجاهلي وفي القرآن الكريم . ولكن الكلمة التي كانت تستخدم قبل الإسلام ثم في القرآن الكريم ، كانت « الإبلاغ » كما في الشعر الجاهلي ، ثم « البلاغ » كما في القرآن الكريم .

٢- **الإعلام حديثاً والبلاغ قديماً :**

والمقصود بالإعلام أو بالبلاغ أن يكون من الحاكم أو من هو في مقامه إلى المحكوم أو من هو في درجته . والإعلام خاصة يكون عادة في نطاق أضيق من حيث المعلم (بضم فسكون فكسر) ، ومن حيث المعلم (بضم فسكون ففتح) .

(*) انظر التعقيبات على البحث في محاضر جلسات مؤتمر الدورة الخامسة والأربعين (جلسة الثلاثاء ٣٠ من ربيع الأول سنة ١٣٩٩ ، الموافق ٢٧ من فبراير سنة ١٩٧٩ م)

كنا في مؤتمر لثل ذلك هوصل الكلام إلى أحد رؤساء الوفود فأطال - (وكان من قبل تلميذاً في صف أحاضر فيه) فأجرت لنفسى أن أستوقفه ثم قلت له : أنت من قبل تلميذى ، وأنا الآن لأفهم ما تقوله . أعرف أن الكلام يجب أن يكون فى «التوعية الشعبية» (كذلك كان العنوان للموضوع) ، ولكنى أرى كلامك يدور حول «إقناع الناس بوجهة نظر الحكومة» . فقال لى : وما أفعل . كذلك قالوا لنا أن نقول : أنا لا ألوم هذا المتحدث فى ذلك المؤتمر فإن الإعلام الحديث لا يمكن أن يفهم إلا فى هذا النطاق .

أما البلاغ فإنه شئ آخر : إنه نقل للمعارف الصحيحة الثابتة إلى مجموع الناس من غير إجبار فى العادة على العمل بها .

٣- وجوه الاعلام الثلاثة فى الجاهلية :

سأقتصر من وسائل الإعلام فى الجاهلية على المعلقات . وسأتناول الكلام على ثلاث معلقات :

(أ) معلقة عمرو بن كلثوم ، وفيها تبجح القوى فى تبرير اعتدائه ، وفى التهديد برد الاعتداء بمثله .

(ب) معلقة الحارث بن حلزة ، وفيها اعتذار الضعيف من انهزامه وتنصله من اعتداء وقع على خصمه لم يكن هو القائم بذلك الاعتداء مع كلام فى الحق والعدل .

(ج) معلقة زهير بن أبى سلمى ، وفيها موقف الحكم العاقل الذى يعرف الفرق بين الاعتداء والدفاع عن النفس ، ولكن زهيراً يتجاوز أسباب القتال للتوفر على الكلام فى نتائجة وفى ضرر تلك النتائج على المعتدى وعلى المعتدى عليه كليهما . كان زهير يدعو إلى حل المشاكل بالسلم لا بالحرب . إنه كان يمثل فى الجاهلية ما تمثله اليوم « منظمة الأمم المتحدة » كما يجب أن تكون منظمة الأمم المتحدة .

أما من حيث الألفاظ ، فقد جاء فى مجال الإعلام فى المعلقات التى اخترتها ألفاظ منها :

— (من جذر بلغ) :

يقول عمرو بن كلثوم : ألا أبلغ بنى الطلاح عنا . ويقول الحارث بن حلزة : ... وأمر الله بآئغ يشقى به الأشقياء—أيها الناطق المبلغ عنا عند عمرو . ويقول زهير : ألا أبلغ الأحلاف عنا رسالة . وكذلك يقول الأعشى (وإن لم أختَر معلقته فى هذا البحث) : أبلغ يزيد بنى شيبان مألكة .

— (من جذر علم) :

والصبيغ من هذا الجذر . ألوفة فى مثل هذا الموضوع . قال عمرو بن كلثوم : ألما تعلموا منا ومنكم كتائب ... ؟ — وقد علم القبائل

من مَعْتَدٌ - وقال الحارث : قد علمتم أيام
ينتهب الناس - واعلموا أننا وإياكم . . .
وقال زهير : وما الحرب إلا ما علمتم
وذقم . وقال الأعشى : سائل بنى أسد عنا
فقد علموا . . .

وكذلك جاء في هذه المعلقات صيغ مختلفة
من الجذور التالية :

من «خبر» (نُخْبِرُكَ وتُخْبِرُنَا) ، ومن «حدث»
(حدثت ، ثلاث مرات) ، ومن «عرف»
(تعرفوا وأعرفنك) ومن «نبا» (الأنباء وأنبأنا)
ومن «زعم» (زعموا) .

٤- الفاظ الاعلام في القرآن الكريم :

وفي القرآن الكريم صيغ مختلفة من ألفاظ
للدعوة ترجع إلى نحو عشرين جذراً .
وسأورد فيما يلي شاهداً واحداً أو أكثر من
شاهد واحد على كل جذر . ويحسن أن ندرك
أن عدداً كبيراً من هذه الألفاظ عامة ، وأن
القرآن الكريم هو الذي جعل منها ألفاظاً
خاصة بالدعوة إلى الإيمان :

بشر - فلنما يسرناه بلسانك لتبشر به
المتقين وتنذر به قوماً لدا (١٩ : ٩٧ ،
مريم) .

بعث - ربنا وبعث فيهم رسولا منهم
يتلو عليهم آياتك (٢ : ١٢٩ ، البقرة) .
بلغ - يا أيها الرسول ، بلغ ما أنزل إليك
من ربك ، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته
(٥ : ٦٧ ، المائدة) .

هذا بلاغ للناس ولينذروا به (١٤ : ٥٢ ،
إبراهيم) .

وما على الرسول إلا البلاغ المبين (٢٤ :
٥٤ ، النور) .

بَيِّنْ - قد جئتكم بالحق لأبين لكم بعض
الذي تختلفون فيه (٤٣ : ٦٣ ، الزخرف) .

وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل
إليهم (١٦ : ٤٤ ، النحل) :

وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه
ليبين لهم (١٤ : ٤ ، إبراهيم) .

تَسْمِعْ - اتبع ما أوحى إليك من ربك
(٦ : ١٠٦ ، الأنعام) :

وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا
لعلكم ترحمون (٦ : ١٥٥ ، الأنعام) .
تلو - وائل ما أوحى إليك من كتاب ربك
(١٨ : ٢٧ ، الكهف) .

ربنا وبعث فيهم رسولا منهم يتلو
عليهم آياتك (٢ : ١٢٩ ، البقرة) .

جَوِّبْ - يا قومنا ، أجبوا داعي الله
وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم (٤٦ : ٣١ ،
الأحقاف) .

استجيبوا لربكم من قبل أن يأتى يوم
لا مرد له من الله (٤٢ : ٤٧ ، الشورى) .
دعا - داعي الله (انظر فوق) .

- قال رب إني دعوت قومي لیسلا
ونهاراً ، فلم يزدتهم دعائى إلا فراراً . وإني

كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم، واستغشوا ثيابهم، وأصروا واستكبروا استكباراً . ثم إني دعوتهم جهاراً . ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسراراً . . . (٧١ : ٥ - ٩ ، نوح) .

— ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة (١٦ : ١٢٥ ، النحل) :

— يأيها النبي، إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً . وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً (٣٣ : ٤٥ ، ٤٧ ، الأحزاب) .

ذكر — فذكر بالقرآن من يخاف وعيد (٥٠ : ٤٥ ، ق) :

— فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون (٥٢ : ٢٩ ، الطور) .

— فذكر إنما أنت مذكر (٨٨ : ٢١ ، العاشية) :

— أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم (٧ : ٦٩ ، الأعراف) .

— ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر (٥٤ : ١٧ ، ٣٢ ، ٤٠ ، القمر) .

— وما هو إلا ذكر للعالمين (٦٨ : ٥٢ ، القلم) .

— إن هو إلا ذكر للعالمين (٨١ - ٢٧ ، التكويد) .

— قل : لا أسألكم عليه أجراً، إن هو إلا ذكر للعالمين (٢٠ : ٤٢ ، طه) .

— إن هذه تذكرة ، فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً (٧٣ : ١٩ ، المزمل) .

— فما لهم عن التذكرة معرضين (٧٤ : ٤٩ ، المدثر) :

رسل — (أوسع المواد في هذا المعنى) .

— هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله (٩ : ٣٣ ، التوبة : ٤٨ : ٢٨ ، الفتح : ٦١ : ٩ ، الصف) .

— وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليُبين لهم (١٤ : ٤ ، إبراهيم) .

— يأيها النبي ، إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً . وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً (٣٣ : ٤٥ - ٤٧ ، الأحزاب) .

سمع — وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا : قد سمعنا . لو نشاء لقلنا مثل هذا ، إن هذا إلا أساطير الأولين (٨ : ٣١ ، الأنفال) .

وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه (٩ : ٦ ، التوبة) :

— وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق (٥ : ٨٣ ، المائدة) .

— إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون (٢٧ : ٨١ ، النمل ؛ ٣٠ : ٥٣ ، الروم) .

— ومنهم من يستمع إليك ، وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه (٩ : ٣٥ ، الأنعام) .

عرف — مما عرفوا من الحق (انظر فوق) .

— فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض (٦٦ : ٣ ، التحريم) :

تلو — يتلو عليكم آياتنا ، ويعلمكم الكتاب والحكمة (٢ : ١٥١ ، البقرة ؛ ٣ : ١٦٤ ، آل عمران) .

نبأ — نبى عبادى أنى أنا الغفور الرحيم (٤٥ : ٥٩ ، الحجرات) .

— ويستنبئونك أحق هو ؟ قل : إى ، وربى : إنه لحق (١٠ : ٥٣ يونس) .

ندى — ونادى فرعون فى قومه ، قال : يا قوم ، أليس لى ملك مصر ؟ (٤٣ : ٥١ الزخرف) .

— ربنا ، إننا سمعنا مناديا ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنوا (٣ : ١٩٣ آل عمران) .

— إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله .

نذر — (هذه المادة واسعة جدا)

— واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا إلا الله (٤٦ : ٢١ الأحقاف) .

— سواء عليهم أن نذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون (٢ : ٦ البقرة ؛ ٣٦ : ١٠ يس ؛ ٦ : ١٩ الأنعام) .

— وأوحى إلى هذا القرآن لأنذركم به ، ومن بلغ ، أنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى ! قل لا أشهد ، قل : إنما هو إله واحد ، وإننى برئ مما تشركون (٦ : ١٩ الأنعام) .

— وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذى بين يديه ولنذر أم القرى ومن حولها (٦ : ٩٢ الأنعام) .

— أو عجبت أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم (٧ : ٦٣ ، ٦٩ الأعراف) .

— فلولوا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم (٩ : ١٢٢ التوبة) .

— وأنذر عشيرتك الأقربين (٢٦ : ٢١٤ الشعراء) .

— لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم فهم غافلون (٣٦ : ٦ يس) .

— هذا بلاغ للناس ولينذروا به (١٤ : ٥٢ إبراهيم) .

— يا أهل الكتاب ، قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا

ما بچاءنا من بشير ولا نذير ، فقد جاءكم
بشير ونذير (٥: ١٩ المائدة) .

رَقِضِي ربك ألا تعبدوا إلا إياه
(١٧ : ٢٧ الإسراء)

— وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء
مقطوع مصبحين (١٥ : ٦٦ الحجر) .

وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن
في الأرض (١٧ : ٤ الإسراء) .

وما كنت بجانب الغربي إذا قضينا إلى
موسى الأمر (٢٨ : ٤٤ القصص) .

هدى — أولئك الذين هدى الله ، فبهدهم
اقتده (٦ : ٩٠ الأنعام) .

— بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان
(٤٩ : ١٧ الحجرات) .

— وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى
على الهدى (٤١ : ١٧ فصلت) .

جعل — وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا
إليهم فعل الخيرات (٢١ : ٧٣ الأنبياء) .

— فقالوا : أبشر يهودنا ؟ فكفروا
وتولوا (٦٤ : ١٦ التغابن) .

— إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم
(١٧ : ٩ الإسراء) .

— إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى
مصدقاً لما بين يديه يهدي إلى الحق
(٤٦ : ٣٠ الأحقاف) .

— فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام
(٦ : ١٢٥ الأنعام) .

— اهدنا الصراط المستقيم (١ : ٦ الفاتحة) .

— فإن أسلموا فقد اهتدوا ، وإن تولوا
فإنما عليك البلاغ (٣ : ٢٠ آل عمران) .

— إنما أنت منذر ولكل قوم هاد .

— وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى
إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولا (١٧ : ٩٤ ، راجع ٥٥ الإسراء) .

— ولقد آتينا موسى الهدى وأورثنا
بني إسرائيل الكتاب (٤٠ : ٥٣ غافر) .

— هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين
الحق ليظهره على الدين كله (٤٨ : ٢٨
الفتح) .

وعظ — قالوا : سواء علينا أوعظت أم لم
تكن من الواعظين (٢٦ : ١٣٦ الشعراء) .

— فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى
فله ما سلف (٢ : ٢٧٥ البقرة) .

— هذا بيان للناس وهدى وموعظة
للمتقين (٣ : ١٣٨ آل عمران) .

— يا أيها الناس ، قد جاءكم موعظة
من ربكم وشفاء لما في الصدور (١٠ : ٥٧
يونس) .

— ادع إلى سبيل ربك بالحكمة
والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن
(١٦ : ١٢٥ النحل) .

ثم استعرضت عدداً من رسائل الرسول
صلى الله عليه وسلم في «جوهرة رسائل العرب»

من تأليف أحمد زكى صفوت (الجزء الأول
مصر (١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م) فوجدت تعابير
منها : أدعوك بدعاية الإسلام (ص ٣٣ ،
٣٤ ، ٣٦ ، ٤٦) - دعوتك (ص ٣٩) -
أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده (ص ٤١) -
يدعوهم (ص ٤٥) - ادعوهم إلى الإسلام
(ص ٦١ ، ٦٢) - ادعوهم إلى عبادة الله
(ص ٧٦) ، ونجد في هذه الرسائل وفي رسائل
الصحابة الخلفاء عدداً من الألفاظ التي كانت
قد مرت بنا في الكلام على ألفاظ القرآن
الكريم ، مثل : بلغ (ص ١١٤ ، ٣٩٣ ،
٤٤٤) - علم وأعلم (ص ٣٢٥ ،
٣٧٥) .

وهناك عدد من هذه الألفاظ يرد في
خطب الرسول ، وخصوصاً في خطبة
الوداع : في قوله عليه السلام : «...ألا هل
بلغت ، اللهم فاشهد » (بضع مرات) .

ذلك عدد من الألفاظ الدائرة في الإعلام
جمعتها من عدد من المعلقات ، ومن القرآن
الكريم ، ومن عدد من رسائل الرسول عليه
السلام . وقد بدا لي :

أن الإسلام اختار كلمة «بلاغ» مع عدد
من مشتقاتها في مقابل كلمة «إعلام»
الدائرة في الاستعمال الحديث .

ثم بدا لي أن كلمة «بلاغ» كانت تعني
عرض الحقائق المقصودة بلا لبس ،
وليس ذلك غير منتظر في مقام الدعوة

إلى الإسلام . أما كلمة «إعلام» الحديثة ،
فالمقصود منها توجيه الجانب الغالب من الرأي
العام وجهة مخصوصة آتية قد تبدل في غد
أو بعد غد ، ثم تعود إلى ما كانت عليه قبل
مدة .

إن الإعلام الحديث لا يرمى إلى بسط
الحقائق بقدر ما يرمى إلى عرض الحقائق
أحياناً عرضاً جزئياً . وربما صنع قرائن
وأقامها مقام الحقائق .

وعنده الإعلام الحديث التوجه إلى الجمهور
الغالب من الناس ممن يصدق فيهم قول
المتنبى :

إنما تسرع المقالة في المرء
إذا صادفت هوى في الفؤاد

فالعامية أكثر انجرافاً مع الإعلام
البارع من المثقفين الذين لا يتأثرون عادة
بالدعوات القصيرة الفترات .

وألفاظ الإعلام الحديث ذات خاصيتين :
١- كلمات ذات رنة يتداولها الناس بكثرة ،
وليس من الضروري أن يكون معناها مفهوماً
أو واضحاً عند الذين تلقى عليهم .

٢- كلمات جديدة ذات سهولة في
اللفظ أو غرابة في اللفظ أو قوة لفظية .
وسأضرب على كل نوع من هذه الكلمات أمثلة
موجزة :

- نشأ في العالم سلسلة من الفنادق أطلق عليها
اسم «هلتون» من اسم صاحب هذا المشروع

لسلسلة الفنادق واسمه الكامل كونراد نيكلسون هلتون ، ولد عام ١٨٨٧ م ، وكان لا يزال حياً في عام ١٩٧٣ م . وما كادت فنادق هلتون تعلو في بلادنا حتى تسابق العوام إلى اهتبال الفرصة بتسمية أعمالهم « هلتون » . فعلى مقربة من مجمعا اللغوى ذكة صغيرة لإصلاح الأحذية اسمها هلتون ، وهنا وهناك أماكن مشابهة لذكة إصلاح الأحذية تترين باسم هلتون .

— وفي عام ١٩٧٠م أقيم معرض في اليابان أطلق عليه اسماً مختصراً هو Expo 70 ، فتسابق العامة إلى إطلاق كلمة إكسبو على محل بائع طعمية ، على محل تجارى ، على معمل نجارة ، الخ .

— وعندنا في بيروت محل لبيع الحلوى الفرنجية اسمه « موناليزا » ثم محل للتزيين للسيدات ، فيما أتذكر وغيرهما .

هذا على صعيد العامة ، من حيث الألفاظ ، والعامة معنورون في ذلك . أما على صعيد أشباه الخاصة فالأمر أدهى وأمر .

— كثر في المدة الأخيرة استعمال صيغتين : توافر بمعنى كثر ، والمقصود وفر في أحد معانيها . أما توافر (كما جاء في المعجم الوسيط) فعناها يرجع إلى كرم الأصل وما يشبهه . وأما الصيغة الثانية فهي «تواجد» بمعنى حضر . وتواجد معناها الصحيح «دخل في الوجد أو الانجذاب الصوفي طريق الغيبة عن الحس» .

وهناك ألفاظ كثيرة تؤخذ من اللغات الأجنبية ، وتطلق بلامتياز على ما يوافق معانيها أولاً يوافق معانيها . قرب بيتنا في بيروت محل لبيع الحلوى اسمه بيليه (وهو لاعب كرة قدم برازيلي فيما أظن) . ودكان لبيع الأحذية اسمه أولد شو (الحذاء العتيق) ومحل صغير لبيع النسيج اسمه بوتيك شوب (دكان دكان) . وهناك محل اسمه برسيوسا فإذا كانت الكلمة مأخوذة من الإيطالية فيجب أن تكتب برسيوزا . أما إذا كانت مأخوذة من الإسبانية فكتابتها الصحيحة برثيوسا ؟ وفي القاهرة إعلانات كبيرة عن « شاي أبي نواس » ؟ وما أعتقد أن أبا نواس كان يعرف الشاي أو كان يحب الشاي لو عرفه ؟

هذا على صعيد الألفاظ . أما على صعيد النصوص الإعلامية فكثيراً ما نقرأ مثل هذا النص :

جاءنا من وزارة الإعلام ما يلي :
وصل أمس كورت فالدهايم إلى بيروت فاستقبله في المطار وفد كبير فيه فلان وفلان . وبعد قليل اختلى فالدهايم بوزير الخارجية ساعة كاملة . وقد كانت وجهات النظر بينهما متفقة اتفاقاً تاماً .

وقد صرح فالدهايم لمندوبنا أن الأمم المتحدة والدول الصديقة حريصة على أن تتمتع المنطقة بالهدوء والازدهار ، كما يجب أن ينال كل فريق حقوقه المشروعة ثم

قال فالدهايم: إنه مستعد دائماً لأن يبحث مع جميع الفرقاء في كل الموضوعات التي تهم المنطقة .

(١) في أثناء الثورة السورية أو الثورة الدرزية كنت طالباً في كلية الآداب في الجامعة الأميركية في بيروت . فطلب من أستاذ التاريخ أن نأق بدفتر كبير ، ثم نقطع البلاغات التي تصدر في كل يوم لتكون تلك البلاغات سجلاً نرجع إليه حينما نريد في المستقبل أن ندرس أحداث تلك الثورة . فجننا بسجل فاخر تعاوننا على شرائه ، وأخذنا في كل يوم نقطع بلاغاً أو بلاغين تصدرهما سلطة الانتداب الفرنسي في سوريا ولبنان ، ونلصق ما نقطعه من الصحف في ذلك الدفتر . ولما انتهت الثورة وجدنا من الخير للتاريخ ولدرس التاريخ أن نرمي بذلك السجل في زاوية من زوايا الغرفة ، لعل أحداً يتناوله فيستخدمه فيما هو أنفع .

(ب) المعروف أن كل وزارة في العالم تتقدم إلى الشعب ببيان وزارى واحد أو بأكثر من بيان وزارى واحد في أثناء فترة حكمها ، والقاعدة الدستورية أن يضع أفراد الوزارة هذا البيان بالتشاور فيما بينهم ، وليس من الضروري أن تكتب الملكة الزايت الثانية خطاب العرش الذى تلقيه في مجلس النواب ، ولا أن ينشئ كل رئيس وزارة كل بيان تتفق عليه وزارته .

ومنذ أنشئت الوزارة في لبنان - قبل الاستقلال وبعد الاستقلال - وكل بيان وزارى يتضمن الأمور التالية : تحسين الأوضاع العامة للشعب اللبنانى - إيصال الماء والكهرباء إلى كل قرية في لبنان - جعل التعليم مجانياً للجميع - . . . إلخ . ولا يزال كل بيان وزارى يجد من الحاجة أن يعيد تعداد هذه الأمور إلى اليوم ، غير أن الصحف في كل مرة تمدح البيان الوزارى وتبشر بما فيه من وجوه الإصلاح وما سيحققه من وجوه التقدم والرفعة .

(ج) آخر ما بثته الحكومة اللبنانية من أساديث الإعلام حديث عن « متانة الليرة اللبنانية » . في عام ١٩٢٧ مثلاً كانت الليرة العثمانية الذهب تساوى خمس ليرات لبنانية ونصف ليرة . وكانت الليرة الإنكليزية الذهب تساوى ست ليرات وربعا ، وكان الجنيه المصرى الورق يساوى واحداً وعشرين شلناً إنكليزياً . وكنا ندفع قسط جامعة بيروت الأميركية ستة عشر جنيهاً مصرياً ، وفي عام ١٩٣٥ اشترت بذلة « سموكنج » خاطها الخياط بائنتى عشرة ليرة لبنانية ، أو بنحو مائة وخمسة وسبعين قرشاً مصرياً .

أما اليوم فإن الليرة العثمانية الذهب تساوى مائتين وسبعين ليرة لبنانية أو خمسين ضعفاً مما كانت تساوى من قبل : وأما حديث

الإعلام الرسمي، فقد أراد تبرير ارتفاع الأسعار في بيروت : فقال بالحرف الواحد «إن التهمة النقدية لليرة اللبنانية لم تنخفض قط ، ولكن القيمة الشرائية لليرة هي التي انخفضت » وكان في السامعين من صدق الحديث الإعلامي وكان فيهم من لم يصدقه.

(د) إذا أنت خاطبت أحداً في الولايات المتحدة وجاها أو بالتلفون سمعت منه في كل نصف دقيقة عشرين مرة أو كى O. K. .

في القرن الماضي هاجر إلى الولايات المتحدة رجل هولندي فاتفق أن عين مراقباً على خروج البضائع من الحمرل . ويبدو أن معرفته باللغة الإنكليزية المكتوبة لم تكن وافية . فقليل له : إذا استوفت السلعة دورانها في المراقبة ودفع الرسوم فاكتب عاها: All Correct كل شيء صحيح . ولكن صاحبنا كان كسلان ، فلم يشأ أن يكتب الكلمتين فكان يكتب الحرفين الأولين من كل كلمة منهما . ولكن الرجل الهولندي كان يتكلم لغة تكتب كما تلفظ فكان يكتب أو كى O. K. . بدلا من A. C. . والأميريكيون أنفسهم اليوم يقولون أو كى ، ومنذ وقت قريب أنزلت الحكومة اللبنانية إلى الأسواق نوعا من السكاير سمته «أو كى» .

(هـ) كنت مرة عند بائع الجبن الذي أشتري منه ، فجاء رجل وقال له : بحياتي عليك كان لكم بالأمس إعلان في التلفزيون عن شيء نسيته الآن. فما هو ؟ فقال له الرجل : كان ذلك عن النوع الفلاني . فقال له الرجل : أعطني منه .

(و) وفي مرة ثانية جاء رجل وقال له أعطني من الجبن الذي يؤكل مع الخيار .

(ز) كنت مرة في بلد عربي في جماعة معي ، فرتبت للجماعة زيارة إلى مصنع للسكاير وكان المصنع ذلك على غاية من النظافة والنظام والترتيب ، وكانت العناية بالآلات والأدوات وبالسكاير صنعا وتغليفاً وتعبئة مما يثير الإعجاب . وفيما كنا خارجين سألت الدليل الذي كان معنا : « أنتم هنا تهتمون بصنع الرغيف كما تهتمون بصنع السيكايرة ؟ رأيت الجواب في وجهه وعينه ولم أسمع من فله .

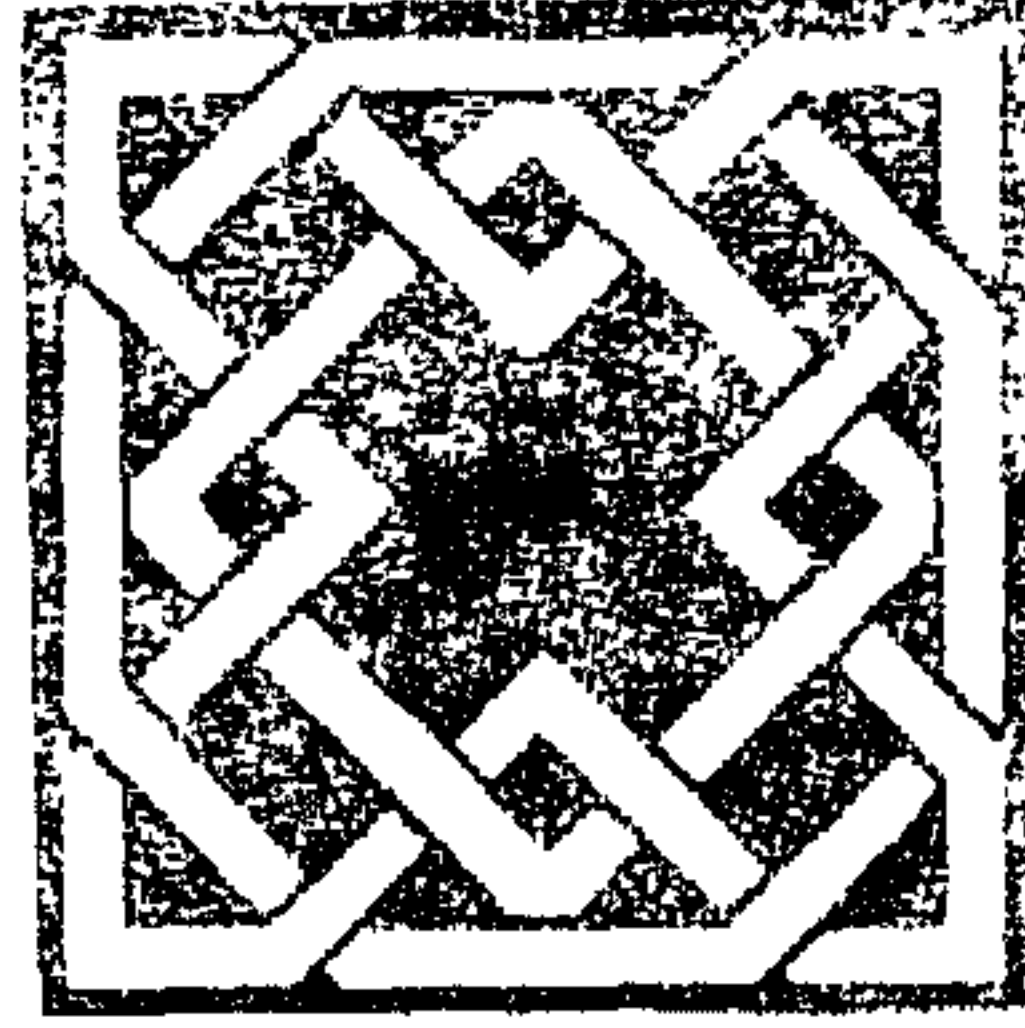
(ح) وفي مرة أخرى كنا في مكان آخر في مصنع للصابون . طفتنا في المصنع كله فأنتهى بنا المطاف إلى مكان التعبئة . وكان المشرف على إعداد الصابون يشرح لنا كل مايتعلق بالصابون ، من جلب مادي الصودا والزيت إلى المعمل حتى تغليف قطعة الصابون ،

ولما انتهى الرجل من الشرح دار على الزوار
بقطعة جاهزة من الصابون، فكان بعضهم
يشم القطعة ويتمم بكلمات معروفة، وكان
منهم من يعجب بلونها، وكانت القطعة تمر
بنفوسهم بلا حركة، فلما وصلت القطعة
إلى يدي غمزتها قليلاً. وتنبيه المشرف إلى
حركة يدي فقال لي: «ماذا نفعل؟ السوق
لا ترحم، ونحن نحتاج إلى أن نعجل في

صنع الصابون ولا نستطيع أن نتريث كثيراً
في أثناء طبخه».

هنا لا بد من ملاحظة: أن اختيار وسائل
الإعلام وتخير الكلمات لتلك الوسائل
لا يرجعان إلى المشرف على الإعلام بقدر
ما يرجعان إلى مقدرة المقصودين بالإعلام
على الاستيعاب وعلى الانجراف في تيار
الإعلام.

عمر فروخ
عضو المجمع من لبنان



اللغة العربية وسائل الإعلام

د. محمد بن عبد الله العيسى

اللغة العربية :

و درس المدارس ، والتغلغل في فهم أسرارها واكتناه دخائلها والوصول إلى جوهر فلسفتها ، بل على العكس هي في أمس الحاجة إلى ذلك ، لاسيما وهي تواجه تحدياً كبيراً في عصرنا الراهن من تسرب العجمة إلى أبنائها ، ومن ثم فقد أنشئت الكليات المتخصصة لتخدم مقاصد هذه اللغة وظهرت الجامعات العتيدة لتطویرها حتى تقبوا مكانتها اللائقة بها في الديوع والانتشار في كافة المجتمعات باعتبارها أم اللغات ، وأكثرها فضلاً وأوسعها متناً ، وأشملها استيعاباً .

إلا أن هذه اللغة رغم الدراسات المستفيضة في سبيل تدريسها وتيسيرها فهي صعب ، شמוש لا ينقاد حرانها ، ولا يلين نفورها إلا لدوى المم العالية ، والعزائم القادرة ، والدكاء المتوهج ، ومن هؤلاء علماءنا الجهابذة الأرائل الذين كانوا مثلاً علياً في عبقرية الفكر ، وسموق المم ، وطموح النفوس ، حتى بلغوا في الفهم والبصيرة وحسن الإدراك أبعاد الغايات ، وحققوا أسامي المطالب ،

أصبحت اللغة العربية بخصائصها ومزاياها وجمهورها الكبير — من أهم اللغات العالمية ، وأضحت لها مكانة بارزة في عالمنا المتحضر ، سواء في مجال دراستها ، أو في مجال كثرة المشغلين بها ، أو في مجال ، إقرار التخاطب بها في العديد من المحافل الدولية في معظم أنحاء المعمورة .

لقد كرم الله تعالى هذه اللغة بأن جعلها لغة كتابه الكريم الذي تكفل بصيانته بقوله جل شأنه : (إنا نحن نزلنا الذكر ، وإنا له لحافظون) ، وما دامت لغة القرآن هي العربية فإنها ستظل — بإذن الله — مصنونة عزيزة ، تمتنع على الهرم ، وتتألق ما طال بها الزمن ، وثبتت على مر العصور والأجيال .

والمجال ليس مجال إبراز هذه اللغة ، والحديث عن سمو مكانها فذلك لون من الحديث المكرور ، والكلام المعاد . . . وقد ألفت في هذه اللغة آلاف الكتب ، واشبعت درساً وبحثاً ، ولو أراد باحث أن يستقرئ ما كتب في هذا الشأن لأعياه البحث وأعجزه التقصي . وليس معنى هذا أن هذه اللغة السميحة لم تعد في حاجة إلى المزيد من تعمق الباحثين

(١) انظر التتبعيات على البحث في محاضر جلسات مؤتمر الدورة الخامسة والأربعين (جلسة الأربعاء غرة ربيع الآخر

سنة ١٣٩٩ هـ ، الموافق ٢٨ من فبراير سنة ١٩٧٩ م) .

ودانت لهم طرائق البحث ومناهجه حتى
خلفوا لنا هذا التراث الزاهر الضخم ، ينبى
عن معاناة بالغة ، ويفصح عن جهد عتيد .

على أنه لا ينبغي لنا أن نقول : (هل غادر
القدماء من متردم) بل إن علينا إن نوقف
أبناء العربية المحدثين حتى يزدوا في البناء
الشامخ ، ويبثوا حيث انتهى الأولون ،
وينبغي أن نرصد الجوائز القيمة ، ونيسر
الحوافز السخية لكل من توفر ويتوفر على
تركيز جهده وتكريس وقته لخدمة العربية
بصبر وحرص ، وإصرار ، وإيمان ، وأن
نشيد بالأعمال التي بذلت وتبذل في هذا
السبيل ونحفظ لها مكانها الرفيع ، وأن نكرم
أعلامها البررة على ما عملوا وعلى ما عانوا
وصابروا وكابدوا . . حتى نحثهم بذلك على
متابعة عملهم المرجو المشكور ونشجع الآخرين
من أبناء الأمة العربية . . على النهج على
منوالهم والسير على نهجهم .

إن اللغة العربية هي رابطة مقدسة كبرى
لهذه الجماهير الكبيرة الناطقة بها ، وقد
أصبحت كثير من الأمم الغربية عنها تسعى
لتعلمها والإلمام بها كى تفيد من مجالات الخ
ومن ركائز الاقتصاد والنماء في بعض مناطقها
وبلاد الإنجليز في الحاضر مثلاً دليل واضح
على ذلك .

ولأن اللغة العربية هي لغة القرآن فإن
مجموعه الدول الإسلامية — من منطلق

إسلامي — تحرص على تعلمها ليعود عليها
ذلك بالنفع في شؤون دينها .

ولا يبعد عن الذهن أن اللغة العربية تملك
من تعدد حروف الهجاء ما لا تملكه اللغات
الأخرى كما أنها — بكثرة مترادفاتنا وخصوصية
معانيها — من أطوع اللغات للنحت والاشتقاق ،
وهذا ما ساعد حديثاً على تعريب كثير من
الصيغ والمسميات ، والمصطلحات الأجنبية ،
وأثرى العربية ثراء كبيراً .

وإذا كانت دراسة العربية ليست بالأمر
السهل وهذا ما يلجأ إليه بعض خصومها في
مناوئها فإن هذه الصعوبة واردة في دراسة
معظم اللغات الحية ولكن الصبر والجلد يدلان
كل الصعوبات ويزيلان أكبر العوائق .

وسائل الاعلام :

عصرنا الحاضر هو عصر إبلاغ وإعلام
ولذلك تعددت وسائل الاعلام فيه من
صحافة ، وإذاعة ، وخطابة ، وتلفزة ،
ومسرح ، وسينما ، وهي الوسائل المؤثرة
في الجماهير ، واللغة مع بعض العناصر . . .
الأخرى هي أداة هذا الإعلام وسيله إلى
الوصول إلى جمهرة الناس والتأثير فيها سلباً
أو إيجاباً ، وأخذاً أو عطاءً . . . وقد
يعلو شأن أمة من الأمم على غيرها إذا
كانت وسائل إعلامها أقوى وأبرز .
وطريقتها في التأثير أذكى وأوعى .

فالأمة المعالجة تحسب في طلائع الأمم رقياً ، إذا كان إعلامها متركزاً إلى حقائق دامغة وأسس ثابتة وإلا كان ضرره أكثر من نفعه وتشبه الأمة المعربة الخطيب المفوه والكاتب المبين اللذين يبينان عن حاجتهما ومقاصدهما ببلاغة ويسر ، أما الأمة المعجمة فهي شبيهة بالعمى وبالأبكم اللذين هما كلف قبيح في وجه مجتمعهما .

وقد عايناً قال الشاعر الخضر بن تولى مستعيناً بالله من الحصر والعبي :
أعدنى رب من حصر وعى
ومن نفس أعالجها علاجاً

ولا شك أن الأمم اليوم في حاجة إلى تنشيط وتدعيم وسائل إعلامها فالإعلام الحبير يلتقي أضواء ساطعة على ماضي الأمة وتراثها ، كما أنه يبرز الجوانب المشرقة من حاضرها ويبين ماهي عليه أو ماتصوبوا إليه من عزة ومنعة ، أو من تطلع إلى مستقبل حافل يمثل الخير والحق والجمال .

وتلجأ الأمم إلى الإعلام مثلاً في جلب المنافع ، ودفع المضار بإبراز ماتملك في نواحي العلم والفنون والثقافة والآثار أو ما منعه من ظواهر طبيعية تجذب إليها السائحين كما أنها تلمح - من طرف خفي - إلى ماتملكه من عناصر القوة والسطوة مما يخيف أعداءها، ويجعلهم يحسبون الحساب الكبير لمحاولة الأضرار بها .

ولا شيء أبلغ تأثيراً من الإعلام الرشيد في الدعاية إلى فكرة حسنة ، أو الحث على منهاج قويم .

كما لا شيء أسوأ من الإعلام المضلل الذي يقود إلى المزالق والمهالك وإذا كانت الإذاعة، والتلفزة هما أحدث وسائل الإعلام فلا بأس من أفرادها بإيضاح موجز .

(١) الإذاعة :

تكاد تكون الإذاعة أولى وسائل التأثير في جماهير الناس فهي من العوامل الهامة لتكوين رأى عام في المجتمعات الإنسانية ذى أبعاد وأهداف ، وهي أداة فعالة لنشر الثقافة والإحساس بوحدة المسؤولية وإيقاظ الوطنية وروح التعاون البشرى .

وبالنسبة لدعم انتشار اللغة العربية تكاد تكون الوسيلة الأم إذا أحسن استغلالها فهي من خلال العربية الفصحى يمكن أن توحد سائر اللهجات العربية وتصهرها في بوتقة واحدة .

والإذاعة بطبيعتها ذات جمهور عريض وموصل ممتاز - كما تقدم - لمختلف نواحي المعرفة والأخبار والتسلية والترفيه وتعليم اللغات الحية ، وما إلى كل أولئك .

وكما أن لها حسناتها فإن لها بالتالى بعض العائب كاستفاد المستمع بتلق سلبى دون المشاركة في حركة الإبداع ، والهيمنة على

المستمع بقوة التأثير ، وفرض مواد
إعلانية قد يتضايق لها السامع .

(ب) التلفزة :

أما التلفزة فتلتقي مع الإذاعة في بعض
نخصائصها وتفرق عنها من حيث إن المرئي
غير المسموع ، والغائب غير المشاهد ، فأنت
في الإذاعة تتخيل الصور ، أما في التلفزة
فتراهما ماثلة عياناً ناطقة أمامك .

وتكاد التلفزة أن تكون امتداداً للمسرح :

كما أن الإذاعة تتيح قسطاً من الحرية
للمتحدث فالكلام في الإذاعة هو أكثر
طبيعية ، أما التلفزة فتستدعي قسطاً من التوتر
والاحتشاد والتكلف في الحديث والهيئة .

كذلك فإن الممثل الإذاعي يمكنه أن يقرأ
دوره من ورقة مكتوبة وهو يؤديه أما الممثل
في التلفزة فإن عليه أن يحفظه غيباً حينما يؤديه
عبر الشاشة .

والتلفزة أكثر إراحة للمشاهد لأنها تجمع
أمامه صور الأشياء دون حاجة إلى استعمال
خياله وكده في تصورهما .

والتلفزة في حد ذاتها أداة ذات خطر فقد
جارت على كثير من وسائل الإعلام فسلبتها
جانباً كبيراً من جماهيرها واغتصبت بعض
نخصائصها وهذه الوسائل هي الإذاعة
والمسرح والصحافة والسينما .

وإذا كان الإعلان مضايقاً في الإذاعة فإنه في
التلفزة أقل مضايقة لاسيما إذا أبتعد عن التسلسل
خلال البرامج الشائعة وذلك لما يحتويه من
لحظات جمالية في الإخراج .

كيف تستفيد اللغة العربية من وسائل الإعلام:

إن الإفادة من وسائل الإعلام متعددة
وتسخير هذه الوسائل لخدمة العربية أصبحت
واجباً محتماً إذا أردنا للغة سعة الانتشار
وسرعته وهو ما نهدف إليه جميعاً .

ومن الأسباب الفعالة إعداد برامج ثقافية
عربية قوية بطريقة جد مشوقة وتقديم هدية
للبلاد الأخرى لتعرض لديها في قنوات
الإذاعة والتلفزة .

وكذلك إعداد برامج موسعة لتعليم اللغة
العربية يقوم بها متخصصون اكفاء . .
تقدم هي الأخرى بطريق الإهداء .

ويمكن أيضاً إرسال بعوث من الإعلاميين
العرب للمشاركة في وسائل الإعلام الخارجية
يشاركون بالجهد والمال في إنشاء إذاعات
باللغة العربية وتتكفل بلادهم بتأمين متطلباتهم
الذاتية ولاشك أن وفادتهم ستلقى الترحيب
الكامل من البلاد التي يوفدون إليها .

والوسائل عديدة لاستفادة العربية من
الإعلام الحديث متى صدقت النيات وصلبت
العزائم . ومن أهمها التزام العربية الفصحى
وحدها .

خاتمة :

وخلاصة القول أن اللغة العربية بسعتها وشمولها ودقتها ، وروعة مفرداتها وجمال تراكيبها ومتانة بنائها أداة طيعة مرنة للإعلام تستوعب حاجته ولا تضيق بمطالبه ، وإذا أحسننا الأخذ بهذه الأداة فإن إعلامنا سيبلغ الأوج ، ويستولى على الأمر .

كما أن العربية يمكن أن تفيد بدورها من وسائل الإعلام انتشاراً وذيوعاً .

ولاشك أن من الواجب دائماً مضاعفة العناية بتدريس اللغة العربية والتدقيق في اختيار الإعلاميين من أبنائها من محاضرين إذاعيين وصحافيين وكتاب رواية وتمثيلية وقصة فما أضر قضايا اللغة العربية في إعلامنا الحديث غير الاعتماد على قاصرة الأداة ومستصعب السهل ، فهؤلاء من عوامل تعثر العربية ، وانحراف مسارها في قنوات الإعلام الصحيح وهم بالتالي لن يفيدوا من خصوبة هذه اللغة ، ووفرة عطائها .

ومن المؤلم حقاً أن يسيطر الكثيرون من هؤلاء المهازيل الكسالى على الأداء الإعلامى وتصبح أخطاؤهم وغلطاتهم مفردات وجملاً - سائدة مهيمنة على لغة الإعلام والمكتوب والمنطوق ، وبحكم التقادم فإنها تضحى

أمثلة تحتذى بل إن بعضها قد أخذ طريقه إلى التداول والاستعمال ليس على مستوى الجماهير فحسب ولكن على مستوى بعض من يسمون بالخاصة .

إن من الضروري انتقاء الأشخاص المشتغلين بالإعلام من العناصر الممتازة ذوى الكفاءة اللغوية وهم ولله الحمد أكثر من متخرجى الكليات المتخصصة كما أن من الواجب متابعة الدرس والبحث في جعل العربية أكثر مرونة وأيسر تلقيناً ، ولا شك أن علماء العربية المعاصرين مهتمون أوسع اهتمام بتدليل عقبات اللغة ، متفهمون روح هذا العصر العجولان الذى هر عصر (الشطيرة) كما هو عصر (الذرة) .

وأخيراً فإن الكسب المعنوى والمادى الذى تجنيه الأمة العربية داخلاً وخارجاً - من استعمال اللغة العربية فى وسائل الإعلام لا يقدر بثمن .

هذه خطرات بالغة الإنجاز ، مكتفية بالإشارة الخاطفة عن (اللغة العربية ووسائل الإعلام) والله أسأل أن يوفق شعوب هذه الأمة ، ودولها وحكوماتها إلى خير الطرق لخدمة لغتها ورصد كل غال فى سبيل رفعة شأنها وإعلاء مكانها .

حسن عبد الله القرشى

عضو المجمع المراسل من السعودية



قبل يكون... وقبل أن يكون

لأستاذ محمد عبد الغنى حسن

أَلَفَتْ

إلى المقادير يوماً عبء
الحديث عن الشاعر
العربي المصري تميم
ابن المعز لدين الله الفاطمي في معرض الحديث
جملة عن مصر الشاعرة في العصر الفاطمي.
والأمير تميم هذا شاعر له وزنه ، ظلمته
الأيام حيناً ، ثم حاولت إنصافه بأخرة من
الزمان ، فظهر ديوانه الضخم سنة ١٩٥٧
عن دار الكتب المصرية محققاً بجهود عالين
جليلين هما أستاذنا المرحوم أحمد يوسف
نجاشي ، وزميلنا في مجمع اللغة العربية
المرحوم الأستاذ محمد علي النجار :
وتميم هذا هو الذي يقول عنه ابن الأبار الأديب
الشاعر المؤرخ الأندلسي المتوفى سنة ٦٥٨ هـ
وصاحب « الحلة السراء » : (شاعر
أهل بيت العبيديين غير منازع ولا مدافع
وكان فيهم كابن المعتز في بني العباس :
غزارة علم ، ومعاناة أدب ، وحسن
تشبيه ، وإبداع تخيل ، وكان يقتنى آثاره
ويصوغ على مناحيه في شعره أشعاره) .
ولقد كان من حظي أن أقرأ ديوان
تميم بن المعز كله من ألفه إلى يائه بيتاً
بيتاً ، فمادتني الألفة إلى التعرف إلى ملامح

مميزة يكاد يتفرد بها الأمير تميم من
دون شعراء مصر في العصر الفاطمي .
وإن كان بعضهم حاول أن يشركه فيها .
ووجدت لشاعرنا تعابير خاصة لعل فيها
من مصر آثاراً عليه بعد أن قدم من
المهدية والمنصورية في تونس سنة ٣٦٢ هـ
وهو في الخامسة والعشرين من عمره
في صحبة والده المعز لدين الله الفاطمي .

وما أكثر ما كان تميم يمد المقصور
ويقتصر الممدود في شعره على هيئة تلفت
نظر قارئ شعره ، وما أكثر ما كان
يصل همزة القطع ويقطع همزة الوصل
كقوله في مدح والده :

أأحصى أبايديه ومن بعضها أنا

أم انعت جدواه ومن بعضها قدرى
وما أكثر ما كان شاعرنا يحذف
المشبه الموصوف مع ما يبدو في ذلك من
غرابة كقوله :

تفتر عن كالحمان منتظم

يضافح اللثم بارداً خصرأ

ويريد أن يقول : تفتر عن ثغر كالحمان .
وما أكثر ما كان يلجأ شاعرنا تميم إلى

(*) انظر التعميقات على البحث في محاضر جلسات مؤتمر الدورة الخامسة ، الأربعين (جلسة الأربعاء ١٩٧٩ م) ربيع
الآخر سنة ١٣٩٩ هـ ، الموافق ٢٨ من فبراير سنة ١٩٧٩ م) .

لغة « أكلوني البراغيث » فيلحق علامة
التثنية والجمع بعامل الفاعل ونائب الفاعل ،
كالذي صنعه عبد الله بن قيس الرقيات
في مراثيته لمصعب بن الزبير حيث يقول :
تولى قتال المارقين بنفسه
وقد أسلماه مبعد وحميم

كما أنشده ابن عقيل رقم ١٤٣ ، والأشموني
رقم ٣٥٦ ، وابن هشام الأنصاري المصري
في أوضح المسالك رقم ٢٠٩ ، وفي شرحه
لغذور الذهب رقم ٨١ . وكالذي صنعه
الشاعر أبو فراس الحمداني في قوله :
نتج الربيع محاسنا

ألحقها غر السحاب

بدلاً من قوله : ألحقها غر السحاب .
وإن كان أبو فراس ممن لا يحتج بشعره
على قواعد اللغة ومفرداتها لأنه مولد . وإن
كانت هذه اللغة أعني لغة أكلوني البراغيث
هي لغة جماعة من العرب يلحقون علامات
التثنية والجمع بالفعل المسند إلى المثنى
والجمع كما يلحق جميع العرب علامة
التأنيث .

وأظهر ما وجدته من غرائب التعبير
عند شاعرنا تميم بن المعتز هو حذف
(أن) المصدرية عقب الظرف (قبل) .
كقوله من أبيات في شعر الشكوى ، وليس

عجيباً أن يشكو الأمراء وأبناء الخلفاء
من زمان لا تنقطع الشكاة منه لدى غنى أو
فقير :

عدائي عن الشكوى إلى الناس أننى
عليل : ومن أشكو إليه عليل
ويمعنى الشكوى إلى الله علمه
بجملة ما ألقاه قبل أقول

ونستطرد هنا إلى إباء الأمير تميم وكبريائه
وعزة نفسه ، فهو يجد أسباب الشكوى
ولكن كبريائه ، لا تسمح له بالإفصاح
حتى إلى خالقه ، فالله عالم بكل ما يلقاه
فلا حاجة به إلى القول ، والناس كلهم
شركاء له في آفة الضعف البشري ، فما
جدوى الشكوى من عليل إلى عليل ؟

ولقد ألفنا وألف الناس فيما يقرءون
ويحفظون ويتحدثون أن يقول القائل
(قبل أن أقول) : لا أن يقول : (قبل
أقول) بحذف أن المصدرية التي يسبك
منها ومن الفعل بعدها مصدر يقع مضافاً
إليه للظرف : قبل . ويقدر هكذا : قبل
القول .

ولقد تكرر حذف أن المصدرية
هذه بعد الظرف (قبل) عند شاعرنا
تميم . فنجد مثلاً في قصيدة يمدح بها
أخاه الخليفة العزيز بالله الفاطمي يقول :
ولست أرضى من الأمور بما
لا أجد المكرمات ترضاها

واسمع فعندى من كل صالحة
الطائف أسرارها وأخفاها

لأدعى الفضل قبل يشهد لى
به أدانى الدنى وأقصاها

فهو لا يقول كما يقول سائر الناس :
لأدعى الفضل قبل أن يشهد لى، بل يقول :
قبل يشهد لى ، فيحذف أن المصدرية
التي نألف ورودها في كثير جداً من منظوم
الكلام ومثوره بعد الظرف الزمانى
المكانى : (قبل) .

وإذا تتبعنا « قبل » في القرآن الكريم
وهو أعلى إِمثال في الصحة اللغوية وعلو
الاستعمال وجدناها إما مضافة أو مقطوعة
عن الإضافة لفظاً لا معنى ، أو مقطوعة
عن الإضافة لفظاً ومعنى .

والمضافة لها أحوال سنتحدث عنها
عما قليل . أما المقطوعة عن الأضافة
لفظاً لا معنى فكقوله تعالى : (لله الأمر
من قبل ومن بعد) آية رقم ٤ سورة
الروم . وقد قرأها السبعة على الضم ، وقدره
ابن يعيش على أن الأصل في الكلام :
من قبل كل شيء ومن بعده . ورأى
ابن هشام الأنصارى أن الأنسب للمقام
أن يقلر : من قبل الغلب ومن بعده ،
تمشياً مع سياق الكلام في قوله تعالى :
« ألم غلبت الروم في أدنى الأرض » ، فحذف
المضاف إليه لفظاً ونوى معناه فاستحق
البناء على الضم :

أما المقطوعة عن الإضافة لفظاً ومعنى
فاستشهدوا لها من القرآن بقراءة :
(لله الأمر من قبل ومن بعد) بالجر والتنوين
لقطع النظر عن المضاف إليه لفظاً ومعنى .
وشاهده من الشعر قول يزيد بن الصعق :

فساغ لى الشراب وكنت قبلاً
أكاد أغص بالماء الحميم
وإن كان « العيني » قد نسب خطأ لعبد
الله بن يعرب . فالظرف هنا منون منصوب
لأنه قطع عن الإضافة في اللفظ ، ولم ينو
المضاف إليه :

أما « قبل » المضافة في القرآن الكريم
فيدل التبع على ما يأتي : (١) إما مضافة
إلى اسم الإشارة « هذا » كقوله تعالى في سورة
هود : (قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجواً
قبل هذا) . وقوله في السورة نفسها :
(ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من
قبل هذا) . وقوله تعالى في سورة مريم :
(ياليتنى مت قبل هذا) . وقوله في سورة
الواقعة : (إنهم كانوا قبل ذلك مترفين) .
(٢) وإما مضافة إلى اسم ذات كقوله تعالى في
سورة الرعد : (ويستعجلونك بالسيئة قبل
الحسنة) أو مصدر صريح أو مؤثرل ، فالصريح
كقوله تعالى في سورة النساء : (وإن من
أهل الكتاب إلا ليؤسنن به قبل موته) .
وقوله في سورة مريم : (فاصبر على ما
يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع
الشمس وقبل غروبها) أى قبل أن تطلع
الشمس وقبل أن تغرب . والمصدر المؤثرل

يكون من (أن) المصدرية المذكورة وفعالها الذي يلي (قبل) على أن يكون المصدر المؤول من أن والفعل مضافاً إليه للظرف « قبل » . ولقد جاء هذا الاستعمال في القرآن كله على تسعة وعشرين موضعاً . كقوله تعالى في سورة النساء : (من قبل أن نطمس وجوها) ، وقوله في سورة الأعراف : (قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم) ، وقوله في سورة إبراهيم : (من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلال) ، وقوله في سورة المجادلة : (فن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا) وتأويل هذه المصادر هو على الولاء : من قبل طمس الوجوه ، آمنتم به قبل الأذن لكم ، من قبل إتيان يوم ، فصيام شهرين متتابعين من قبل التماس (٣) وإما أن تكون « قبل » مضافة إلى الضمائر الآتية : ضمير المفرد المخاطب كقوله تعالى : في سورة البقرة (والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك) . ضمير المخاطبين كقوله تعالى في سورة البقرة : (اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم) . ضمير المتكلمين كقوله تعالى في البقرة : (ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا) . ضمير الغائب المفرد ، كقوله في سورة البقرة : (وإن كنتم من قبله لمن الضالين) . ضمير الغائبة المفردة ، كقوله في سورة الرعد : (كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أُمم) . ضمير

الغائبين كقوله تعالى في سورة يوسف : (أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) . ضمير ياء المتكلم كقوله تعالى في سورة آل عمران : (قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات) .

ومن تتبعنا للمواضع التسعة والعشرين في القرآن التي جاء فيها المصدر مؤولاً من أن المصدرية والفعل بعد الظرف (قبل) نرى أن القرآن جرى على ذكر أن لاحتفاء أو إضمارها ، كما جاء في شعر تميم بن المعز الفاطمي . فالقرآن جرى على عبارة (قبل أن يكون) لا عبارة : (قبل يكون) .

ومعلوم أن (أن) المصدرية كما جاء في شرح شذور الذهب ، وفي المغنى لابن هشام ، وفي حاشية الصبان ، وفي المقرب لابن عصفور تضرع وجوباً في مواطن ، كما تضرع جوازاً في مواطن أخرى نص عليها النحاة . فبعد اللام التعليلية ، ولام العاقبة التي تسبى أيضاً لام الصيرورة أو لام المآل ، واللام الزائدة الواقعة بعد فعل متعدٍ يجوز إظهار أن المصدرية وإضمارها . وقد ورد الإضمار والإظهار في قوله تعالى في سورة الأنعام : (وأمرنا لنسلم لرب العالمين) وقوله في سورة الزمر . (وأمرت لأن أكون أول المسلمين) . أما لام الجحود المسبوقة بكون منى فيجب إضمار أن بعدها ، كقوله تعالى في آل عمران : (وما كان الله ليطلبكم على الغيب) ، وكذلك تضرع أن المصدرية وجوباً

بعد : كى التعليلية التى بمنزلة اللام ، ولا يجوز التصريح بأن بعدها إلا فى الشعر لضرورة ، على حين يجيز الكوفيون إظهارها عموماً فى الشعر والنثر . أما حروف العطف الأربعة : أو ، الواو ، الفاء ، و ثم ، فمنها ما لا يجوز معه إظهار أن وهو الحرف : أو . ومنها ما لا يجب معه الإضمار وهو حرف : ثم ، والباقي وهو الفاء والواو يجوز معهما إظهار أن وإضمارها .

وإذا حذف أن المصدرية فى غير المواضع المنصوص عليها فى كتب النحو بطل عملها فلا تنصب المضارع ، فإذا نصبته كان ذلك شاذاً ولا يقبل منه إلا ما نقله العدول كما جاء فى حاشية الصبيان على شرح الأشموني . ومن ذلك قراءة بعضهم : (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه) سورة الأنبياء . بنصب الفعل يدمغ . ومنه قول طرفة بن العبد :

ألا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى

وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدى

فقد نصب الفعل : أحضر ، على الرغم من إضمار أن التى لا يعملها الكثيرون لأن العامل الناصب ضعيف كالحار والحازم ، والعامل الضعيف لا يعمل إلا إذا كان مذكوراً فى اللفظ فإذا حذف لم يبق له عمل . ومن ذلك ما جاء فى المثل : (خذ اللص قبل يأخذك) بالنصب ، أو قبل يأخذك بالرفع على رأى البصريين

ويبدو أن الإمام الشافعى قد تأثر ببلهجة بعض قبائل العرب من حيث حذف أن المصدرية

قبل الفعل المضارع ، وبعد الظرف : (قبل) . فتصادفنا فى كتابه الرسالة وهو مشهور موثق أمثال هذه العبارات : عليه يتعلم الصلاة ، بدلا من أن عليه أن يتعلم الصلاة . وقبل تكمل الصلاة . بدلا من قبل أن تكمل ، قبل يحل عليك بدلا من : قبل أن يحل عليك . (انظر صفحات ٤٩ ، ٢٦٥ ، ٥٨٢ من الرسالة بتحقيق المرحوم الشيخ أحمد محمد شاكر) .

ويعد استعمال الإمام الشافعى لأمثال هذه اللهجات العربية توثيقاً لها ، ومساندة لصحتها . ومن هنا صح للشيخ أحمد محمد شاكر أن يقول فى هذا الصدد : (لغته - يعنى الإمام الشافعى - حجة ، لفصاحته وعلمه بالعربية .. وأصل الربيع من كتاب الرسالة أصل صحيح ثابت غاية فى الدقة والصحة . فما وجدناه مما شذ عن القواعد المعروفة أو كان على لغة من لغات العرب لم نحمله على الخطأ ، بل جعلناه شاهداً لما استعمل فيه) .

ومن هنا أيضاً نرى الأستاذ المرحوم الشيخ محمد أبو زهرة يتحدث فى كتابه عن (الإمام الشافعى) قائلاً : (ولقد كان مع استحفاظه لأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وحفظه لكتاب الله تعالى قد اتجه إلى التفصح فى العربية ، ليبعد كل البعد عن العجمة وعدواها

التي أخذت تغزو اللسان العربي بسبب الاختلاط بالأعاجم في المدائن والأمصار . وقد خرج في سبيل هذا إلى البادية ولزم هذيل . ويقول الإمام الشافعي نفسه عن نفسه كما جاء في (مناقب الشافعي) للفخر الرازي : (إني خرجت من مكة فلازمت هذيل بالبادية ، أتعلم كلامها ، وأخذ طبعها ، وكانت أفصح العرب ، أرحل برحيلهم ، وأنزل بنزولهم ؛ فلما رحلت إلى مكة جعلت أنشد الأشعار وأذكر الآداب والأخبار) . وإذا ما احتجنا إلى شاهد آخر غير الشافعي على الشافعي ، فإننا نرى الأصمعي اللغوي الراوية المعروف يقول : (صححت أشعار هذيل على فتي من قريش يقال له محمد بن إدريس) يعني الإمام الشافعي . وقد التقط المرحوم الأستاذ مصطفى منير أدهم - والذم له - لبراهيم الدمرداش - هذه الشهادة فرواها في محاضراته عن (رحلة الإمام الشافعي إلى مصر) التي ألقاها في ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٢٨ بدار الجمعية الجغرافية بشارع قصر العيني ، وطبعها في مطبعة المقتطف والمقطم سنة ١٩٣٠ وأسعدني بأنه أهداها إلى يومئذ ، كما أسعدني نجله الزميل الدكتور إبراهيم بإهدائي - من أشهر - نسخة أخرى من طبعة جديدة لها ،

ومن الأمثلة على حذف أن المصدرية التي استشهد بها ابن هشام في مغني اللبيب ، والصبان في الحاشية ، وابن عقيل في الشرح ، والإمام أحمد بن عبد النور الماتقي المتوفى سنة

٧٠٢ هـ ، وابن عصفور في المقرب قول بعضهم : (مره يحفرها) أي أن يحفرها ، وقول بعضهم : (لابد من يتبعها) . وإن كان صاحب المقرب قد عد هذا من نادر الكلام .

فالإمام الشافعي قد أفاد من أمثال هذه اللهجات واستعملها في كتاباته وأدارها على ما كان يحضره بمصر ، وخاصة أنه دخل مصر سنة ١٩٩ هـ . ومات ودفن بها سنة ٢٠٤ هـ . وقد كان رضى الله عنه قد كتب كتابه (الرسالة) لعبد الرحمن بن مهدي قبل أن يجيء إلى مصر ، ولكنه أعاد كتابتها بهذا البلد الطيب من جديد .

ويبدو أن هذه اللهجات التي ارتضاها الإمام الشافعي وأكثر استعمالها في كتبه ورسائله قد لقيت من علماء مصر وأدبائها ومؤرخيها وشعرائها ترحيباً وقبولاً . فنجد الحسن بن زولاق مؤرخ مصر في القرن الرابع الهجري يلجأ في كتابه المشهور : (أخبار سيديويه المصري) - وهو غير سيديويه النحوي - إلى حذف أن المصدرية في المواضع التي لم ينص فيها النحاة واللغويون على حذف . كقوله : (فما قدرنا نقابله) أي أن نقابله . وقوله (فعقد على أبيه لا يعمل الصرف) أي أن لا يعمل الصرف . وقوله : (فقال : اذهب عافاك الله لا أراك ، على تأتي بعدها) يريد : على أن تأتي بعدها . وقوله : (لاشتهيت تصفع نفسك) يريد : لاشتهيت

أن تصفع : . . وقوله : (احتاج أحفظ)
 يريد احتاج أن أحفظ . وقوله : (فمنها
 أنه طلب مني حمراً يركبه فتهاربت منه
 خوف يطوف عليه) يريد خوف أن يطوف
 عليه . وقوله : (على شريطة تعطيني من ديني
 خمسمائة دينار) يريد : على شريطة أن
 تعطيني . وقوله : (ياسيدي : أخاف لا يقبل
 مني) بدلا من : أخاف أن لا يقبل مني .
 (انظر صفحات ١٦ - ٢٥ - ٢٩ - ٣٩ - ٤٨ - ٥٠ - ٥٥ - ٥٦) من كتاب أخبار
 سيويه المصري . ونجد الكاتب المؤرخ أبا محمد
 عبد الله البلوي - وهو مصري يرجع بنسبه إلى
 قبيلة بلي بالحجاز وكان معاصراً للدولة
 الطولونية . . نجده في كتابه (سيرة أحمد بن
 طولون) الذي حققه المرحوم محمد كرد علي .
 يميل إلى حذف أن المصدرية فيقول : (أريد
 مخاطب الأمير) بدلا من : أريد أن مخاطب
 الأمير .

ونجد الشاعر الشامي المشهور ابن حيوس
 من رجال القرن الخامس الهجري يحذف أن
 المصدرية بعد الفعل : أراد . كقوله من
 قصيدة يمدح بها أمير الجيوش :
 أراد يرينا الله جاهك عنده
 ومن منك أولى بالحببة والزلفي

ويبدو أن العوام في مصر والشام والعراق
 وجدوا في حذف أن المصدرية استثناساً
 بمجيزي الحذف في اللغة المكتوبة ، فرى
 عند شاعر زجال عراقي اسمه ابن جابر

البغدادى من رجال القرن السابع الهجري
 استعماله لأن المضمرة بعد (لا بد) في قوله
 نقلا عن الجزء الثاني من فوات الوفيات لابن
 شاعر الكنتى :

لا بد تظهر بين الناس
 قلندري مخلوق الرأس
 تلبس عوضاً دا الكتان
 وحلتك من صوف خرفان
 رأو دلق أو تصبج عريان

وتدل وثائق البردي - المكتشفة في مصر والتي
 نشرها العلامة أدولف جروهمان في مصر
 سنة ١٩٣٤ ، سنة ١٩٥٢ - على أن حذف أن
 المصدرية قبل المضارع في غير مواطن الحذف
 المعروفة كان ظاهرة سائدة في الكتابات العربية
 على أوراق البردي ، سواء أكانت تلك
 الكتابات مدونة بالحروف العربية أم بحروف
 قبطية ، وسواء أكانت مكتوبة بعبارة عامية
 فيها بعض الفصح ، أو بعبارة فصيحة مشوبة
 بالعامية . ومن ذلك ما جاء في وثيقة كتبت
 في القرن الرابع الهجري وفيها هذه العبارة :
 (فكيف تسمح نفوسهم يسلفوا شيء
 ويأخذوه وقت الغلة) . بدلا من : (فكيف
 تسمح نفوسهم أن يسلفوا) .

ويظهر أن هذا الحذف وجد قبولا عند
 العامة لسهولة ولايجاز الكلام فيه :

وليس عجيباً أن يهتم العامة في مصر بحذف
 أن المصدرية قبل مضارعها وأن يرتضوها

لهم لغة سهلة في الكتابة وفي الخطاب ، ولكن
العجيب أن يهتم الشعراء بهذه اللهجة أو اللغة
التي اختارها الإمام الشافعي وآثرها على اللغة
العالية في إثبات أن . وقد رأينا الشاعر تميم
ابن المعز في القرن الرابع الهجري يرضى عن
هذه اللهجة ويكررها في مواطن من شعره حيث
كان له عنها مندوحة . ونجد شاعراً مصرياً
آخر من الأشراف الطالبين هو الشريف
العقيلي الذي اختلف في وجوده بين القرنين
الرابع والخامس قد ارتضى هذه اللهجة كما
ارتضاها تميم بن المعز من قبل ، فنجد في
ديوانه الذي نشره زميلنا المرحوم الدكتور
زكي المحاسني في مصر قوله :

فكن لداعي التقي مجيباً

من قبل تدعى فلا تجيب

بدلاً من قوله : من قبل أن تدعى .

ونجده في موطن آخر يقول في خمرة له :

فاسبق الشمس قبل تبدو بشمس

سرهما في غمامة الكأس جهر

بدلاً من قوله : فاسبق الشمس قبل أن تبدو .

ونجده في موطن ثالث يقول في إحدى خمرياته
النيلية :

فاشرب على مذهب أزهاره

من ذهب في فضة يجرى

قبل يريك الصبح بلوره

يلمع في فيروزج الفجر

بدلاً من قوله : قبل أن يريك الصبح بلوره .

ولا يقف حذف أن المصدرية في مصر قبل
الفعل أو قبل الفعل . وبعد الظرف (قبل) عند
شعراء القرن الخامس الهجري : فنجد الظاهرة
تمتد عند شاعر مصري يمتد من رجال القرن
السادس هو ظافر الحداد الأسكندري المتوفى
سنة ٥٢٩ هـ كما جاء في أكثر المصادر ،
وسنة ٥٦٣ هـ كما ذكر ابن تغري بردي
الأتابكي في وفيات سنة ٥٦٣ هـ . فنجد له من
قصيدة في حالة النسيان التي كانت تعترى
أبا عامر قوله : من قبل يبسم أو تنهل عيناه . .
بدلاً من أن يقول : من قبل أن يبسم أو تنهل
عيناه .

على أن بعض شعراء الشام قد حلا لهم
أن يجاروا بعض شعراء مصر في هذه الظاهرة
التي أشاعها الإمام الشافعي باستعمالها في نثره
منذ أواخر القرن الثاني الهجري ، فجاء الشعراء
بعد ذلك رارتموا استعمالها في غير ضرورة
على توالي العصور . ويصادفنا من هؤلاء
الشعراء الشاعر ابن حيوس الدمشقي المتوفى
سنة ٤٧٣ هـ والذي نشر ديوانه المغفور له
الأستاذ خليل مردم بك رئيس مجمع اللغة
العربية بدمشق سنة ١٣٧١ هـ (سنة ١٩٥١ م) .
فترى هذا الشاعر يقول من قصيدة في مدح
أمير الحيوش :

لازلت تحكم في الأنعام مخولا

ملكاً يزول الدهر قبل يزول

بدلاً من أن يقول : يزول الدهر قبل أن يزول . وليس معنى اختيار ابن حيوس لهذه اللغة أنه غصّ نظره عن إثبات (أن) بعد الظرف (قبل) ، فإنه كان يراوح بين الاستعمالين ، كقوله من قصيدة عينية يمدح بها أمير الحيوش :

ريعت له الأملاك قبل رضاعه

وتزعزعت من قبل أن يترعرعا
ولعل زملاءنا الأفاضل هنا من أهل المغرب الكرام يسرهم أن يعلموا أن هناك شاعرين يتصحف اسمهما على الناس باسم (ابن حيوس) الدمشقي من أهل المشرق العربي . أحدهما مغربي من فاس ، والآخر أندلسي من أشبيلية . أما الأول فهو : عبد الله بن محمد ابن حبوس بالباء التحتية الموحدة المخففة ، وقد نبه إلى التصحيف فيه ابن خلكان . والناس يصحفونه إلى ابن حيوس بالمشنة المشددة . وهو غلط كما نبه عليه صاحب الوفيات (انظر وفيات الأعيان ج ٢) .

أما الثاني الأندلسي فقد ورد اسمه في معاهد التنصيص لعبد الرحيم العباسي بعد ترجمته لابن حيوس الدمشقي . وهو من غرائب التصحيفات ، وصوابه : ابن حنون بنونين ، أولاهما مخففة كما جاء في « المغرب » لابن سعيد المغربي ، وقد تنبه إلى ذلك الدكتور عبد العزيز الإهواني ، ونبه عليه المرحوم خليل مردم بك .

ولقد وجدنا الشعراء في العصور المتأخرة يتخففون كثيراً من حذف (أن) المصدرية بعد الظرف (قبل) . ولعلهم وجدوا في الحذف شيئاً لم يألوه في الاستعمال الغالب ، فأثروا أن يجروا على اللغة الشائعة الغالبة . ولكننا نصادف عند الشاعر المهجري الكبير (إيليا أبو ماضي) - وهو يمثل تيارات الشعر الجديدة في المهجر الأمريكي الشمالي - نزوعه بعض الحين إلى اللغة التي ارتضاها الإمام الشافعي في حذف (أن) بعد الظرف (قبل) ، كقوله من قصيدة رائعة في أثر الغربة في بلاد المهجر الشمالي :

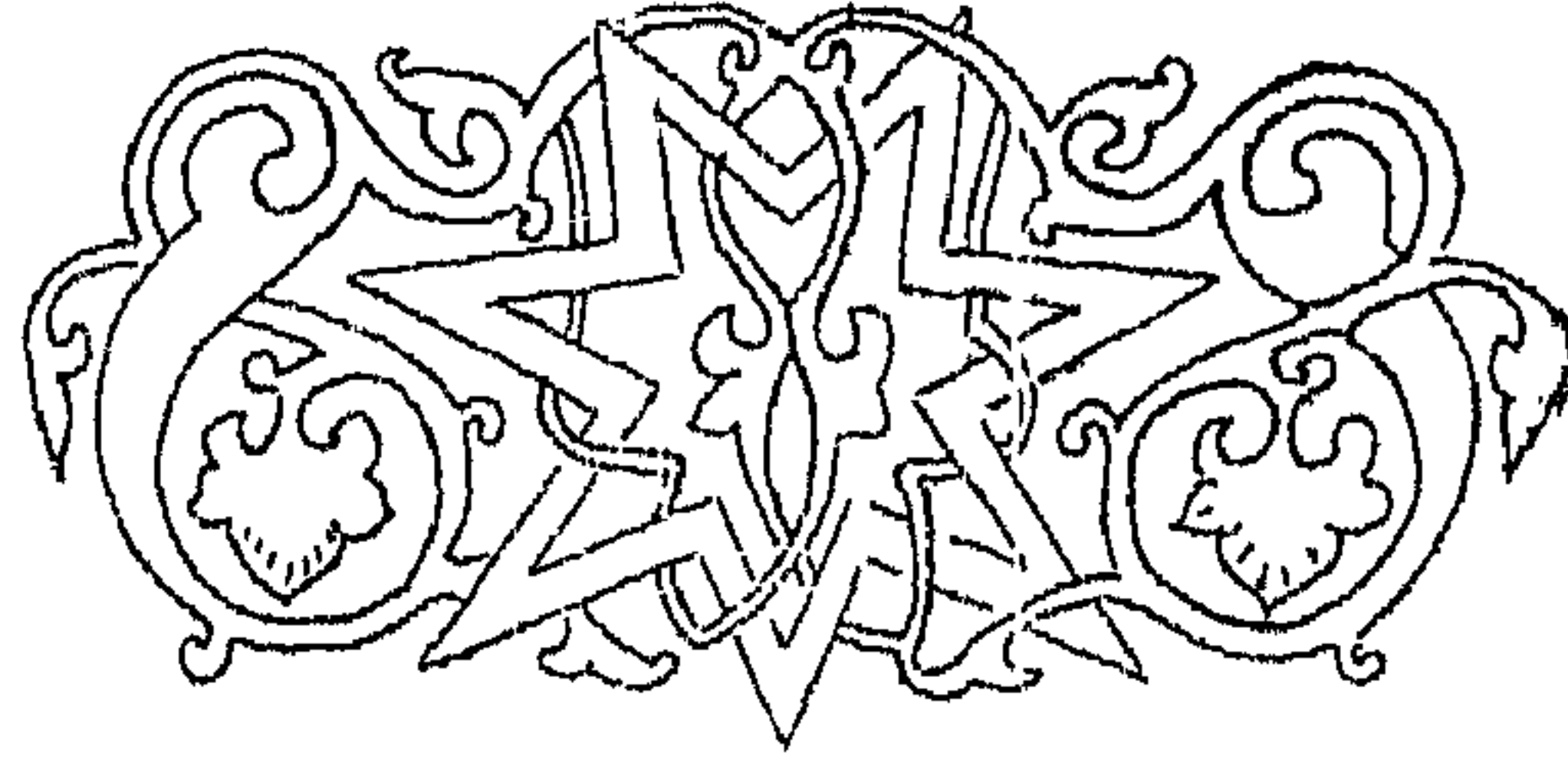
قلت : أينسى النازحون بلادهم
ما داح حزن القلب غير سؤاها
الأرض سوريا أحب ربوعها
عندى ولبنان أعز جباها
والناس أكرمهم على عشيرها
روحي الفداء لرهطها ولآها
تشتاق عيني قبل يغمضها الردى
لو أنها اكتحلت ولو برمالها ؟

كما أن الشاعر المهجري الصديق زكي فنصل من شعراء المرحلة في المهجر الجنوبي بالأرجنتين ينفرد من بين الشعراء العرب في أمريكا اللاتينية بحذف (أن) المصدرية

عقب الظرف (قبل) . كقوله من قصيدة
عنوانها : ليلة حب
ماكنت أعلم قبل يجمعنا الهوى
أن النعيم على مدى خطوات
ولعله متأثر هنا بإيليا أبي ماضي الذي
يعجب به : ومتأثر كذلك بالنماذج المحدودة
لهذا الاستعمال الذي لا يعدمه المطالع على
ندرة نادرة في دواوين الشعر العربي
على مسيرة القرون :

وبعد : فهذه متابعة لاستعمال التعبير :
(قبل يكون) بدلا من (قبل أن يكون)
وهي ظاهرة كان يألّفها الكتاب والشعراء
والمحدثون حتى القرن السادس الهجري ،
ولكن لم يكن لها ظهور ولا رواج بعد
ذلك حتى عصرنا الحديث .

محمد عبد الغنى حسن
عضو المجمع



من كُنَاشَةِ النَوَادِر

للأستاذ عبدالسلام هارون

تراشنا

العربي زانحر بأنواع
شئى من المعارف بها

جلاء لكثير من غوامض العلم، كما أنه
مشحون بالطرائف وغذاء الذهن والروح
واللسان أيضاً.

وقد كان من سوائف الأفضية أن
أقيد تلك الشوارد ما استطعت إلى ذلك
سيلا ، فإن الحكيم العربي كان يقول
وقوله حق : « العلم صيد والكتابة قيد »
وإذا ضاع القيد ذهب الصيد .

وكثيراً ما يقرأ الإنسان شيئاً فيعجبه ،
ويظن أنه قد علق بذاكرته ، فإذا هو
في الغد قد ضاع منه العلم ، وضاع معه
مفتاحه ، فانتهى إلى إحيرة في استعادته
واسترجاعه .

وبالبحثون ، ولا سيما في أيامنا هذه ،
يقيدون هذه المعارف في جذاذات يرجعون
إليها عند الحاجة ، ولكنى سلكت طريقاً
أوثقاً من طريق الجذاذات ، هو دفتر
الفهرس ، وهو الذى سميت « كُنَاشَةِ
النوادر » ، أقيد فيها رموس المسائل مرتبة
على حروف الهجاء ، مقرونة بمراجعها

وقد وجدت أن هذه التسمية ، المع
ما فيها من التوليد أو التعريب ، أقرب
في الدلالة وأدق في التعبير .

ففى القاموس «الكناشات بالضم والشد:
الأصول التى تتشعب منها الفروع »
وعلق عليه صاحب تاج العروس بقوله :
«نقله الصاغاني عن ابن عباد» وإذن فهنا
أصل عربى يولد منه كُنَاشَةُ الأوراق .

ويعقب عليه صاحب التاج أيضاً بقوله :
« قلت ومنه الكُنَاشَةُ : الأوراق تجعل كالدفتر
يقيد فيها الفوائد والشوارد للضبط . هكذا
يستعمله المغاربة . واستعمله شيخنا - يعنى
ابن الطيب الفاسى اللغوى - فى حاشيته
على هذا الكتاب كثيراً » ، يعنى حواشى
ابن الطيب على القاموس .

أما الخفاجى فى شفاء الغليل فيضبطه
يلفظ كُنَاش بضم الكاف وتخفيف النون
بزنة غراب ، ويقول : إنه لفظ سريانى
معناه المجموعة والتذكرة . وقد وقع هذا
اللفظ كثيراً فى كلام الحكماء ، وسموا به
بعض كتبهم .

(*) انظر التعقيبات على البحث فى محاضر جلسات مؤتمر الدورة الخامسة والأربعين (جلسة الخميس ٩ من ربيع
الآخر سنة ١٣٩٩ هـ ، الموافق ٦ من مارس سنة ١٩٧٩ م) .

وببحثي في إخبار العلماء بأخبار الحكماء
للقفطي المتوفى سنة ٦٤٦ وجدته يذكر
الطبيب « يوسف الساهر » ويقول : « كان
طبيباً في أيام المكتنى الخليفة العباسي المتوفى
سنة ٢٩٥ » ثم يسرد من تصانيف يوسف
الساهر هذا : « كتاب الكناش » . وقال :
إنما سمي الساهر لأن سرطاناً كان في مقدم
رأسه ، فكان يمنع النوم ، فلقب الساهر
من أجل ذلك . ويقول القفطي : وإذا تأمل
متأمل كناشه رأى فيه أشياء تدل على أنه
كان به هذا المرض .

فهذا من أقدم التسميات . كما أن من
أقدمها ما عثرت عليه في كشف الظنون ،
من (الكناش المنصوري) للطبيب المعروف
محمد بن زكريا الرازي المتوفى سنة ٣١١
صاحب الحاوي والطب الملوكي . ألف
هذا الكناش الأمير منصور ابن إسحاق
بن أحمد الساماني المتوفى سنة ٣٠٢ .

وكذلك كناش أعين بن أعين الطبيب
المصري المتوفى سنة ٣٨٥ .

وأعتقد أني بذلك قد أطأت واستطردت
في تعليل تسمية مذكراتي هذه باسم
« كناشة النوادر » . ولكني بذلك لم أخرج
عن موضوع محاضرتي هذه .

وقد قيدت في هذه الكناشة على مدى
اشتغالي بالبحث والتحقيق زهاء نصف قرن

نحو ثلاثة آلاف مذكرة هي رعوس مسائل ،
أرجو إن مد لي في أجل الحياة أن أنشرها
مفصلة على هذا النحو الذي أشرف بتقديمه .

فمن طريف ما قيدته في هذه الكناشة
تفكير أسلافنا القدماء في أمور حضارية يزهو
بها عصرنا الحاضر ويعدها من مفاخره .

جراحة التجميل :

جاء في ترجمة الصحابي الجليل المقداد بن
الأسود الكندي أنه كان عظيم البطن ،
وكان له غلام رومي فقال له : أشق
بطنك ، فأخرج شيئاً من شحمه حتى تلتطف
أي تصير رشيقاً — فشق بطنه ثم خاطه .
فمات المقداد وهرب الغلام .

ولعل هذا أول تفكير في جراحة البطن
للتجميل ، نسمع به في عالمنا العربي القديم ،
القديم ، الذي سبق العالم الغربي في كثير
من أمهات الحضارة . الإصابة ٨١٧٩

محو الأمية :

كان العرب حراساً على إدماج أبنائهم في
التعليم ، ولا سيما حفظ القرآن الكريم ، بل
على إجبارهم عليه ، استجابة لأمر الكتاب .
فاذا أفلت أحدهم من قيد التعليم صغيراً رد
إليه كبيراً .

جاء في جبهة أنساب العرب لابن حزم
٨٣ في ذكر خالد بن عبد الله بن عمرو بن
عثمان بن عثمان قواه : « وهو الذي أمر به
يزيد بن عبد الملك أن يحمل إلى الكتاب حتى
يتعلم القرآن مع الصبيان . فمات كمداً » .

فهذا سبق عربى فى الحرص على استدراك
تعليم من فاته التعليم ، وفى حرص الولاة على
تعميم التعليم .

تنظيم خدمة العملاء :

يزدحم الناس على العامل أو التاجر ، فيحدث
ذلك اضطراباً أو تدمراً أو صراعاً ، لا يعالجه
إلا تنظيم العملاء ، وهو الذى انتهى الأمر
فيه فى مدينتنا الحديثة بنظام الصفوف ، كما
هو واقع الآن فى التكوين والمصارف ، ودور
اللهو ونحوها .

فلننظر إلى هذا النص من كتاب الحيوان
للجاحظ ٧ : ٢٦٢

وكان أهل المربد يقولون : لا نرى
الإنصاف إلا فى حانوت فرج الحجام ، لأنه
كان لا يلتفت إلى من أعطاه الكثير دون من
أعطاه القليل ، ويقدم الأول ثم الثانى ثم
الثالث أبداً حتى يأتى على آخرهم . على ذلك
يأتى من يأتى . فكان المؤخر لا يغضب
ولا يشكو .

خيال الظل :

وهو الأصل الأول للسينما المعاصرة ، إذ
تتحرك الأشخاص فى الأشكال خلف ستر
وقد سيط عليها الضوء ، فتبدل صورها
متحركة من خلف الستر .

ومن أقدم النصوص التى سجلت فيها
هذه الظاهرة . قول ابن الجوزى المتوفى
سنة ٥٩٧ هـ أى منذ ثمانية قرون :

رأينا خيال الظل أعظم عبرة
لمن كان فى أوج الحقيقة راقى

شخص وأشكال تمر وتنتضى
وتننى جميعاً والحرك باقى
النجوم الزاهرة ٦ : ١٧٦ .

رايات العرب :

قد نظن أن رايات العرب كانت ساذجة
تتميز باختلاف ألوانها فحسب . والواقع
أنه كان مختلف القبائل فى أعلامها رموز
 وإشارات خاصة . قال المرزوقى فى شرح
المفضليات : « كانت راية تميم على صورة
العقاب ، وراية بنى أسد على صورة الأسد » .
شرح المفضليات ٣٤٧ دار المعارف .

أعياد الميلاد :

وجدت الاحتفال بها قديماً قبل سنة ٢٠٩
وعلى صورة رائعة غير مانشده اليوم .

قال المبرد : كان سعيد بن سلم إذا
استقبل السنة التى يستقبل فيها عدد سنيه أعتق
نسمة ، وتصدق بعشرة آلاف درهم : فقيل
لمدينى : إن سعيد بن سلم يشترى نفسه من
ربه بعشرة آلاف درهم . فقال المدينى : إذن
لا يديعه . كامل المبرد ٣٣٣ : لبيسك .

وكانت وفاة سعيد بن سلم بن قتيبة الباهلى
سنة ٢٠٩ كما فى النجوم الزاهرة .

وقد تظن أن الاحتفال بعيد ميلاد المسيح
بدعة حديثة ، وفي الحق أنه بدعة قديمة
جدا . ففي كتاب التحف والهدايا للخالدين
ص ٩٧ :

كتب الحسين الضحاك إلى أحمد بن
يوسف الكاتب ليلة عيد الميلاد يستهديه شمعاً :

وليلة ميلاد عيسى المسيح
سبح قد طالبني بميثاقها
فهني قدوري على نارها
وفاكهتي ملء أطباقها
وبنت الدنان فقد أبرزت
من الحذر تجلي لعشاقها
فكن مهدياً لي فدتك النفوس
فجودك ممسك أرقامها
نظائر صفراً غدت فتنة
بلطف أنامل حذاقها
ومثل الأفاعي إذا ألهمت
وللروم زرقه أحداقها
ولم أر من قبلها أنفساً
تذيب الحسوم بإحراقها
وإن مرضت لم يكن برؤها
بشيء سوى ضرب أعناقها
وكانت وفاة أحمد بن يوسف الكاتب
وزير المأمون سنة ٢١٣ هـ

المرأة :

من أعجب ما وجدته في النصوص القديمة
ما ذكره صاحب القاموس في مادة (حسن)

أنه كان لعبد الملك بن مروان وهو من هو ،
مرجلة تتعهد شعره وترجله . ولا يقف عند
ذلك بل يعين اسمها فيقول : « واسمها
حسينة » .

وهذا مظهر حضاري ليس من السهل أن
يدور بخلد أحد من الباحثين .

و « حسينة » أيضاً : علم نادر من أعلام
النساء ، لم أجد نظيره إلا في « حسينة
اليسارية » صاحبة ابن ميادة الشاعر . وكانت
جميلة ، منسوبة إلى آل يسار من موالى عثمان
رضي الله عنه . وكانت حسينة هذه عند
رجل من قومها يقال له عيسى بن إبراهيم
ابن يسار . وكان ابن ميادة يزورها . وفيها
يقول :

ستأثينا حسينة حيث شئنا
وإن رغمت أنوف بني يسار
ودخل عليها زوجها عيسى يوماً فوجد
ابن ميادة عندها ، فهم به هو وأهلها ،
فقاتلهم ابن ميادة ، وعاونته عليهم حسينة
صاحبتها حتى أفلت ، وقال في ذلك :

لقد ظلت تعاونني عليهم
صموت الحجل كاظمة السوار
وقد غادرت عيسى وهو كلب
يقطع سليحه خاف الحدار

الأغاني ٢ : ١١٠

أصغهم مسيرة للنساء :

كانت وفاة الإمام العظيم أحمد بن حنبل في بغداد سنة ٢٤١ مثار حزن وأسى في ربوع بغداد . ووقع المأتم والنوح في أربعة أصناف من الناس : المسلمين ، واليهود والنصارى ، والمجوس ، كما يقول البغدادى في تاريخ بغداد .

ويروى بسنده إلى بنان بن أحمد القصباني أنه حضر جنازة أحمد بن حنبل مع من حضر . قال : فكانت الصفوف من الميدان إلى قنطرة ربع القطيعة ، وحرر من حضرها من الرجال ثمانمائة ألف ، ومن النساء ستين ألف امرأة . فأى ضخامة هذه ، وأى حضارة تلك وأى تدين ونظام ؟ ؟ تاريخ بغداد ٤ : ٢٢٢

نص نادر في النساء :

أورد البخارى في كتاب المغازى ٥ : ١٥٦ في غزوة الطائف أن أم سلمة رضى الله عنها قالت : دخل على النبي صلى الله عليه وسلم - وعندي تحنث ، فسمعه يقول لعبد الله بن أمية : يا عبد الله ، أرايت أن فتح الله عليكم الطائف ، فعليك بابنة غيلان ، فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا يدخلن هؤلاء عليكم » .

والذى يعنيننا في هذا النص هو تفسير تقبل بأربع وتدبر بثمان . ما الأربع وما الثمانى ؟ وكثيراً ما سئلت عن هذا التأويل : وقد أورده ابن حجر في فتح البارى ٨ : ٢٥ و ١٠ : ٢٨٠ وقال : معناه أنها تقبل بأربع

من العكن . والعكنة ، بضم العين : ما انطوى وتثنى من لحم البطن سمناً . وأما إدبارها بالثمانى فلأن أطراف العكن الأربع التى فى بطنها تظهر ثمانية فى جنبها ، أربعة عن يمين ، وأربعة عن شمال .

وقد عثرت على رواية أخرى فى اللسان (ستت) : « فإنها تمشى على ست إذا أقبلت ، وعلى أربع إذا أدبرت » . يعنى بالست يديها وثنديها ورجليها . أى إنها لعظم ثدييها ويديها كأنها تمشى مكبة . والأربع رجلاها وأليتها ، وأنهما كادتتا تمسان الأرض لعظمهما .

تأصيل بعض الكلمات :

١ - البلاط بمعنى قصر الملك أو الخليفة . كثيراً ما نقرأ : تشريفات البلاط ، أخبار البلاط ، البلاط الملكى . والمعروف فى اللغة أن البلاط كسحاب : الأرض المستوية الملساء . وهو أيضاً : الحجارة التى تفرش فى المدار .

وهو كذلك كل أرض فرشت بالحجارة أو بالآجر . وفى اللغة أيضاً أن البلاط اسم لعدة مواضع وقرى ، منها بلاط مدينة الرسول الكريم بين المسجد والسوق وهو موضع مبلط . فالسكدة عربية قديمة كما أن استعمالها بمعنى القصر قديم جداً كذلك . وجدته عند المسعودى المتوفى سنة ٣٤٥ عند الكلام على انزعاق نقفور للملك من رينى امرأة اليون بن قسطنطين فى سنة ١٨٧ ، وهى فى بلاط بنتة بالقسطنطينية . يقول المسعودى :

المسعودى : « والبلاط : القصر . وفي هذا البلاط
ميناء عليه سلسلة ، فيه ينزل رسل العرب
إذا قدموا للفداء . التنبيه والإشراف ١٤٢ .

وجاء في المعجم الوسيط أن البلاط قصر
الحاكم وحاشيته وذكر أن الكلمة معربة
والقول بأنها معربة مع أنها عربية اللفظ
وعربية الاستعمال أمر يحتاج إلى تصحيح .

فقد ورد في تسمية المواضع العربية بيت
البلاط ؛ من قرى دمشق بالغوطة . وكذلك
البلاط قرية بحلب يقول فيها الشاعر :

لولا رجاؤك مازرنا البلاط ولا

كان البلاط لنا أهلاً ولا سكناً

ودار البلاط : موضع بالقسطنطينية كان
سيف الدولة يحبس فيه الأسراء ، وقد ذكره
المتنبي في شعره كما ذكره أبو العباس
الصفري شاعر سيف الدولة وكان محبوباً
فضربه مثلاً وقال :

أراني في حبسى مقبلاً كأنني

ولم أغز في دار البلاط مقيم

وما بالناس نذهب بعيداً وشاعرنا الجاهلي
أبو داود الإيادي يذكر البلاط بمعنى
القصر المشيد في قوله :

وأرى الموت قد تدلى من الحضر

على رب أهله الساطون

صرعته الأيام من بعد ملك

وعيم وجوهر مكتون

ولقد كان في كتائب خضر
وبلاط يشاد بالآجرون

ديوانه ٣٤٧ والتاج واللسان (بلط)
والمعرب للجواليقي ٢١

البورى ضرب من السمك :

وهي تسمية لنوع من السمك شائعة
في مصر ، وقد يظن بعضهم أنها تسمية
حديثة ، حتى ذهب كثير إلى أنها نسبة
إلى بورسعيد . وإنما هي تسمية قديمة جداً ،
يرجع العهد بها إلى ما قبل زمن ياقوت
ابن عبد الله الحموي المتوفى سنة ٦٢٦
قال في معجم البلدان : « بورة : مدينة على
ساحل بحر مصر قرب دمياط ، تنسب إليها
العائم البورية والسمك البورى ، ومنها محمد
ابن عمر من حفص البورى » .

الشوربة والشوربجي :

الشوربة هي بالعربية الحساء أو المرق
ولاعلاقة لها بمادة (شرب) العربية .

جاء في الفتح الوهبي ١٢٨:٢ وهو
شرح لتاريخ أبي نصر العتبي عند ذكر جماعة
وقعت بنيسابور سنة ٤٠١ : « الشورباجه
فارسي معرب بمعنى المرق » . وأنشد قول
أبي محمد الزوزني :

والباب أغلقه عليك

موثقاً منه رتاجه

لا يتتضيلك الجائعون

قيطبخونك شورباجه

وفي معجم استينجاس ٧٦٥ أن شوربا ج تعريب للفارسية القديمة « شوربا » . ومن طرق التعريب عند العرب زيادة الحيم في نهاية الكلمات المعربة كما قالوا في مؤزّه بمعنى الخف مؤزج ، وفي نشاسته بمعنى النشا: نشاستج ، وفي بنفسه لتلك الزهرة بنفسج ، وفي نهره بمعنى الباطل بهرج ، وفي ديبا لضرب من الحرير : ديباج.

أما الشوربجي فهي نسبة تركية إلى «شوربا» لصانعها أو القيم عليها .

والمعجم الوسيط يجعل الشربة عربية مولدة إذ قال : « الشربة : الحمرة في الوجه ، ومقدار ما يروى من الماء ، والحساء . مولد » .

والحق أنها في استعمالها بمعنى الحساء معربة تعريباً حديثاً مأخوذة من التركية الآخذة من الفارسية . وعربيتها : المرق والحساء .

الفلكة :

في القاموس : « فَذَلَكَ حسابُه : أنهاه وفرغ منه ، مخترعة من قوله إذا أجمل حسابُه فذلك كذا وكذا » وهذا إشارة إلى أن الكلمة منحوتة .

ومرجع صاحب القاموس هو نص الصاغاني المتوفى سنة ٦٥٠ في التكملة : ٢٢٧٥ وبعده في التكملة : « وهذه الكلمة مثل فهرس الأبواب فهرسة ، إلا أن فذلك ضارب بعرق في العربية » .

وصاحب القاموس والصاغاني كلاهما لم ينص على الفلكة وإن كان مفهوماً أنها جملة الحساب والعدد .

وذكر المعجم الوسيط « الفلكة » ، وفسرها بأنها مجمل ما فصل وخلاصته « وقرنها بعبارة « محدثة » مع أن الكلمة مولدة توليدا قديما جدا . فقد وجدتها في الفهرست لابن النديم ص ١١٣ بمعنى نهاية التأليف وحصيلته . قال في ترجمة أبي عمر الزاهد المتوفى سنة ٣٤٥ : « ثم جمع الناس على قراءة أبي إسحاق الطبري ، وسمى هذه القراءة الفلكة » .

وكانت وفاة ابن النديم أيضا سنة ٣٨٥ فالكلمة عمرها أكثر من ألف سنة . وليست محدثة كما ذكر المعجم الوسيط .

كلمة الصابون :

في المعجم الوسيط أن الصابون الذي تغسل به الثياب والأبدان ونحوها كلمة دخيلة . وفي القول بأنها دخيلة نظر . فصنيع صاحب القاموس يفهم منه أن الكلمة عربية ، إذ يقول : « الصابون معروف حار يابس مفرح للجسد » .

وصاحب شفاء الغليل لم يذكره في قليل أو كثير . وهو إيجاء بأنه عربي .

أما الجواليقي (٥٤٠) في المعرب فقال إنه أعجمي ، يعني أنه معرب وهو في ذلك موافق لابن دريد (٣٢١) الذي قال في الجمهرة ٣ : ٣٩٠ : « فأما طالوت

وجالوت وصابون فليس بكلام عربي
فلا تلتفت إليه . وإن كان طالوت وجالوت في
التنزيل ، فهما اسمان أعجميان . وكذلك
داود .

وقال صاحب اللسان « : والصابون
الذي تغسل به الثياب معروف . قال ابن
دريد : ليس من كلام العرب » .

وجاء الأزهرى بعد ابن دريد بنحو
نصف قرن فذكر أنه معرب .

وكان الصابون معروفا زمان ابن قتيبة
المولود سنة ٢١٣ يقول في كتابه المعارف
٢٤١ : « وأول من عمل الصابون سليمان
ابن داود عليهما الصلاة والسلام » .

فكيف يقال في كلمة مثل هذه إنها
دخيلة ؟! لعل أقل ما توصف به أنها معربة ،
ومعربة تعربيا قديما أصيلا .

ولقد أنصفها العلامة ابن الطيب القاسي
شيخ صاحب تاج العروس إنصافا بينا ،
قال صاحب تاج العروس : « قال شيخنا
— يعني ابن الطيب — هو مما توافقت فيه
جميع الألسنة العربية والفارسية والتركية
وغيرها » .

ولقد ذهب استينجاس في معجمه ٧٧٧
إلى أن الكلمة في الفارسية مأخوذة من
العربية ورمزها بالرمز A .

في مجال التعبير :

كثيرا ما يحار المرء في اختيار اللفظ أو
العبارة ليعرب عما في نفسه .

١ — مثال ذلك أن يريد البكاء على عزيز
عليه فلا تجيبه عينه ولادمعته ، وقد وجدت
في اللسان « الليث : التغيض : أن يريد
الإنسان البكاء فلا تجيبه العين » قال أبو
منصور : وهذا حرف لم أجده لغره
ونحوه في القاموس .

٢ — ويريد أن يعبر عن يسخر بغيره
فيستعمل حركة معينة كأن يحرك له أنفه
ويقبضها .

وقد وجدت العرب قد عبروا عن هذا
المعنى الدقيق المشاهد في كل يوم في
اللسان : « ابن الأعرابي : كنّص إذا
حرك أنفه استهزاء . ويقال كنّص وجه
فلان ، إذا استهزأ به » ونحوه في القاموس .

٣ — ويريد أن يعبر عن الواحدة من
العظم بلفظ العظمة ، فيزجره علماء
اللغة المعاصرون ، ويأخذونه بأن يقول
عظم للجمع وللواحد أيضاً إن أراد .

وقد وجدت في تهذيب الأزهرى في
مادة (سهم) نقلا عن النضر بن شبل تلميذ
الخليل ، وكان ممن أقام بالبادية دهرًا طويلا
مقداره أربعون سنة « وجدت هذا النص
في مجال الكلام على سهام العرب : » والمريخ :
الذي على رأسه العظيمة ، يرمي بها أهل
البصرة بين الهدفين » .

ونقل هذا النص عنه صاحب اللسان .
ولا ريب أن لفظ « العظمة مع خر عن
مؤنث هو العظمة ، فتكون العظمة واحدة
للعظم .»

٤ - ويتردد في ذكر أيام العرب ومغازيها
في التعبير عن قلة القوم بأنهم «أكلة جزور» .
وقد حدث هذا في غزوة بدر الكبرى ،
حين قال أبو جهل لجماعة قريش : «إن
محمدًا وأصحابه أكلة جزور» .

وهي عبارة تحتاج إلى تفسير لم تذكره
المعاجم . وليس أعلى وأوثق من تفسير
الرسول الكريم لما حين سأل الغلامين
اللذين وجدا على الماء ، قال لهما : كم
القوم ؟ قالا : لا ندرى . قال : كم
ينحرون كل يوم ؟ قالا : يوماً تسعاً
ويوماً عشرة . فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « القوم فيما بين التسعمائة والالف » هـ
وتفسيره أن أكلة الجزور يكونون
مائة عدداً .

هـ - وكثيراً ما نسمع هذا القول في التعبير
عن هوان الرجل الكريم في بلدة : « ليس
لنبي كرامة في وطنه » .

ونظنه حكمة حديثة ، أو نرجعه إلى
عصور الإسلام الأولى على أكثر تقدير .
والحق أنه أقدم من ذلك بكثير . عثرت
عليه في إنجيل يوحنا ٤ : ٤٤ . ونصه :
«وبعد اليومين خرج من هناك ومضى

إلى الجليل ، لأن يسوع نفسه شهد أنه
ليس لنبي كرامة في وطنه » .

وفي ظل هذا المعنى يقول المتنبي فيما
قال في صباه :

أنا في أمة تداركها الله
غريب كصالح في ثمود
وهو مسبوق في هذا بقول أبي تمام :
كان الخليفة يوم ذلك صالحاً
فيهم وكان المشركون ثموداً

من نوادر التسمية

لأهل المغرب والأندلس بعض تسميات
لا تجرى على المألوف . فنجد من أسمائهم :
حمود . ومنهم بنو حمود الأندلسيون
المنتمون إلى حمود بن ميمون بن أحمد
بن علي . وكان جددهم أحمد بن علي
هذا يسمى حموداً أيضاً كما في جمهرة
ابن حزم .

ومن أسمائهم أيضاً «عبود» . وحمود
وعبود تسميتان عربيتان فصيحتان . ومن
ضرب المثل به من العرب «عبود» نالوا
فيه : «أنوم من عبود» . وكان عبداً خطاباً
أسود ، فغير في محتطبه أسبوعاً لم ينم ، ثم
انصرف فبقي أسبوعاً نائماً . فضرب المثل به
لمن ثقل نومه :

وإذن فليس الأمر غرابة التسمية فحسب .
ولكنني وجدت نصاً لأبي حيان الأندلسي في
كتابه «النضار» الذي ذكر فيه أول حاله

واشتغاله ، ورحلته وشيوخه ، يقول فيه :
« وهم يسمون عبد الله عبودا ، ومحمدا حمودا »
ذكر هذا النص السيوطي في البغية ٦١

ونستطيع من نص ابن حزم السابق أن
نقول إنهم يسمون محمدا أيضا حمودا ، كما
سموا أحمد حمودا . فكأن هذه الصيغة
عندهم تسمية تدليل ، كما هو الشائع في
التسمية في وقتنا هذا .

وأهل المغرب والأندلس يسمون بزيدون
وحمدون وفتحون ورحمون ، وحسون
وحفصون وسمحون .

وتعليل هذه التسمية قد يرجع إلى إرادة
التفخيم بصيغة كصيغة الجمع . أو هو مطل ،
أى فى الإعراب، مع التثنية . وتعرب هذه
الأسماء إعراب الممنوع من الصرف . وفى
الأشعري ٣ : ٢٦٣ أن أبا على يمنع صرفها
للعلمية والعجمة ، ويرى أن حمدون وشبهه
من الأعلام المزيدي فى آخرها واو بعد ضمة ،
ونون لغر جمعية ، لا يوجد فى استعمال عربى
مقبول على العربية ، بل فى استعمال عجمى

حقيقة أو حكما ، فألحق بما منع صرفه للتعريف
والعجمة المحضة .

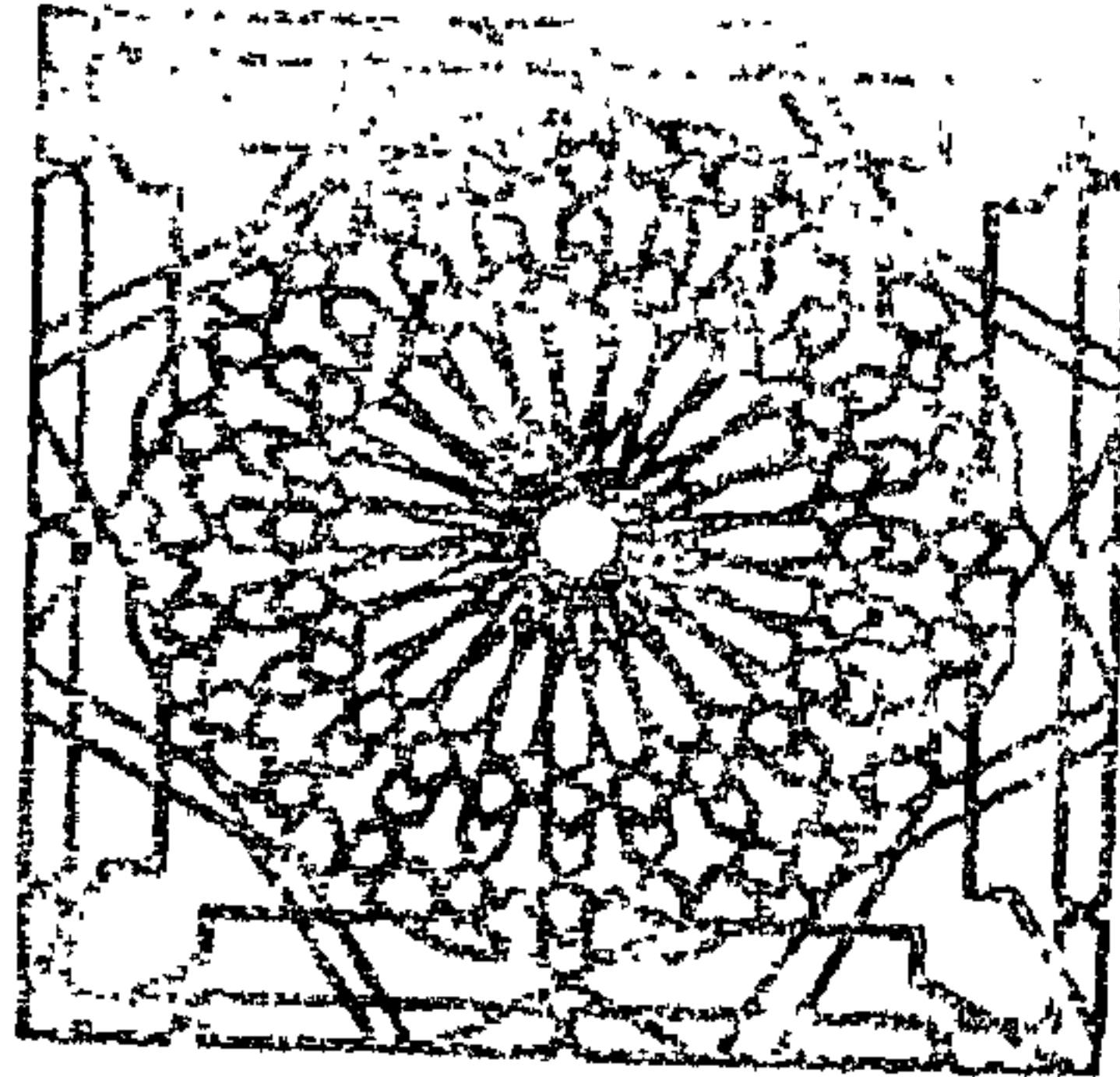
وهذا أيضا من النصوص النحوية النادرة .

وفىما يتعلق بالكنى والألقاب ، قال
أبو حيان فى تفسيره ، عند قوله تعالى :
« ولا تنازوا بالألقاب » . قال : « وفى
الحديث : كنوا أولادكم . قال عطاء فى
تعليل ذلك : مخافة الألقاب . وعن عمر :
أشيعوا الكنى فإنها سنة » .

ثم يقول أبو حيان : « ولا سيما إذا كانت
الكنية غريبة لا يكاد يشترك فيها أحد مع من
تكنى بها فى عصره ، فإنه يطير بها ذكره فى
الآفاق ، وتهادى أخباره الرفاق » .

ويستدل أبو حيان على أثر الكنية من
واقعه الشخصى بقوله : « كما جرى فى كنىتى
بأبي حيان ، واسمى محمد ، فلو كانت كنىتى :
أبا عبد الله ، أو أبا بكر ، مما يقع فيه الاشتراك
لم أشتهر تلك الشهرة . تفسير أبى حيان ٨ :
١١٣ .

عبد السلام محمد هارون
عضو المجمع



الغرفة

تَجَمُّعُ الْقُلُوبِ عَلَى الْحُبِّ

بإستاد محمد عبدالغنى حسن

أَقَمْتُمْ فِيكُمْ أَخْتَالَ فِي الْمَهْرَجَانِ تَحْتَ عَطْفٍ حَالِيَاتٍ الْأَمَانِ
يَتَمَشَّى الشَّبَابُ فِي مَفْرِقِ الطَّلُقِ وَيَبْدُو الرَّبِيعُ فِي أَفْنَانِي
فَكَأَنِّي فِيكُمْ رَدَدْتُ شِبَابِي وَأَعَدْتُ الَّذِي مَضَى مِنْ زَمَانِي
وَعَلَى مَنَكِبِي أَثْقَالُ عَمْرِي أَصْبَحْتُ كَالْهَبَاءِ فِي الْمِيزَانِ . .
كُلُّ لُقْيَا بِكُمْ تُجَدُّ جَدِيدًا وَتُدْبُّ الْحَيَاةُ فِي شَرِيَانِي
يَأْرَجُ الطَّيِّبُ مِنْكُمْ فِي ثِيَابِي وَيَضْوَعُ الْعَبِيرُ فِي أَرْدَانِي . .
إِنْسَكُمْ لِلْعُرُوبَةِ الْيَوْمَ حَصْنٌ مُسْتَطِيلُ الذَّرَا ، رَفِيعُ الْمَكَانِ
عَزَّ مِنْ صَارَ لَائِدًا بِحِمَاكُم يَا بَقَايَا الْفَصَاحِ مِنْ عَدْنَانِ !
نَسَبٌ كَالضُّحَى تَالِقٌ ضَوْءٌ وَكَوَجْهِ الرَّبِيعِ طَيْبٌ مَغَانِي
أَنَا بِالْخَالِدِينَ أَطُولُ عُمْرًا لِي طَوْلُ الْمَدَى ، وَعَرْضُ الْجَنَانِ
كَيْفَ يَخْشَى الْفَنَاءُ بَيْنَ يَدَيْكُمْ وَالَّذِي تَصْنَعُونَهُ غَيْرُ فَانِي ؟ ؟

* * *

التَّحْقِينَا مِنْ مُنْذُ عَامٍ وَعُدْنَا بَعْدَ عَامٍ إِلَى لِقَاءِ ثَانِي
دَوْرَةٌ مِنْ مَرَاكِلِ الْعُمْرِ وَلَّتْ بِالَّذِي حُمِّلَتْهُ مِنْ حَسَنَاتَانِ
نُثِرَ الْعَقْدُ مِنْ يَدَيْنَا ، فَصَرْنَا وَقَدْ انْقَضَ بَيْنَنَا نَجْمَانِ

(*) أُلْقِيَتْ الْقَصِيدَةُ فِي الْجُلُوسَةِ الْخَامِسَةِ لِمَوْتَمَرِ الْمَجْمَعِ فِي الدَّوْرَةِ الْخَامِسَةِ وَالْأَرْبَعِينَ بِجُلُوسَةِ السَّبْتِ ، مِنْ رَبِيعِ الْآخِرِ

رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةِ ١٣٩٩ هـ ، الْمَوَاقِفِ أَوَّلِ مَارِسِ سَنَةِ ١٩٧٩ م .

فخسرنا (الخفيف) في ساحة الفقسه وزاد الخسار في (عثمان)
كان (عثمان) لي رفيقاً رقيقاً وصديقاً كما أراه يراني
إن خطباً فردا يكون [الجساماً] كيف [لولا] حصل بيننا خطبان ؟

ذهبت كل ليلة بعمان وأنت كل ليلة بعماني
ليت شعري ! لماذا وراء الليالي من فراق الأحباب والأطعان ؟
وهل الضاربان في مشرق الأر ض وفي غربها سيلتقيان ؟
أذن الله أنسا نتلاق بعد طول المسير والدوران . . .

* * *

جمع الله شملنا بعد عام حافل بالأفراح والأشجان
شغلنا الجراح في قلب (الصنعا) (أودامي الجراح في (لبنان)
أي خطب دهي العروبة حتى أصبحت لوحة بلا ألوان ؟
نصل اللون في الورود . . . وغابت رقرقات العبير في البستان
ذهبت كل روعة للموازين وأصبحت شعراً بلا أوزان . . .
لا نقولوا : أوهام شيخ يؤوس قد أقام الدعوى بلا برهان !

* * *

ما بلغنا يأساً ولكن نفثنا رب نفث أراح صدر العاني !

* * *

لست أخشى على العروبة صيداً فهي صرح موطد البنيان
كل خلف سينتهي لوفاق كل خوف سينتهي لأمان
لا يضير النفوس - إن هي شفت - كل ما ثار بينها من دُخان . . .

أَمَلَى فِي الْعُرُوبَةِ الْيَوْمَ قَدْ زَادَ وَيَزِدَادُ عِنْدَهُمَا إِيْمَانِي
 كَيْفَ نَخْشَى تَفْرِيقَ مَا جَمَعْتَهُ مُحْكَمَاتُ التَّنْزِيلِ فِي الْقُرْآنِ ؟
 (بِنْتُ عَدْنَانَ) أَلْفَتْ مِنْ قَدِيمٍ بَيْنَ أَهْلِ الْهَضَابِ وَالْكَثْبَانِ
 لُغَةً تَجْمَعُ الْقُلُوبَ عَلَى الْحُبِّ فَتَمُضِي مَوِيَّةً فِي الْعَنَانِ
 رُزِقَتْ دَقَّةَ الْأَدَاءِ ، فَأَدَّتْ ۞ ۞ ۞ كُلُّ مَا فِي الضَّمِيرِ وَالْوَجْدَانِ
 دَخَلَتْ كُلُّ مَسْرَبَةٍ ۞ ۞ ۞ لِلْمَعَانِي سَلَكْتُ ۞ كُلُّ مَسْلَكٍ لِلْبَيَانِ
 فَهِيَ سِيَانٍ إِنْ تَمَثَّلَ فِيهَا آبَدُ الْوَحْشِ أَوْ (صَرِيحُ الْغَوَانِ)
 وَإِذَا شَتَّ فَهِيَ طَرَقُ قُيُونٍ وَإِذَا شَتَّ فَهِيَ عَزَفُ قِيَانٍ . .
 كُلُّ مَعْنَى لَهُ عَلَى الْقَدِّ ۞ ۞ ۞ لَفْظٌ ۞ ۞ ۞ فَهِيَ فِي السَّوَاءِ يَلْتَقِيَانِ
 كُلُّ حَرْفٍ يَلْتَفُّ حَوْلَ أَخِيهِ مِثْلَمَا التَّفُّ فِي الْهَوَى عَاشِقَانِ !

* * *

لُغَةُ ۞ يَلْتَقِي ۞ بِهَا ۞ الْهَمْسُ ۞ بِالْجَهِّ سَرٌّ وَلُطْفُ الْإِسْرَارِ بِالْإِعْلَانِ
 وَلِكُلِّ ۞ مَوَاطِنُ ۞ . . . لَمْ تَجَاوِزْ مَا يُرِيدُ الْمَكَانُ مِنْ إِمْكَانِ
 حَسْبُهَا ۞ أَنَهَا ۞ تُبَيِّنُ . . . وَتَجْلُو ۞ مِمَّا تَرِيدُ الْحَيَاةُ مِنْ تَبْيَانِ ۞
 تَنْقُلُ الْفِكْرَ ۞ فِي ۞ بَيَانٍ دَقِيقٍ ۞ ۞ ۞ رُبَّ فِكْرٍ يَضِيقُ بِالْكَتْمَانِ . . .

* * *

لُغَةُ الْجَمْعِ . . . لَا تَفَرِّقُ إِلَّا بَيْنَ أَعْلَى شَأْنٍ ۞ وَأَصْغَرَ شَأْنٍ
 رَقَّ فِيهَا ۞ الشَّفِيفُ مِنْ كُلِّ لَفْظٍ دَقَّ فِيهَا الْعَنِيفُ فِي الْآذَانِ
 وَسِعَتْ كُلُّ مَا حَوَى الْكُونُ حَتَّى لَمْ تَضُقْ بِالْمَحْسَارِ وَالْمَرْجَانِ
 تَضَعُ الْلَفْظَ لِلْوَطَى ۞ مِنَ الْأَرَضِ وَاللِّشَامِخِ الْبَعِيدِ الرَّعَانِ

ثم تُضْفِي على المعاني ظلالاً لم تدُر في الظنون والحسبان
فهي ، فيها مافي الطبيعة من سحرٍ وما في الصنيع من إحسان . . .

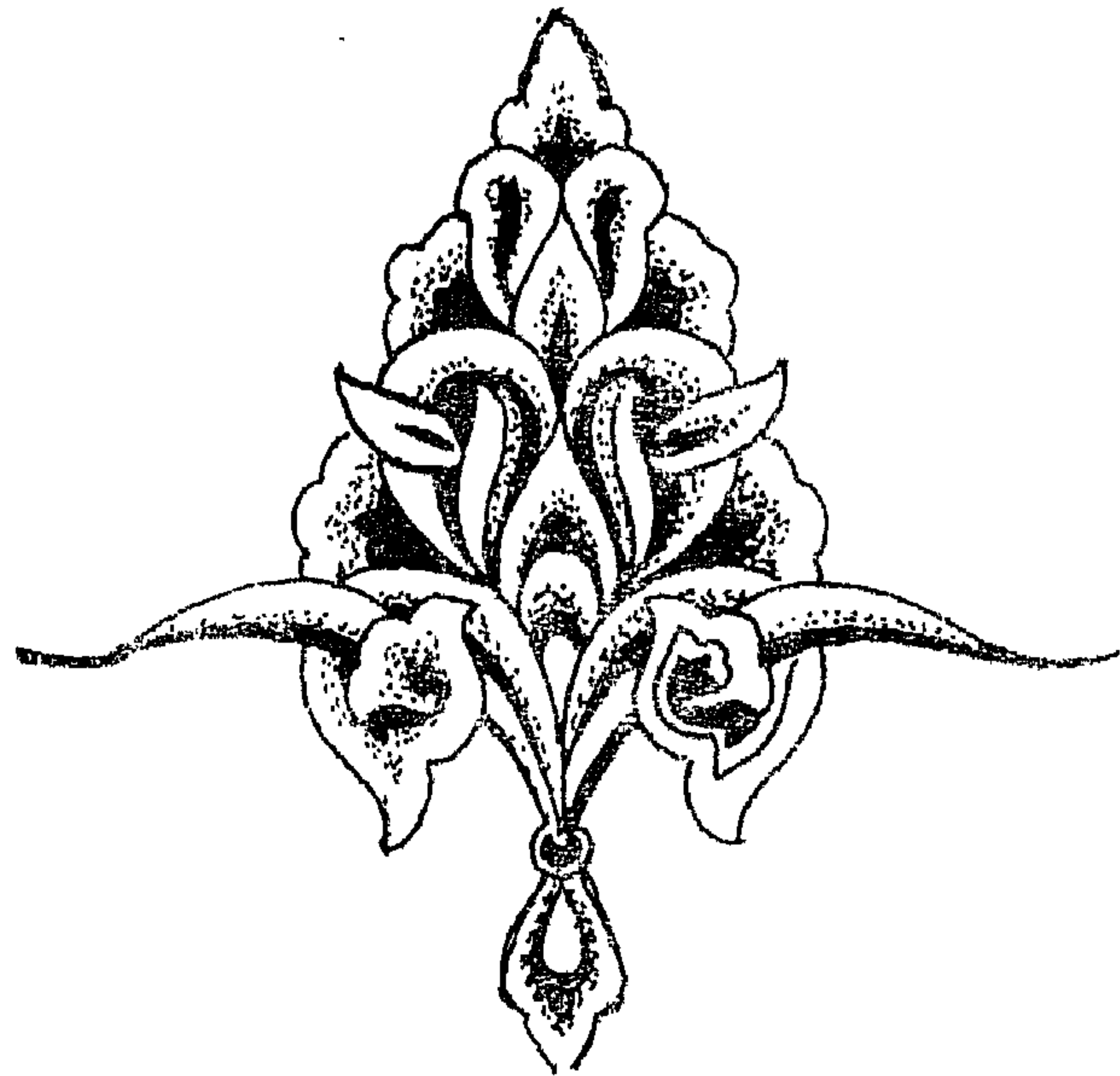
* * *

لغة تسبق النسيم إلى القلب سب وبَرْد الزُّلالِ للظمآن
هان أنا نرى المنية فيها لو أصبنا فيها ببعض الهوان ..
ضمن الله حفظها بكتاب فهي تحظى منه بأوفى ضمان . .

* * *

إن من فرق العُروبة أرضاً لم يُفرق منا سوى الأبدان
نحن إن نجتمع على اللغة الفصيح حتى سنبقى في وحدة وكيان
نحن بالفكر نلتقي . . . والبيان وهي لقيا تطوى حدود الزمان.

محمد عبد الغنى حسن
عضو المجمع



من نصريف الضمير في القرآن الكريم

لدكتور علي النجدي ناصف

لم تعرف

الدنيا فيما طوت من
دهرها الأطول . ولا تعرف
فيما تشهد من حاضرها المائل ، ولن تعرف
فيما تستشرف من أبدها القابل - كتابا
نزل من السماء ، أو خرج من الأرض ،
فصنع للبشرية مثل ما صنع القرآن
الكريم

لقد جاءها بدستور إلهي ، ينظم حياتها ،
ويقوم الأمر فيها على قواعد راسيات من
التراحم والتواد ، ومن العدل والحرية ،
ومن الإخاء والمساواة ، وهو بعد معجزة
البيان الخالدة ، براعة نظم ، وإشراق
بيان ، وشرف رسالة ، وبلاغة حكمة ،
واستقامة هدى ورشاد .

فلم يكن عجيبا ولا مستغربا أن يؤخذ
الناس به ، وينشطوا إقبالا عليه عصر بعد
عصر ، يدرسونه ، ويتدبرون آياته ،
فكان من ذلك ، وبتوفيق من الله وعون -

أن اشتقت منه علوم ، ووضعت له علوم ،
ودارت حوله دراسات وبحوث ، لا ينفرد
بذلك أهل لغته والمؤمنون به ، ولكن -
يشاركهم فيه جمهرة عظيمة من أولى العلم
وأصحاب المزية هنا وهناك وسيظل ينبوع
معارف ومصدر وحى وإلهام على تعاقب
العصور والأجيال . وبكل لغة ذات حياة .

ومن عادة القرآن ألا يلتزم في التعبير
نهجا واحدا ، ولكنه يفتن فيه ما شاء ،
فهو حينما يأخذ على مقتضى الظاهر ، فإذا
بيان أبلغ ، كأنه فلق الصبح وضوحا
وإشراقا ، وحينما يذهب مع المعنى ،
ويؤثره على النظم في نمطه المعتاد ،
من إشارة لطيفة ، أو لمحة دقيقة ، فيكون
من ذلك - فيما يكون تخالف بين الضمير
ومرجعه ، أفرادا وتثنية وجمعا ، وتذكيرا
وتأنثا ، إلى ضروب أخرى من التخالف
تنطوي على أسرار مكنونة ، وحكم مصونة .

(*) انظر التعقيبات على البحث في محاضر جلسات مؤتمر الدورة الخامسة والأربعين (جلسة الثلاثاء ٧ من ربيع الآخر
سنة ١٣٩٩ هـ الموافق ٦ من مارس سنة ١٩٧٩ م).

ولعمري ما هذه وتلك إلا معالم يقبجها
التنزيل الحكيم مواقف تدبير وإمعان
لا يملك القارئ المستبصر إلا أن يقف
عليها ، وينظر فيها لعله ظافر منها بنفحة
من غيبه أو ومضة من نوره ، تطيب بها
نفسه ويخشع لها قلبه ، ويزيد بها إيمانه
قوة ورسوخا .

ولقد نالت هذه التشابهات حقها المقسوم
من عناية أسلافنا المكرمين . عكفوا عليها
لا يألونها درسا وبحثا ، غير أنهم كانوا
في جملة الأمر يعولون في أمرها على علوم
اللغة ، يستقتونها ، ويحتجون بشواهدا
ولا يكادون يعدلون بها بدلا ، أو يلتمسون
من سواها عونا .

ولعلوم اللغة في هذا المقام شأن مذكور ،
لا وراء ولا خلاف ، لأنها قوانين العربية
والعيار عليها .

والعربية هي اللسان الذي اختاره الله
- تعالت حكمته - لكتابه الكريم لكن
علومها ليست هي المرجع الوحيد في كل
مقام ، فهناك أولا القرآن نفسه ، ليس
كمثله شيء تأويلا لمتشابهه ، وتفصيلا

لمجمله ، وكشفًا لأسراره ، في مواطن
مختلفات .

وإذن يكون التعويل على علوم اللغة
وحدها قصورا ، لا يؤمن معه التكلف
والاعتساف فإذا التأويل بعيد ، والمعنى
معه هزيل ، وإذا الذوق والإحساس بمضجعة
من القضية ، كأن ليس لهما فيها عمل
أصيل ، ولا رأى رشيد ، وإنيهما لمناط المتعة
والاقتناخ ، وعدة التأثير والانفعال .

ثم هناك مع القرآن الكريم في هذا
المقام واقع الحياة ، وسنة الله في الوجود .
وإني مورد هنا ثلاثة أمثلة من الآيات
جرى فيها تصريح الضمير على خلاف
مقتضى الظاهر ، ثم أحاول أن أكشف
سر هذا الخلاف على ما يبدو لي أنه الرأي
والله وحده هو العليم بما يريد .

أول هذه الأمثلة عن المنافقين ، وثانيها
عن وأد البنات ، وثالثها عن الأنعام .

والمنافقون الذين نعينهم هم الذين قال الله
فيهم : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ
النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ
أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ

وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا ،
وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ
إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (١)

إنهم - كما تصفهم الآيتان - قوم
آمَنوا بآلسنتهم ، وكفروا بقلوبهم .
ويشبههم الله تعالى بما يزيد حالهم وضوحاً ،
فيقول : (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ
نَارًا ، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ
بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ) (٢)

ونلاحظ أن مستوقد النار في الآية مفرد ،
وقد وصف بلفظ « الذي » وهو الاسم
الموصول الذي يوصف به المفرد ، وأُسند
إليه الفعل « استوقد » كما يسند إلى
المفرد ، وعاد عليه الضمير المتصل بكلمة
« حوله » ، وهو ضمير المفرد أيضاً ،
لكن الضمير « هم » في كل من « نورهم »
« وتركهم » ولا يبصرون » ضمير الجمع
المذكر العاقل . فقد اختلفت هنا الضمائر
وما تعود عليه . هو مفرد وهي لجمع .

ولقد نظر العلماء في هذا الخلاف ،
ولكنهم لم ينتهوا فيه إلى رأى جميع فقال
الفراء ، « ضرب المثل - والله أعلم - للفعل :
لأعيان الرجال وإنما هو مثل للنفاق .
وعلى هذا يكون التأويل : مثل فعلهم كمثل
فعل الذي استوقد ناراً . فلما أضاءت ما
حول الفعل ذهب الله بنورهم . وهو تأويل
غير مقبول ، لأن لفظ الفعل ليس مذكوراً
وليس في الآية ما يشير إليه ، فكيف
يعود الضمير عليه ، ثم إن الأشبه بالمنطق
أن تضيء النار ما حول المستوقد ،
لا ما حول فعله . ويمضى الفراء فيقول ،
« وإنما قال الله - عز وجل - ، (ذهب
الله بنورهم) لأن المعنى ذهب إلى المنافقين (٣) ،
يريد أن المعنى في الآية هم المنافقون ، ولهذا
كان استعمال ضمير الجمع . ولا أدرى
أهذا الذي يقوله الفراء شيء خصت به
الآية ، أم هو الجائز في كل كلام ؟
وإذن تكون الفوضى والتخليط » .

ورأى ثان أن (الذي) مفرد لفظاً ،
لكنه في المعنى نعت لما له أفراد ، والتأويل

(١) سورة البقرة : ١٣ ، ١٤

(٢) سورة البقرة : ١٨

(٣) معاني القرآن : ١٥

على هذا مثلهم كمثل الجمع الذى استوقد ناراً . ولا أدري هل اشترك الجمع فى إيقاد النار أو عهدوا به إلى أحدهم ، فناب عنهم فى التعبير كما ناب عنهم فى الإيقاد . ورأى ثالث يشبه هذا فى دلالة ، وإن خالفه فى صياغته (١) .

لم يبق إذن إلا أن نرجع إلى الآية ، ونعيد النظر فيها ، لعلنا نهتدى إلى رأى نرتضيه ، فماذا هناك ؟ هناك ضمير حوله يطابق مرجعه وضمير كل من نورهم - وتركهم ولا يبصرون لا يطابقه ، وليس لها مرجع مذكور فهل ، علينا إذا ادعينا أن مستوقد النار ليس وحيداً ، ولكن له أصحاباً يشاركونه فى الصورة ، رمزت إليهم الآية بضمائرهم وغنيت بذكرها عن ذكرهم ، فالضمير يشير إلى صاحبه ، ويكنى عنه .

فلئن نجد هؤلاء الأصحاب ؟ نجدهم فى القرآن نفسه ، إذا التمسناهم حيثما تذكر نار الدنيا نعمة للناس ومتاعاً ، كما ذكرت هنا فى هذه الآية ، هم إذن فى قوله تعالى : (أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ،

نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ) (٢) أى النازلين فى القواء ، أى القفر .

والقرآن كل متآلف ، وصرح متماسك ، فإذا نحن وصلنا هذه الآيات بآية البقرة ، وقرنا مستوقد النار هنا إلى أصحاب النار هناك جاز لنا أن نقول : إن مثل المنافقين عند الله كمثل جماعة من سراة الليل ، وجدوا فى أنفسهم حاجة إلى التعريس ، لعلهم يصيبون شيئاً من راحة ومتاع وها هم أولاء قد عَن لهم منزل صالح - لما يبتغون ، فأتوه ، وألقوا رحالهم وتقدم أحدهم فأوقد ناراً وفاءً لمطلب يراد ، فاشتعلت النار ، وأضاء نورها ، ثم لم تلبث أن طفئت ، فإذا هم جميعاً مظلومون .

فأما سرى الليل فيحكى هنا رحلة الحياة الضالة التى يحيها هؤلاء المنافقون ، وأما الإحساس بالحاجة إلى التعريس - فيحكى إحساسهم بالحاجة إلى ثقة المؤمنين بهم واطمئنانهم ليتقوا سخطهم وما قد تجلبه عليهم المناقضة والخلاف ، وما لهم فى ذلك حيلة إلا أن يتملقوهم ويقولوا لهم بألسنتهم مثل ما يقولون .

(١) البحر المحيط : ١ : ٧٤ - ٧٦ ، وروح المعاني : ١ : ١٥١ ، ١٥٢

(٢) سورة الواقعة : ٧١ - ٧٣

وأما النار التي استوقدها صاحبهم فهي الكلمات المؤمنة يقولها كل قائل منهم لمن يلقاه من المؤمنين ، فتخرج من بين شفثيه ولها وميض وإشراق ، وإن كانت لتخفى تحتها ظلاما حالكا ، كالنار الموقدة ، تضيء ما حولها ، وإن من تحتها لرمادا هامدا . وإذا ما انقلب إلى شياطينه ، وخلا إليهم لبس لبسهم ، وكان واحدا منهم في سره وجهره ، فإذا هم جميعا من الصالحين المكذبين .

أما وأد البنات ، فإثم كبير ، لم يكن يتعاطاه إلا قلة من عرب الجاهلية ، أما الكثرة الغالبة فكانت تكرم الأنثى ، ولا تبخسها حقها ، على قدر ما تأذن به حياة البادية ، وتقاليدها الموروثة . فهذا مرة بن محكان ينزل به أضياف له ، فيدعو زوجته في رقة بالغة وعذوبة فائقة أن تنهض إلى رحالهم ، فتضمها إليها إذ يقول :

ياربة البيت قومي غير صاغرة ضمن
إليك رحال القوم والقربا^(١) .

وهذا معن بن أوس ينكر على من يبغض بناته بغضهن ، ويشيد بما آتاهن الله تعالى من حنو ووفاء ، فيقول :

رأيت رجالا يكرهون بناتهم
وفيهن لا تكذب نساء صوالح
وفيهن - والأيام يعثرن بالفتى
نوادب لا يملنه ونوائح^(٢)

وهذا أب كان يطمع أن يرزق مولودا ذكرا ، فجاءته زوجته بأنثى ، فغضب وهجر بيته ، ونزل على جار له ، فقالت زوجته تعاتبه في وداعة ورفق ، وتحاول أن ترد عليه ما عذب من صوابه فتقول :

ما لأبي حمزة لا يأتينا
يظل ن البيت الذي يلينا
غضبنا أن ألا نلد البنينا
ليس لنا من أمرنا ما شيا
وإنما نأخذ ما أعطينا

ويسمع الأب الغاضب الرجز ، فيهرع إلى بيته آسفا ، فإذا الأم تناغى صغيرتها في حنان وحب أصيل ، فيشب

(١) ديوان الحاسة : ٢ : ٢٤٢

(٢) الامالى : ٢ : ١٩٠

(٣) الكشف ٢ ؟ : ٣٤٨

إليها ، ويلتقط الطفلة من بين يديها
يضمها إلى صدره مشوقا نادما ، ومن سادة
العرب من كان يفتدى الموءودة من
حرما له ، رحمة بها وإبقاء عليها .

وهناك الشعراء العرلون ، كانوا يلهمجون
بالأنثى ، ويتزلفون إليها رغبة وشوقا
أو حنيننا وإكبارا .

أما أصحاب الوأد فجماعة من قساة
القلوب ، أضلهم الله وأعمى أبصارهم
فبدت لهم الأنثى كلا ثقيلا ، وخلقا
مما جزا ، لا تكسب رزقا ، ولا تحمل
رمحا ، وقد تساق سبية في غارة من
متغلب ذي بأس شديد ، فتجلب عليهم
الخزي والعار فهانت عليهم ، وأنكروا
عليها حق الحياة ، ورأوا أن بطن الأرض
خير لها من ظهرها .

وقد نهى الله عن الوأد وأكبر إثمه ، وتوعد
عليه ، ووعد مقتدفيه أن تيرزق أولادهم
ويرزقهم معهم قال : (ولا تقتلوا
أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم
وإياكم إن قتلهم كان خطئا كبيرا)^(١) .

ويصف الله تعالى حال الأب من
ولاء حين تجيئه البشرى بمولد أنثى ،
فيقول : (وإذا بشر أحدهم بالأنثى
ظل وجهه مسودا وهو كظيم ، يتوارى
من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه
على هون أم يدسه في التراب ألا ساء
ما يحكمون)^(٢) !

ويلاحظ أن البشرى كانت بأنثى ،
وأن الضمير في كل من «يمسكه» و «يدسه»
لذكر وإذن لم يطابق الضميران مرجعهما
ونحن إذ ننظر في الآية لعلمنا نهتدى
إلى توجيه نرتضيه لهذا التخالف
لا نجد فيها مما قبل الضميرين
ما يصلح أن يكون مرجعا لهما إلا لفظ
«ما» في قوله تعالى : (ما بشر به) ، فهو

اسم موصول مشترك ، يستعمل للمؤنث
كما يستعمل للمذكر فهو إذن واقع
في معناه موقع الأنثى ، وهو في لفظه
مذكر ، فيصلح أن يكون مرجعا
للضميرين .

(١) سورة الانراء : ٢١

(٢) سورة النحل : ٥٨ ، ٥٩

توجيهه - لعمري سليم في شرعة النحو،
لكنه مشوب في شرعة الذوق والطبع ،
لأن « ما » الموصولة موضوعة أصلا لما لا
يعقل ولا تستعمل للعقل إلا قليلا ،
وبعون من التأويل ، ثم إن إحلالها
محل الأنثى هنا يجعل تأويل الآية :
يتواري من القوم من سوء الأنثى وهو
لا يتواري من سوئها نفسها بل من
سوء البشرى بها كما يصرح به ظاهر
الآية ، وكما في قوله تعالى في الآية
الأخرى : (وإذا بُشِّرَ أحدهم بما ضرب
للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو
كظيم) .

فلندع إذن هذا التوجيه جانبا ،
ولنتمس سر التخالف الذي ذكرنا عند
الأب وما يعجيش في نفسه من مشاعر
ويدور في خلده من خواطر ، حين
جاءته البشرى ، سنراه - كما تصفه
الآية ظاهرا وباطنا - أبيا قاسيا حقودا ،
لا تعطفه على أنثاه عاطفة من أبوة ،
ولا تأخذها بها نسمة من رحمة ، يبغضها

أشد البغض ، حتى ليستحل أن يسلبها
حق الحياة بغيا وعدوا .

وهو أولى أن يسلبها حقها في اللغة
أيضا ، فلا يذكرها بضميرها الذي
وضع لها ، حين يسائل نفسه عما
يصنع بها ، نفورا منها ، وضنا به
عليها كما يفعل المغيظ المحنق إذا
أسفل عمق وليس أقرب منه ، ولا
أسرع إليه من ضمير المذكر فالذكر - لا
الأنثى - هو الذي يتراءى في خياله
وهو الذي يغلبه على وعيه وانتباهه
إنه حلم اليقظة ، ومنية النفس ، وقرة
العين ، فالتخالف بين الضميرين ومرجعهما
ينطوى إذن على الليفة بارعة من لطائف
الإعجاز الذي اختص الله به القرآن
الكريم . إذ يصور حقد الأب رمزا
وإيماء بعد ما صورته تصريحاً وتقريراً
وهي الإيماء الدقيقة إلى خواطر السوء
ومشاعر الحقد التي تضرب في نفس
الأب الكنود .

وأما الأنعام فقد ذكرها الله تعالى
في كتابه الكريم ثمانية وعشرين مرة ،

عوملت فيها على ما يقتضيه ظاهر اللغة في ضميرها والإشارة إليها ، وفي الإسناد أيضا ، فقال سبحانه : (والأنعام خلقتها لكم فيها دفء ، ومنافع ، ومنها تأكلون) ^(١) وقال : (وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم) ^(٢) .

وذكرت مرتين لمقصد واحد ، لكن عاد عليها في إحداها ضمير المؤنث ، وعاد عليها في الأخرى ضمير المذكر أما الأولى ففي قوله تعالى : (وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ، ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون) ^(٣) . وأما الأخرى فقوله سبحانه : (وإن لكم في الأنعام لعبرة ، نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين) ^(٤) .

فالآيتان تذكران أن في خلق الأنعام عبرة ، وفي لبنا نعمة ، وتوشك العبارة فيهما أن تكون واحدة وكل ما بينهما من فرق أن الأولى

تذكر أن لنا منها سقيا ، ثم إنها تعيد ضميرها المطابق لها كما تصنع سائر الآيات . أما الأخرى فتسمى الشراب الذي يخرج منها وتصفه ، وتحدد مسيله ، ثم تعيد عليها ضمير المفرد المذكور ، دون سائر الآيات

وقد نظر علماؤنا السابقون في هذا التخالف بين الضمير ومرجعه ، فتفرقت بهم السبل فيه ، فقال سيبويه في باب ما لا ينصرف : « وأما أفعال فقد يقع للواحد ، ومن العرب من يقول : هو الأنعام . وقال الله عز وجل : (نسقيكم مما في بطونه) » ^(٥) وقال في باب ما لحقته الزوائد من بنات الثلاثة من غير الفعل : وليس في الكلام . . . أفعال إلا أن تكسر عليه اسما للجمع ^(٦) وفحوى هذين النصين أن سيبويه يرى أن صيغة أفعال جمع لكنه مصروف ، وأن الأفراد لغة فيه . وإذن يكون تذكير ضمير الأنعام عنده آخذ على هذه اللغة فلا تخالف إذن في الآية بين الضمير ومرجعه .

(٢) سورة الأنعام : ١٣٨

(٤) سورة النحل : ٦٦

(٦) المصدر السابق ٢ : ٣١٦ ، ٣ : ٢٤٧

(١) سورة النحل : ٥

(٣) سورة المؤمنون : ٢١

(٥) الكتاب : ٢ : ١٧ ، ٣ : ٢٣٠

وقال الفراء: وأما قوله: (مما في بطونه) ولم يقل في بطونها - فإنه قيل والله أعلم إن النعم والأنعام شيء واحد، وهما جمعان، فرجع التذكير إلى معنى النعم إذ كان يؤدى عن الأنعام، ثم قال: وقال الكسائى: (نسقكم مما في بطونه) بطون ما ذكرنا، وهو صواب^(١).

وقال الزمخشري: يجوز أن يقال في الأنعام وجهان: أحدهما أن يكون تكسير نعم . . . ، وأن يكون اسما مفردا مقتضيا لمعنى الجمع، فإذا ذكر فكما ذكر نعم في قوله:

أكل عام نعم تحوونه

يلقحه قوم وتنتجونه

وإذا أنت ففيه وجهان أنه تكسير نعم، وأنه في معنى الجمع^(٢):

وأكتفى بهذا القدر من آراء علمائنا الأولين، وهى آرائها في المباحث اللغوية وزن كبير لكنهما - والأمر لله -

لا تجيب عن سؤال لا يزال يحوك في الصدر، وهو: لماذا جاء ضمير الأنعام مفردا مذكرا في آية النحل دون سائر الآيات التى لها ذكر فيها، حتى آية المؤمنون عى ما بينهما من تشابه كبير في المعنى والعبارة.

لم يبق إذن إلا أن نرجع إلى الآيات. لعنا واجدون عندها الجواب، ونحن إذ نفعل نجد آية المؤمنون لم تذكر من الأشربة التى تخرج من حيوان أو حشرة إلا لبن الأنعام - هو إذن في موطنه وحيد لا يقابله من نوعه مقابل أما آية النحل فتذكر عسل النحل مع لبن الأنعام، حيث يقول الله سبحانه: (وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا، يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه، فيه شفاء للناس، إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون)^(٣).

(٢) الكشف: ١ : ٢٨٥

(١) معاني القرآن: ٢ : ١٠٨ ، ١٠٩

(٣) سورة النحل: ٦٩

فالأنعام ولبنها يقابلان هنا النحل وعسلها ، لكن الأنعام تخرج لبنا ، لا يختلف لونا ولا طعما ولا رائحة ، أو يكاد . وهى إذن جمع عددا ومفرد أو فى حكم المفرد لبنا ، ولا يـ كذلك النحل ، فهى تخرج شرابا مختلفا ألوانه ، فأبيض ، وأصفر وأحمر ، وأدكن . وهو مع ذلك - مختلف رائحة وطعما بحسب ما ارتشفه النحل من رحيق الثمرات وهى إذن جمع عددا وعسلا وإذن يناسب الأنعام هنا ضمير المفرد المذكور ، ويناسب النحل ضمير الجمع لغير العاقل وفى ضمير كل إشارة دقيقة إلى خصائص ما يخرج منه من شراب .

ويصطنع القرآن الكريم هذا النوع من الرمز بالضمير فى مواطن أخرى ، منها ، قوله تعالى : (يَحْلِفُونَ بِاللّٰهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ ، واللّٰهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ)^(١) فضمير (يرضوه) مفرد ، واللّٰهُ وَرَسُولُهُ اثنان فى العدد لكنهما واحد فى حق الاختصاص بالارضاء لذلك جاء التعبير هنا رمزا بالضمير ، وترك التعبير عنها تصريحاً لقوله تعالى

فى موطن آخر : مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ)^(٢) ومن مواطن هذا الرمز أيضا قوله سبحانه : (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا)^(٣) فهاتان الطائفتان تظلمان على حالهما طائفتين ما أمسكتا عن القتال ، أما إذا اقتتلتا فقد انفرط العقد وانتشر الجمع ، وإذاهما فرد لفرد لا طائفة ، لطائفة وصح حينئذ أن يرمز لهذا التفرق بضمير (اقتتلوا) حتى إذا ثابتا إلى الرشد وجنحتا للسلم ، فقد رجعتا إلى التماسك والتضام ، لأن الصلح لا يكون بين آحادهما ولكن بين جمعيهما بالإنابة والتوكيل .

أقول قولى هذا وأضرع إلى ربنا جل وعلا أن يتقبل ما عسى أن يكون فيه من صواب ، وأن يعفو عما عسى أن يكون فيه من خطئ ، ما كان إلا من أخذ بسبب من أسباب حكمة إنزال القرآن الكريم كما فى قوله تعالى : (كتاب أنزلناه إليك مباركاً ليدبروا آياته ، وليتذكروا أولو الألباب)^(٤) .

على النجدي ناصف
عضو الجمع

(١) سورة التوبة : ٦٢ (٢) سورة النساء : ٨٠ (٣) سورة الحجرات : ٥ (٤) سورة ص : ٥٨

اللغة العربية في خدمة علوم الأحياء لدكتور محمد هانظ

منذ

أكثر من ألف عام
تألفت في سماء

علماء عصر النهضة الأوروبية ما شاء لهم أن
يأخذوا من هذا المعين الزاخر بالمعارف
العلمية والإنسانية ولو أنهم كثيراً ما تناسوا
فضلهم ؟

الأمة العربية نهضة علمية إسلامية بلغت
أوجها في عصر الخليفة المأمون (٧٨٦-٨٣٣م)
حين أخذ المسلمون ينهلون من موارد العلم،
ويترجمون الكتب الإغريقية والسريانية
والفارسية، وينقلون إلى اللغة العربية مختلف
الذخائر العلمية، وقد حمل لواء هذه الحركة
العلمية العارمة التي امتدت بعد ذلك بضعة
قرون عسدد من العلماء العرب الأعلام
قاموا بأروع الإنجازات العلمية وكتبوا أعظم
المؤلفات والموسوعات وأضافوا إلى هذه
التراجم الكثير من مبتكراتهم مما جعل بعض
المنصفين من المؤرخين يعترفون بأنه لولا
أعمال هؤلاء العلماء العرب لاضطر علماء
النهضة الأوروبية أن يبدأوا من حيث بدأ
هؤلاء ولتأخر سير المدنية طويلاً .

وكانت علوم الأحياء من بين هذه العلوم
التي أولاها هؤلاء العلماء اهتمامهم دراسة
وتحقيقاً وتأليفاً باللغة العربية مما كان له أبعد
الأثر على الأجيال المتعاقبة التي جاءت من
بعدهم عبر عدة قرون، ولازلنا نحن المشتغلين
بعلوم الأحياء حتى اليوم نترع من نبعهم
الفياض وأسفارهم الجزلة المعطاءة كؤوس
العلم واللغة والمعرفة، تبهرنا فيها تلك الثروة
اللغوية الهائلة في علوم النبات والزراعة
والحيوان والحشرات .

ففي كتاب الشفاء لابن سينا (ولد
في ٣٧١ هـ / ٩٨٠ م) الذي يقع في أكثر
من عشرين مجلداً ، وكتب في فترة تعتبر
من أزهى عصور الحضارة العلمية الإسلامية
وترجم إلى اللاتينية واللغات الأوروبية . تناول
الشيخ الرئيس في بعض فصوله دراسة
النباتات الشجرية والعشبية والزهرية والفطرية
والطحلبية . وذكر الأجناس المختلفة من النبات
والأنواع المختلفة من الجنس الواحد ، وكذلك

كان ذلك العصر عصرأ ذهبياً بالنسبة للغة
العربية لغةً للعلم زخرت بآلاف المقابلات
والمصطلحات والمأثورات في مختلف فروع
العلم التي تناولها العلماء العرب بالدراسة،
وبرزوا فيها، وعلموا غيرهم، وأخذ عنهم

(*) انظر التعقيبات على البحث في محاضر جلسات مؤتمر الدورة الخامسة والأربعين (جلسة الثلاثاء ٧ من ربيع

الآخر سنة ١٣٩٩ هـ الموافق ٣ من مارس سنة ١٩٧٩ م) .

الآراء والنظريات حول تولد النبات والأنوثة والذكورة فيه، كما تكلم عن الثمار في النباتات المختلفة وعن التطعيم وعن ظاهرة المساهمة في الأشجار والنخيل، وذلك بأن تشمل الشجرة سنة حملاً ثقيلاً وسنة حملاً خفيفاً أو تحمل سنة ولا تحمل أخرى .

وفي الجزء الخاص بالحيوان وصف رائع لمختلف أنواع الحيوان والطير، وعن الحيوانات المائية يقول ابن سينا: إن منها ذات ملاصق تلزمها كأنواع من الأصداف، ومنها متبرئة أى متحررة الأجساد مثل السمك والضفادع واللاصقة منها التي لا تبرح كالإسفنج، كما تكلم عن العظام والغضاريف والشرابين والأوردة والأغشية والأعصاب، وتناول بإسهاب التشريح المقارن والأجهزة الداخلية في الحيوانات المختلفة ومنها الطيور والأسماك .

وفي كتاب الحيوان للجاحظ (أبى عثمان عمرو بن بحر ٧٧٥ - ٨٦٨ م) وهو سفر ضخم في سبعة أجزاء دراسة موسوعية قل أن يكون لها ضريب في ذلك الزمان، اتسمت بالسعة والشمول والدراسة الحادة الدقيقة، وقد طوع الشيخ اللغة المنثورة لمقتضيات الوصف العلمى على أروع صورة، وعنى باختيار اللفظ ليعبر عن سلوك الحيوان أدق تعبير كما ظهرت في كتابته القدرة على التمييز والبراعة في الوصف، فراه في مقدمة الكتاب يقسم الحيوان إلى فصيح وأعجم، فالفصيح هو الإنسان والأعجم هو الحيوان .

ثم يستطرد ويقول: من الحيوان الأعجم ما يرغو وينغو وينقى ويصهل ويشمخ ويخور ويبغم ويعوى وينبح ويزقو ويصفى ويهادر ويصوص ويوقوق وينعب ويزأر ويبح ويكش .

والكتاب في فصوله المختلفة مليء بمباحث عدة عن تقسيم الحيوان ومميزات كل قسم وعن تكوين البيضة من الفروج وعن بيض الطيور وعن بناء العش ورعاية الأبوين للصغار وعن الطيور وأنواعها كما تناول بالدراسة الكثير من الحشرات كالذباب والنحل والزناير والفراش والخنفس والجراد، كما تحدث عن سمك القرش والقرد والخفاش والأفاعى وحيوانات أخرى كثيرة وصف حياتها وطبائعها. وكان يسجل مشاهداته على سلوك الحيوانات من واقع التجارب التي يجربها عليها حيث كان يضعها تحت ناقوس زجاجي ويرقب حركاتها وسلوكها كما كان يقوم بتشريح الحيوان ليستجلي أجهزته الداخلية، وكان الجاحظ بذلك العلم الموسوعى والتجربى رائداً له مكانته في هذا المجال .

ومن أروع ما كتب في علم النبات باللغة العربية منذ أكثر من ألف سنة كتاب النبات للدينورى (أحمد بن داود أبى حنيفة المتوفى سنة ٢٨٠ هـ، ٨٩٥ م) والملقب بشيخ النباتين العرب الذى أخذ عنه علماء النبات الذين جاءوا من بعده، وكان مرجعاً لكثير من دراساتهم وبحوثهم فقد وصف مئات النباتات

وصفاً دقيقاً مشيراً إلى استعماله ومواطن نموه وحجته ، وكما يقول الدكتور منتصر: لعل كتاب النبات للدينوري ويعنينا منه الجزء الخامس لم يصنف مثله في اللغة العربية حتى عصره وفيه أسماء النباتات مصنفة على حروف المعجم وقد اعتمد في روايته على المصادر العربية الأصيلة. وكتاب آخر في علم النبات يثير الإعجاب حقاً هو «الجامع لصفات أشجار النبات للإدريسي» (محمد بن محمد عبد الله الأندلسي الحسيني الشهير بالإدريسي) الذي ولد عام ١٠٩٩م في أواخر القرن الخامس الهجري وعاش ثمانين عاماً. ويقع الكتاب في جزئين ضمن الجزء الأول ٣٦٠ ثلاثمائة وستين نباتاً، كما اشتمل الجزء الثاني على ما يقرب من ٣٠٠ ثلاثمائة نبات تنتهي بانتهاء حروف المعجم، وقد وصفها وصفاً رائعاً ووصف منافعها وخواصها وحقق أسماءها بلغات مختلفة وأورد هذه الأسماء باللغات السريانية واليونانية والفارسية والهندية واللاتينية وذكر أنه أضاف إلى قائمته النباتية أنواعاً أغفلها من سبقوه مثل التمر هندي والقرنفل والحلب وغيرها .

وفي كتاب المخصص لابن سيده (أبي الحسن علي بن إسماعيل النحوي المتوفى عام ٤٥٨ هـ وعمره ستون سنة) ذلك الكتاب الموسوعي الذي يقع في سبعة عشر جزءاً والذي كتبه إبان القرن الخامس الهجري بلغة عربية أصيلة يعنينا ما جاء به في بعض أجزائه خاصاً بالحيوان والنبات، ففي الجزء السادس

تكلم عن الخيل وصفاتها وفي الجزء السابع والثامن تناول بالوصف والدراسة الإبل والغنم والماعز والطيور والنحل والفيل والعنكب والسباع وغيرها من أنواع الحيوان وأشار، إلى حياتها وعاداتها وألوانها وأمراضها ثم تكلم في الجزء العاشر والجزء الثاني عشر عن الكلاً والشجر والعشب والحنظل والبصل ونبات القطن وبعض العقاقير وغيرها. وقد عني بالأوصاف الدقيقة للأعضاء في الكائنات من حيوانية أو نباتية، والكتاب ذو قيمة علمية ولغوية للدارسين لعلم الشكل أو الهيئة في مجال علوم الأحياء .

وإبان القرن السادس الهجري كتب البغدادي (موفق الدين أبو محمد عبد اللطيف ٥٥٧ هـ - ٦٢٩ هـ) كتابه المعروف «الإفادة والاعتبار» في الأمور المشاهدة والأحوال المعاينة في أرض مصر وقد وصف فيه الكثير من حيوانات مصر ونباتاتها، وكان وصفه دقيقاً في بعض الأحيان مع قدرة فائقة على المقارنة والاستنتاج .

وفي القرن السابع الهجري ألف ابن البيطار (أبو محمد عبد الله بن أحمد ضياء الدين الأندلسي الملقب ٥٧٥ هـ - ٦٤١ هـ) إمام النباتين والعشابين كتابه الأشهر من بين مؤلفاته الكثيرة «الجامع لمفردات الأدوية والأغذية» ثمرة من ثمرات دراساته الواعية العلمية والعملية في أربعة أجزاء ، وقد جمع فيه من مؤلفات العرب والأغارقة ومن تجاربه الخاصة كل ما يتعلق

بالنباتات الطبية وبعض الحيوانات التي تتخذ منها عقاقير لعلاج الأمراض، وكانت طريقته في الدراسة والإعداد لهذا العمل الكبير أن يذكر اسم النبات أو الحيوان باللغات المختلفة ثم يصف أجزائه وصفاً علمياً دقيقاً مستعيناً بما سبق أن قاله علماء الإغريق (أمثال جالينوس أو ديموقراطيس أو ديسقوريدوس) أو العلماء العرب (أمثال ابن سينا أو ابن رضوان) عن منافعه وطريقة تحضير الدواء ثم طريقة الاستعمال، وقد ذكر كل ذلك مرتباً ترتيباً هجائياً، وهذه الطريقة سرد البيطار المثات من النباتات والكثير من الحيوانات، واعتمد في حالات عدة على المشاهدة والتجربة، كما أنه كان صادقاً ودقيقاً في النقل عن غيره من ذوى العلم والخبرة .

وفي هذا المجال أيضاً ألف القرطبي (أبو عمران موسى بن عبد الله) كتابه «شرح أسماء العقار» وقد كتب المخطوط بخط ابن البيطار وبلغ عدد العقاقير التي شرحها القرطبي نحو ٤٠٠ أربعاً عشرة عقار وجلّتها من النباتات وبعضها من الحيوانات التي تتخذ منها العقاقير وقد رتب الأسماء على حروف المعجم بادئاً بالأترج (التفاح المائي) والأقحوان ومنتها باليتوع (كل نبات له لبن يسيل إذا قطع) Euphorbia والياسمين .

وفي كتاب داود بن عمر الأنطاكي (توفي عام ١٦٠٠م) المعروف باسم «تذكرة

أولى الألباب والجامع للعجب العجائب » والذي اختص أساساً بدراسة الطب العلاجي وتحضير الأدوية والوصفات في إسهاب استغرق سبعة صفحة، يعيننا منه في المقام الأول الباب الثالث الذي تضمن المفردات والأقربا ذينيات مرتبة على حروف المعجم إذ أورد عدة مئات من أسماء النبات وعشرات من أسماء الحيوان مع وصف شامل دقيق لها والعقاقير المتخذة منها وقد ذكر هذه الأسماء باللغات المختلفة .

ويزخر كتاب القزويني (أبو عبد الله بن زكريا ابن محمد بن محمود ٦٠٥-٦٨٢هـ) «عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات» الذي كتبه إبان حياته التي امتدت سبعة وسبعين عاماً في القرن السابع الهجري بالكثير من المعارف عن الحيوان والنبات ووصف أنواعاً منها تعد بالمئات وخاصة ما تتخذ منها عقاقير تستعمل في الطب، وشملت دراساته الطيور والحشرات والأسماك والحيوانات المائية الأخرى كما تحدث عن سلوك الحيوان وحياته وطبائعه وكيف يجمع غذاءه ويدخر قوته ويصنع بيوته وقد طبع هذا الكتاب على هامش كتاب الحيوان للدميري وأعيد طبعه عدة مرات وترجم إلى عدة لغات .

وحياة الحيوان الكبرى لكمال الدين الدميري (٧٤٢هـ-٨٠٨هـ) كتاب في جزئين كتبه في القرن الثامن الهجري زاخر بالمعلومات عن الحيوان، يقول الدميري إنه جمعها من ستين

وخمسمائة كتاب وتسعة وتسعين ديواناً من
دواوين شعراء العرب وجعله نسختين كبرى
وصغرى، في كبراه زيادة التاريخ وتعبير الرؤيا
ورتبته على حروف المعجم متبعاً الطريقة التي
جرت عليها أسلافه من العلماء العرب .

فبدأ بالكلام عن الأسد ذاكراً أساءه التي
جرت على ألسنة العرب وشكله وعاداته
وطبائعه . مستشهداً بأبيات من الشعر ونوادير
وطرائف تتعلق بهذا الحيوان، ثم يذكر أمثلة
أخرى كالأربد (ضرب من الحيات)
والأرضية، والأرقم (حية فيها بياض وسواد
كأنه رقم أى نقش) ثم يمضى إلى الحروف
التالية معالجاً المئات من أنواع الحيوان، وقد
بلغ عدد الحيوانات التي تناولها بالدراسة
والاستشهاد نحو ٨٦٠ ثمانمائة وستين نوعاً
ضمم الجزء الأول من كتابه منها نحو ٣٨٠
ثلاثمائة وثمانين نوعاً وضمم الجزء الثانى
الأنواع الباقية .

وبالإضافة إلى ما حوى الكتاب من
وصف للحيوان وحياته وسلوكه وموطنه،
فقد وصف الكتاب بأنه جمع ما بين أحكام
شرعية وأخبار نبوية ومواعظ نافعة وفوائد
بارعة وأمثال سائرة وأبيات نادرة وخواص
عجيبة وأسرار غريبة وبه تراجم نخبة من
الشعراء والعلماء والفلاسفة وقد طبعت عدة
مختصرات لهذا الكتاب وترجم أكثره إلى
اللغة الإنجليزية، وطبع في لندن ونمباى فى عامى
١٩٠٦، ١٩٠٨ كما عني بنشره المحققون وطبع
كاملاً منقحاً عدة مرات فى العصر الحديث.

هذه لمحة سريعة لمعجزات رائدة خالدة
فى علوم الأحياء جاءت بلسان عربى مبين،
وقام بها أسلافنا من الناطقين بالضاد وجادت
بها قرائحهم الوقادة وعقولهم النيرة وظلت
مشعلا وضياء وبحراً زائحاً بالمعرفة عبر
عدة قرون إبان العصور العلمية الإسلامية
الزاهرة وما بعدها لغيرهم إبان عصر النهضة
الأوربية .

ودار الزمن دورته ونخيم على الأمة العربية
طوال القرون الثلاثة التي سبقت القرن التاسع
عشر تخلف رهيب نتيجة لاستعمار متحكم
جثم على صدورهما وقطع أوصالها وانعكست
آثاره على اللغة والعلوم والمعارف الإنسانية
كلها وفى القرن التاسع عشر بدأت صحوة
عربية للحاق بركب الحضارة ودعوة قوية أن
تعيد الأمة للغة العربية سابق مجدها، وبدأت
فى مصر وكذلك فى شقيقاتها العربيات حركة
فى هذا السبيل على يد عدد من المصلحين
والمجددين ومع بداية القرن العشرين نشطت
حركة التعريب وجمع المصطلحات العلمية
وتحقيقها وإصدار بعض المعاجم المتخصصة.
ووجدنا فى مجال علوم الأحياء عدداً من
الرواد قاموا بجهود ضخمة يطيب لى أن
أذكر منها «معجم أسماء النبات» للدكتور أحمد
عيسى الذى صدر فى شهر يناير من عام
١٩٢٦، ولا شك أنه أنفق فيه سنين عدداً.
فى إعدادة قبل ذلك ويقول إن مما عني به
عنايه خاصة وبذل الجهد فى جمعه وتحقيقه
أسماء النبات ومرادفاتها فى جميع العصور
ومن مختلف البلدان العربية اللغة كمصر
والسودان .

وببلاد العرب واليمن والعراق وسوريا وفلسطين وبلاد المغرب .. وذكر الدكتور عيسى في مقدمة معجمه أن لغوي العرب قد عنوا بالنبات وأسمائه ولهم في ذلك التصانيف الممتعة التي زادوا عليها ما اقتبسوه من نبات الهند وفارس واليونان وغيرها من البلدان فامتألت أسفارهم بالعربي الفصيح والمغرب والمولد وقد جمع ذلك كله في معجمه وقد أراد بذلك أن يكون المعجم شاملاً كل ما عرف من أسماء النبات في المصنفات العربية مهما اختلفت جنسية الكلمة ، وأن يكون المعجم مرجعاً لتحقيق الكلمات التي أتت بها المصنفات العربية ولم تكن معروفة الأصل مقتصرأ على معرفة أسماء النبات — ولا شك أن معجم أسماء النبات لأحمد عيسى لإنجاز علمي ولغوي ضخم لاغنى عنه للمشتغلين بعلم النبات أو العاملين في مجال التعريب ونقل هذا العلم إلى اللغة العربية .

وفي العام نفسه أي عام ١٩٢٦ صدر قاموس الدكتور محمد شرف في العلوم الطبية والطبيعية ومن بينها علوم الحيوان والنبات وقد شمل المصطلحات باللغة الإنجليزية ومقابلاتها وشروحها باللغة العربية ، وقد عني هو كذلك أشد العناية بالرجوع إلى ما كتبه الأسلاف من العرب في هذا الشأن وما كتبه المستشرقون ثم يقول إنه لم يثبت اصطلاحاً أو مفرداً بالعربية قبل أن يثبت من صحته وموافقته . فإن لم يعثر له على نظير بالعربية جعل له اسماً مناسباً على نسق أسلوب العرب

في الأندلس أو عرب اسمه حسب الأصول اللغوية المتبعة ، ويقع هذا القاموس في ما يقرب من ألف صفحة ويضم أكثر من أربعين ألف مصطلح بينها عدد لا يستهان به من علوم الأحياء ، وهو عمل علمي ولغوي من الطراز الأول يعتبر قمة في الأداء والاستقصاء .

ويجدر بي في هذا المقام أيضاً أن أشير إلى عملين جليلين آخرين أسهمت اللغة العربية بهما كذلك في خدمة علوم الأحياء وهما معجم الحيوان للفريق أمين المعلوف ومعجم الألفاظ الزراعية للأمر مصطفى الشهابي ، والأول صدر عام ١٩٣٢ ولو أنه يقول إنه بدأ في جمع مادته ونشرها منذ عام ١٩٠٨ في مجلة المقتطف وقد تناول وصف ما يقرب من ١٥٠٠ نوع من أنواع الحيوانات وصفاً علمياً أوجز فيه أو أسهب حسب مقتضى الحال مشيراً إلى اسم الحيوان في البلاد الغربية المختلفة وفي بلاد الهند وفارس وأوضح الأسانيد التي أخذ عنها وقد توخى الأمانة في النقل كما يقول وإيراد أفصح الألفاظ أولاً ثم الفصيح ثم ما عرّبه العرب ثم المولد ثم ما عرّبه المولدون واسم الحيوان موضحاً باللغتين الإنجليزية واللاتينية .

أما « معجم الألفاظ الزراعية » للأمير مصطفى الشهابي فقد صدر عام ١٩٤٣ ، ولكنه ظل يجمع ويحقق مادته طوال عشرين سنة قبل ذلك التاريخ ويشتمل المعجم على تسعة آلاف لفظ فرنسي أو علمي وضع أمامها

ما يقابلها بالعربية، ويقول إن من الألفاظ العربية المذكورة ثلاثة آلاف لفظ على الأقل هي من وضعه أو تحقيقه لم يسبقه إليها أحد من أصحاب المعجمات الأعجمية العربية، وهذا المعجم غنى بألفاظ العلوم الزراعية على اختلافها كزراعة الحبوب وأبحاث التربة وزراعة البساتين وتربية الخيل والأنعام والنحل والطيور، وماله صلة بالزراعة كالحشرات والحيوانات كما يتناول أهم الفصائل النباتية وأسماء التصنيف في علم الحيوان والأسماء العلمية للنباتات والحيوانات الزراعية مع ذكر فصائلها بالعربية وقد عمد في إيجاد أصلح الألفاظ العربية إلى كتب اللغة وأخرج منها ماله علاقة بالعلوم الزراعية من الكلم، وكذلك فعل بكتب الفلاحة العربية واليونانية، كما راجع مفردات ابن البيطار ورسائل الأصمعي في الخيل والنبات والشجر، وألفاظاً محققة ومصطلحات من معاجم ومصادر أخرى عدة .

هذه أمثلة فقط لجهود رائدة لنفر من العلماء في الوطن العربي في مجال علوم الأحياء سبقتها وتلتها جهود أخرى قيمة في هذا المجال.

ولكن لعل أعظم إنجاز قومي وعربي أخذ بيد اللغة العربية وخطابها خطوات فسيحة إلى الأمام، بل انطلق بها إلى آفاق رحبة لتواكب عصر العلم ومقضييات التطور هو إنشاء الجامع اللغوي بالوطن العربي . ففي مصر وفي بداية الثلاثينات عام ١٩٣٢ أنشئ مجمع اللغة العربية؛ ولو أن محاولات أخرى جادة

في هذا السبيل قد سبقت لإنشاءه في مطلع هذا القرن، وسبقت هذه المحاولات دعوة إلى ذلك أيضاً في أخريات القرن التاسع عشر، وقد تحقق بإنشاء هذا المجمع أمل عزيز طالما تطلع إليه أهل العلم واللغة والأدب في مصر ليقوم بدوره البناء نحو اللغة والحفاظ عليها وعلى أصالتها وتراثها، وليحمل على كتفيه عبء النهوض بها وتطورها وجعلها وافية بمطالب العلوم والآداب والفنون، وملائمة للحياة العصرية المتطورة، ودراسة المصطلحات، وغير ذلك من المهام في مختلف المجالات .

وقد اهتم العلماء بصمة خاصة بإنشاء مجمع اللغة العربية نظراً للدور الرئيسي الذي يمكن أن يقوم به في مصر بل في الوطن العربي في تعريب العلم وكذلك، للعون الكبير الذي يمكن أن يقدمه لهم في مجال المصطلحات العلمية السليمة . وقد سار المجمع في هذين الاتجاهين شوطاً بعيداً بنشاط ملحوظ ودفع حركة النشر والترجمة والتعريب خطوات فسيحة إلى الأمام، وشاع استعمال المصطلحات العلمية السليمة في المؤلفات العلمية في مجال علوم الأحياء وغيرها .

ومن بين لجان المجمع الثلاثين التي تضطلع بمختلف أنواع النشاط العلمي واللغوي والأدبي لجنة علوم الأحياء والزراعة التي امتد نشاطها الملحوظ قرابة ثلاثين عاماً حتى اليوم، توفرت خلالها على دراسة مصطلحات علوم النبات والحيوان والحشرات والوراثة

وعلوم البحار والزراعة ووضعت بحوثاً قيمة في بعض هذه المجالات . وقد بلغت جملة المصطلحات العلمية في علوم الأحياء التي درستها اللجنة ووضعت لها المقابلات المناسبة باللغة العربية وشرحت معانيها نحو عشرة آلاف مصطلح علمي، وقد نشر نحو أربعة آلاف منها ظهرت في مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي يصدرها المجمع كل عام .

كما حققت اللجنة مئات الألفاظ من أسماء النبات والحيوان المحولة إليها من لسان المعجمات اللغوية بالمجمع وأضافت إليها الشروح والدلالات في العلم الحديث، كما وضعت بحوثاً قيمة في أنواع الحيتان والثعابين والألفاظ الخاصة بالنخيل، ونشرت كلها في مجلة المجمع، كما قامت اللجنة بوضع مصطلحات التحضيرات الخاصة بالفحص المجهري (الميكروتكنيك) وكذلك نظرت في المصطلحات التي أصدرتها منظمة الأغذية والزراعة الخاصة بالبيئة النباتية وأبدت فيها رأيها العلمي، وراجعت بعضها مراجعة علمية ولغوية، هذا بالإضافة إلى ما تقوم به اللجنة من البحث المستمر في أمهات الكتب القديمة التي كتبها أسلافنا العرب في علوم الأحياء ومختلف المعاجم والمراجع مما يساعدها في عملها ويسر لها إنجازاتها. وأمام اللجنة حالياً مشروع لوضع معجم وسيط في علم الأحياء على غرار معاجم «بنجوين»، وقد اتخذ المجمع الخطوات اللازمة للسير فيه بعد أن ناقش الدوافع لهذه الفكرة التي كان قد أبدأها المغفور له الدكتور محمود توفيق حفناوي عضو

المجمع، وهي أن طلابنا في المعاهد والجامعات في حاجة ماسة إلى معجم وجيز في علوم الأحياء والزراعة يتداولونه ويستعملون منه مصطلحات صحيحة أقرها المجمع، والأمل معقود أن يتم تنفيذ هذا المشروع في زمن ليس ببعيد .

ومن أهم إسهامات اللغة العربية في خدمة علوم الأحياء من خلال المجمع ودراساته هو وضع قاعدة موحدة للتصنيف البيولوجي، ووضع أسماء مقابلة لحلقات التصنيف المختلفة في عالم النبات والحيوان، وقد كان لإقرار هذه الأسماء من قبيل مجمعنا أكبر الأثر في القضاء على حيرة كانت شائعة لدى المؤلفين والدارسين وأصبح اليوم كل اسم عربي يدل اصطلاحياً على حلقة واحدة معلومة من حلقات التصنيف على غرار الأسماء الأجنبية المقابلة لها .

وقد أقر المجمع كذلك القواعد الآتية في ترجمته أسماء المواليد والأعيان من نبات وحيوان وتعريبها وهو من بحث للأمر مصطفى الشهابي عضو المجمع وهو ما تأخذ به لجنة علوم الأحياء والزراعة في عملها ما أمكن :

الأولى : ترجمة الألفاظ العلمية بمعانيها هو المجال الأوسع في حلقات التصنيف العليا، وهي الشعب والطوائف والرتب فنقول :
المفصليات أو مفصلية الأرجل لشعبة Arthropoda

الثانية : أسماء القبائل والفصائل النباتية
أو الحيوانية تكون عربية أو معربة على حسب
اسم النبات أو الحيوان الذى تنسب إليه
فنقول الخبازية لفصيلة Malvaceae .

الثالثة : أجناس المواليد التى ليس لها أسماء
عربية تعرب أسماؤها العلمية إذا كانت منسوبة
إلى الأعلام مثل زهرة دهلية Dahlia من
الفصيلة المركبة، وهى باسم عالم نباتى سويدي،
وترجم بمعانيها إذا أمكن ترجمتها فى كلمة
عربية سائغة مثل جنس Formica وترجمته
نمل، وإذا لم يكن ذلك ممكناً رجع تعريبها .

الرابعة : لأعمال التعريب فى الألفاظ
العلمية الدالة على أنواع النبات لأن جميع
الألفاظ أو معظمها نعوت أو صفات تترجم
ترجمة فى جميع اللغات الحية فنقول مثلاً
خبازة مجمدة لكلمتى Malva crispa .

الخامسة : يوجد مجال فى الترجمة أو
التعريب جميعاً فى الألفاظ الدالة على السلالات
والأصناف أو الضروب، وقد أشار المجمع
بضرورة الأزواج أى ذكر الأسماء العلمية
اللاتينية فى الدراسات العليا وفى حالة احتمال
أى لبس .

وحيث توجد ترجمات معقولة مستساغة
لأسماء المجموعات التصنيفية الحيوانية
النباتية فلا مجال للتعريب، ومن أمثلة ذلك
الفقاريات والأسماك والبرمائيات والزواحف
والطيور فى طوائف الحيوان ، كذلك

لأعمال للتعريب فى غشائية الأجنحة وحرشفيات
الأجنحة وذوات الجناحين من رتب الحشرات
وكذلك الزهرية وذوات الفلقتين وذوات
الفلقة الواحدة وما إليها فى النبات .

وعلى أى حال فإن لجنة علوم الأحياء
والزراعة فى أعمالها التصنيفية وغير التصنيفية
أخذت على نفسها أن تقصر التعريب على
مقتضيات الضرورة وأجازته عندما يتناول
المصطلح اسماً شاع استعماله بين اللغات
العالمية ، وهناك بعض التوصيات حول
أسلوب اختيار المصطلحات العلمية ستعرض
على المؤتمر الموقر تستهدى بها اللجنة
فى عملها ، ومع ذلك فإن اللجنة حين تتصدى
 لترجمة مصطلح فى علوم الأحياء أو
الزراعة أو تعريبه تدرس المصطلح معنى
ومبنى وأصله اللاتينى أو اليونانى، وتبحث
عن أفضل المقابلات له ، وقد ترجع فى
ذلك إلى المعاجم اللغوية القديمة والحديثة، وقد
تجد مقابلاً أو مأثوراً دقيقاً غير مطروق
فى الكتب القديمة فتأخذ به إيشيع استعماله ،
ويمر المصطلح بمراحل عدة من الدراسة
والمناقشة والتمحيص كفيلى بصقله وصوغه
الصياغة المثلى ، وقد أقر المجمع من هذه
المصطلحات نحو عشرة آلاف مصطلح باللغة
العربية الفصحى أدت إلى علوم الأحياء
خدمات جليلة حقاً .

ويجدر بى فى هذا المقام أن أشير إلى
الجهود الرائدة البناءة التى قامت بها

المجامع العربية في دمشق وبغداد في سنوات حياتها الطويلة لاسيما في مجال المصطلحات . وكذلك إلى جهود مكتب التعريب بالرباط والهيئات العلمية واللغوية الأخرى المعنية بموضوع المصطلحات العلمية ، وأملنا كبير إن شاء الله في انجمع الأردني الوليد .

ولعل أهم ما يشغل البال بالنسبة لموضوع المصطلحات العلمية هو توحيدها في الوطن العربي وهو أمل طالما تطلع إليه المشتغلون بعلوم الأحياء والعلوم الأخرى للقضاء على بلبلة قائمة في استعمال المصطلح الواحد بمقابلات مختلفة في البلاد العربية ، ونحن على يقين لأن اتحاد المجامع اللغوية ، وهو يحمل على كتفيه هذه المهمة الجلية سيوليها عنايته البالغة .

ولست في حاجة إلى القول : إنه إذا كانت حركة التعريب العلمي والنقل إلى اللغة العربية في علوم الأحياء والزراعة قد خطت خطوات فسيحة إلى الأمام في ربع القرن الأخير ، مع ظهور المئات من الكتب والمؤلفات العربية في هذا المجال في الوطن العربي فإن اللغة

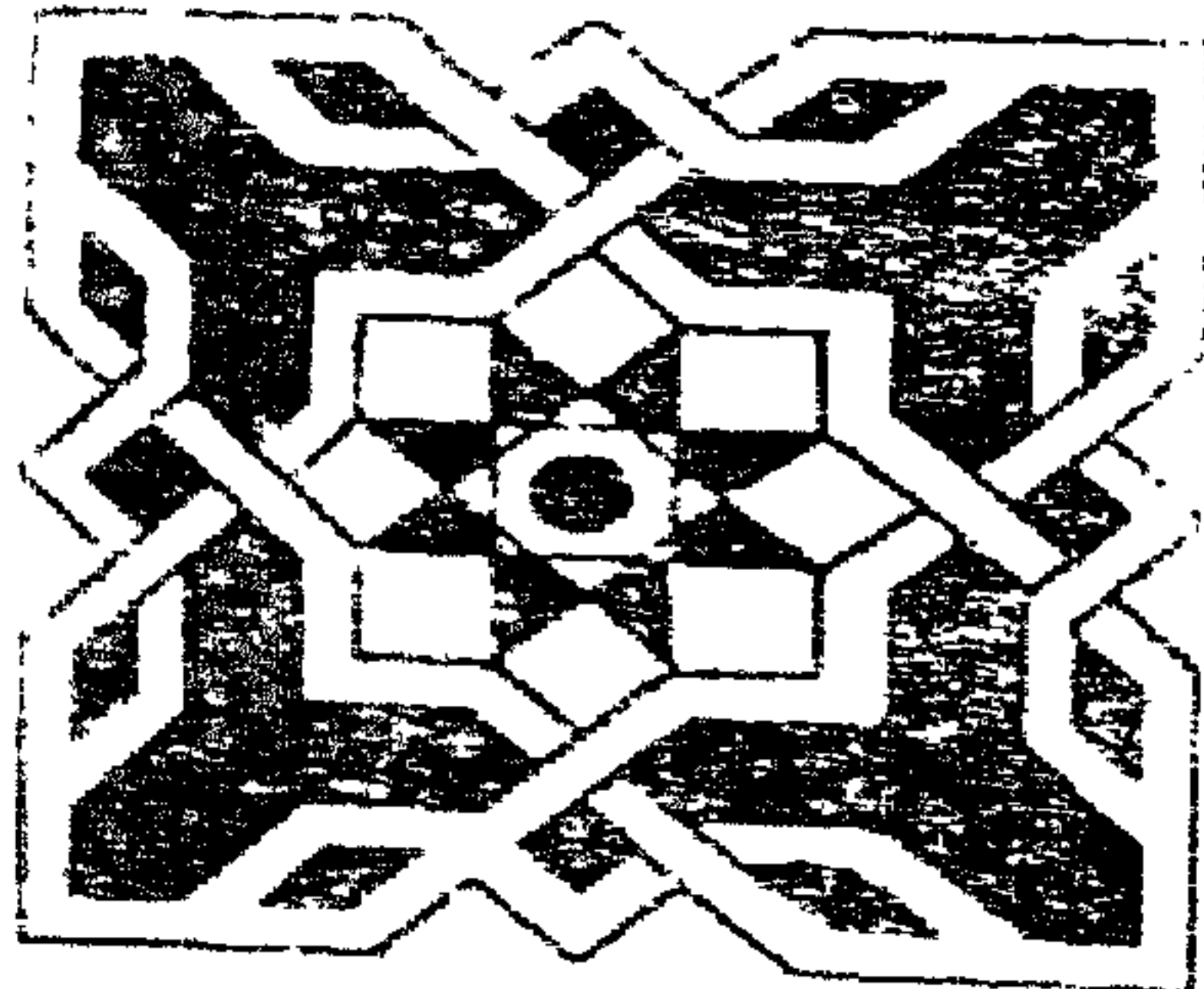
العربية كانت ولا ستست معين الذي لا ينضب ونجرب أن نعرف منه المؤلفون والدرسون آلاف مصطلحات ومقابلات التي زخرت بها كتبهم وأسفارهم . مما ينبض دليلاً سطعاً على قوة هذه اللغة وثرائها وشموها وتوسع آفاقها وقدراتها انفاثقة على ستيعب التطور متلاحق في شتى قطاعات العلم والمعرفة . ودحفاً للفقرية التي انتشرت بين بعض المتعلمين من أن اللغة العربية تقصر أحياناً عن الوفاء بمطالب العلم الحديث والإيقاع السريع الذي تشهده في هذا العصر لحركة العلم والتقدم العلمي .

تحية إلى مجامعنا اللغوية في الوطن العربي في بغداد ودمشق وعمان والقاهرة . هيئات مباركة قوامه على اللغة . ونحية إلى علماءها الأعلام الذين يعملون جادين مخلصين ليعيدوا إلى اللغة العربية سالف مجدها وهم بالغوه بإذن الله .

والسلام عليكم ورحمة الله

محمود حافظ

عضو المجمع



المراجع

- ١ - أحاديث مجمعية (الحلقة الإذاعية الخاصة عن مجمع اللغة العربية)
- ٢ - أسماء النبات... .. للدكتور أحمد عيسى
- ٣ - الإفادة والاعتبار للبغدادي
- ٤ - الجامع لصفات أشتات النبات للإدرسي
- ٥ - الجامع لمفردات الأدوية والأغذية لابن البيطار
- ٦ - الحيوان للجاحظ
- ٧ - الشفاء لابن سينا
- ٨ - المختص لابن سيده
- ٩ - النبات للدينوري
- ١٠ - بحوث مجمع اللغة العربية :
- ١١ - تاريخ العلم للدكتور عبد الحليم منتصر
- ١٢ - تذكرة أولى الألباب والجامع للعجب والعجاب... .. داود بن عمر الأنطاكي
- ١٣ - حياة الحيوان الكبرى للدميري
- ١٤ - عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزويني
- ١٥ - قاموس في العلوم الطبية والطبيعية للدكتور محمد شرف
- ١٦ - مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاماً... .. للدكتور إبراهيم مدكور
- ١٧ - مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها مجمع اللغة العربية :
- ١٨ - معجم الألفاظ الزراعية للأخير مصطفى الشهابي
- ١٩ - معجم الحيوان للفريق أمين المعلوف
- ٢٠ - معجم النبات المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي بالرباط

آخر ساج في الشام

دراسة سعيد النعاني

لم أعرف

ما السجع في دراستي
الابتدائية بدمشق. لكنني
كنت أسمع في خطب

الجمعة التي يتلوها بعض الخطباء في رسالة
قديمية مطبوعة ، فلا أعى منها غير التسبيح
والصلاة على النبي ؛ إذ كان تنغم الخطيب
لها يأتي على ما بقي فيها من وضوح . ثم صرت
أسمعه شائعا في أسماء الكتب ومقدماتها ، (١)
فعقلت المراد من السجع قبل أن ندرس
البديع في الصفوف الثانوية ، إلا أن الذي
أذكره أني كنت في مطالعتي الكتاب أتجاوز
المقدمات المسجوعات بعد ما عانيت في
كثير منها الغموض والخفاف ، ثم هجر
كثير من المؤلفين في الشام سجع العناوين
بعد الحرب الأولى إلا في ردود أو رسائل
تتعلق بالموضوعات التقليدية وما إليها .
وعندي منها رسالة في الرد على مؤلف طعن

في بعض الصحابة طبعت (بدمشق سنة ١٩٣٦م)
لم يكتب صاحبها الشيخ محمد التونسي
الكافي رحمه الله بعنوان واحد مسجوع ،
بل ثلث فساها :

السيف اليماني المسلول في عنق من
طعن في أصحاب الرسول
أو

سم ساعة في كبد من فارق الجماعة
أو

الرماح والأسنة في فؤاد من لمز أهل السنة
أما في الكتابة والتأليف فقد نحى السجع
تنحية تامة إلا في نهاية بعض المقدمات
أو افتتاحيتها ، حيث نجد سمعتين تقليديتين
أو أكثر في حمد الله أو سؤاله التوفيق .

وشاع ذم السجع بين المتعلمين والعصريين
عامة ، وبقي محنطا في القسم الأخير من خطب
الجمع المخصص للدعاء ، فغاب من حياة

(٢) انظر التعقيبات على البحث بمحاضر جلسات مؤتمر الدورة الخامسة والأربعين (جلسة الأحد ١٢ من
ربيع الآخر سنة ١٣٩٩ هـ ، الموافق ١١ من مارس سنة ١٩٧٩ م) .

(١) كان السجع لعناوين الكتب تقليدا متبعا في المائة السادسة فما بعد ، فلا بن مالك مثلا : شواهد التصريح والتوضيح
لمشكلات الجامع الصحيح ، ولا بن هشام الأنصاري : قطر الندى وبل الصدى ، وكتاب أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ،
وآخر من حبيب إليه سجع العناوين صديقنا المرحوم الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد فقد سمي تعليقاته على شرح ابن عقيل :
منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل .

وحواشيه على طباعته لكتب ابن هشام : (هداية السالك إلى أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك) و(سبيل الهدى بتحقيق
شرح قطر الندى وبل الصدى ، ومنتهى الأدب بتحقيق شرح شذور الذهب) .. الخ .

الناس غيبة كاملة حتى كان عام ١٩٣٥
وخرج من السرداب ، حين تجاذب موضوع
السجع مدحا وقدحا علما شاميان كبيران
فرقا الناس فريقين :

تخيز الفريق الأكبر منهما للأول لمكانته
في العالمين العربي والإسلامي ، ونصر الفريق
الأقل الثاني منهما لأن الحق معه .

كتب الأستاذ محمد كرد علي رحمه
الله فصلاً في مجلة «الرسالة»^(١) ناقدا كتابا
اسمه (قواعد التحديث) للمرحوم
الشيخ جمال الدين القاسمي ، ولم يكن
في نظر الأستاذ الناقد تأليفا ، فكان مما قاله :

«حدثت في التأليف طريقة جديدة هي
أن المؤلف في فن يقتصر على لباب ما قرأ
فيه ، ويدعم أقواله بشواهد من كتب القدماء
أو المحدثين بأسلوب خال من الخطائيات
والسجع . . . » بهذا القول بدأت
المعركة ، وكان هذا الكتاب قد استكتب
له ثلاث مقدمات غير مقدمة المؤلف ،
إحداهن للأمير شكيب أرسلان رحمه
الله ، فطلعت مجلة الرسالة بعد خمسة أسابيع

على العالم العربي برد مستفيض للأمير شكيب
جاء فيه :

« . . . ثم إن هناك غمزا بالسجع ،
وليس الأخ كرد علي الذي بدأ بهذا الغمز
بل كان أحد الأصحاب أطلعني على
كتاب للدكتور زكي مبارك تحت فيه
كلما يشبه أن يكون استصغارا للسجع
واستكبارا لإتيانه ، وهذا باب جديد
عجيب ، إذا أردنا أن ندخل فيه يطول
الأمر ، فنكتفي بالقول إن السجع وجد في
الجاهلية والإسلام ، وجاءت منه أمثلة
لأفصح فصاحتها . . . »

وأفاض الأمير رحمه الله يجادل مسهبا
في شأن السجع إلى أن قال :

« . . . ولا يقدر أحد أن يقول إنني
مفرط في هذا المذهب ، لأنه ليس لأحد
من الكلام المرسل أكثر مما لي^(٢) ، ولكني
لا أزال أرى السجع حلقة الكلام العربي عندما
يكون في محله ، وذلك مثل مقدمات الكتب^(٣)
ومثل الخطب التي تلي على الجماهير . . . »
أهكذا قال .

تخاطف الناس أعداد الرسالة هذه انتصارا
للأمير المناضل عن العرب والإسلام والمسلمين

(١) العدد ١٠٤ (السنة الثالثة ١ - ٧ - ١٩٣٥ م) ص ١٠٨٠

(٢) صدق الأمير والله ، فقد « جاء في رسالة بعث بها إلى صديقه السيد هاشم الأتاسي رئيس الجمهورية السورية غير
مرة عام (١٩٣٥ م) أنه أحصى ما كتبه في ذلك العام فكان : ١٧٨١ رسالة خاصة و ١٧٦ مقالة في الجرائد و ١١٠٠ صفحة
كتب طبعت ثم قال : « هذا محصول قلبي في كل سنة » وعرفه خليل مطران : (إمام المترسلين) من ترجمته في (الأعلام)
للزركلي رحمه الله .

(٣) العدد ١٠٩ في (١٢ / ٨ / ١٩٣٥ م) ص ١٢٨٠

من مقره في جنيف ، وشماته بوزير سابق في وزارة تخضع للأجنبي المحتل ، وقلة منهم فهمت الموضوع وتذوقته واستمتعت بمحاوره الرائدين الكبيرين .

الظاهر أن الأستاذ كرد علي أراد أن يربح الصفقة بحجج لا ترد ، حتى من الأمير نفسه ، فعمد إلى جعل من سجع الأمير في مقدمته للكتاب موضوع النقاش واحتكم إلى القراء ، حين قايس بينها وبين كلام الأمير المرسل في تقرير كتاب آخر فقدم المثال الآتي مخاطباً الأمير^(١) : « بالأمس كتبت مقدمة (النقد التحليلي لكتاب » في الأدب الجاهلي ») للأستاذ محمد أحمد الغمراوي ، فمن منا لم يعجب بما كتبت وحبرت ، وإن كنت قد أطلت وتوسعت ، واليوم تكتب ما تكتب ! (قواعد التحديث) في فن لست منه ولا أنا لا في العير ولا في النفير ، وجئت تغالى بكتاب ليس فيه من حديث ولا أسلوبه أسلوب المؤلفين ولا يستحق هذه العناية والرعاية وهذه الضجة ، ولكل رأيه واجتهاده . وأكتفي الآن بجملة من مقدمتك وقد بدأتها بقولك :

لا يخفى على أهل الأدب أن الجمال^(٢) والقسام في العربي واحد ، وأن معنى القاسم هو الجميل ، فلا يوجد إذاً لتأدية هذا

المعنى أحسن من قولنا « الجمال القاسم » الذي جاء اسماً على مسمى ، مع العلم أن الجمال الحقيقي هو الجمال المعنوي لا الجمال الصوري الذي هو جمال زائل ، فالجمال المعنوي هو الذي ورد فيه الحديث الشريف (إن الله جميل يحب الجمال) ، وعلى هذا يمكن أن أقول : إنه لم يعط أحد شطراً الجمال بدرجة المرحوم الشيخ جمال الدين القاسمي الدمشقي . . . بحيث أن كل من كان يدخل دمشق ويتعرف إلى ذاك الحبر الفاضل والجهر الكامل ، كان يرى أنه لو لم يكن فيها إلا تلك الذات البهية المتحلية بتلك الشمائل السرية والعلوم العبقريّة ، لكان ذلك كافياً في إظهار مزيته على سائر البلاد وإثبات أن أحاديث مجدها موصولة الإسناد »

ويعقب الأستاذ على هذا النص بقوله : « بأبي أنت وأمي يا شكيب ! أهذا بيانك الذي عرفته وعرفه فيك قومك ؟ أنا لا أطلب غير حكمك فلا أحتكم إلا إليك ، أهذا كلام ترضاه لنفسك في كتاب يبق ، وما هذا الفارق في المعاني والمباني ؟ ربما اغتفر صديق مثل هذا من فتى يشدو في الأدب ولكن من شيخ كتاب العرب ، لا ثم لا . »

(١) العدد ١١١ في (١٩ - ٨ - ١٩٣٥ م) ص ١٣٥٩

(٢) لا تنس أن اسم المؤلف جمال الدين القاسمي .

وينتقل الأستاذ كرد على إلى السجع وإلى كتابين للأمير بعنوانين مسجوعين يقول : « وحديث السجع أنت عرفت رأيي فيه ، ولعلك تذكر أني كنت لفت نظرك إلى ماأسميت به كتاب رحلتك إلى الحجاز وهو «الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أسمى مطاف » . وقلت لك يومئذ : إن القارئ مهما يبلغ من ثقب ذهني لا يدرك لأول وهلة معنى هذا العنوان المسجوع إلا بكثير من إجهاد الفكر ، وهكذا كدت باستحسانك السجع في بعض المقامات والغلو في تقرير من ترى تقريره أن تفسينا حسناتك علينا في كلامك المرسل الكثير » .

ويضرب الأستاذ كرد على الأمثال بالبلغاء المحسنين ولا ينسى أن يقف عند الإمام محمد عبده الذي كما يقول : « قضى بقوة حكومته على استعمال السجع في الصحف والرسائل الرسمية فعُدَّ عمله هذا أكبر حسنة من حسناته ، ولولا عمله ما دخلت اللغة في هذا الأسلوب الممتع الذي نقرؤه اليوم للمنشئين والمؤلفين » .

وكما احتج الأستاذ بمثال واضح من سجع الأمير في تقريره جعل القراء يقتنعون بسلامة دعواه ، احتج أيضا على الأمير في تقديمه ديوان أخيه إذ جعل عنوانه : (روض الشقيق في الحزل الرقيق) .

ماقلته في فاتحته :

« . . . الذي لأجد لشعره وصفا أوفى من عرضه على الأنظار ، ولالديوانه

حلية أجمل من نشرها في الأقطار ، وخير وصف الحسنة جلاؤها والحواد عينه تغني عن الفرار . ولعمري لو وصفته بأزهار الربيع وأنواع البديع ، وشققت في تحليته أصناف الأساجيع وكان هو في الواقع دون ماأصف لما أغنيته فتيل ولا رفعتة عن دوحته كثيرا ولا قليلا ، كما أني لو قدمته للقراء فريدة معطالا لا يرن له حجل ولا سوار ، ولا يتلأأ عليه ياقوت ولا نضار وكان هو في نفسه درا نظما وأمرأ عظيما وديوانا تتأرجح أرجاؤه نداء ولطيفا ، لما خفي أمره على ذوي الوجدان ، ولا تعانى عن سبقه أحد ممن له عينان . . . » :

يقول الأستاذ : لو كنت مكانك لقات وما باليت :

« الذي لأجد لشعره وصفا أوفى من عرضه على الأنظار ولو وصفته بأزهار الربيع وكان هو في الواقع دون ماأصف لما أغنيته فتيل ، ولو قدمته للقراء فريدة معطالا وكان هو في نفسه درا نظما لما خفي أمره . . . »

« أليس هذا الإنجاز أوقع في النفس وأجمل في أداء المعنى ، وأدعى إلى الإفهام من أسجاع تثقل على الطباع ، ونحن إنما نكتب لنفهم لالنعجم ونبهم » .

وختم كلامه بالدعوة إلى أساليب البغاء يوم لا هذا الترصيع والتسجيع ، ولا ذلك الضرب المستكره من أنواع البديع .

لم يصنع الأمير شيئا حين عاد بعد خمسة أسابيع يدافع - باختصار - عن ثنائه على مؤلف (قواعد التحديث) ويعترف المسجوع ، محتجا أن (نهج البلاغة) وكثير من كلام أفصح العرب من النوع المسجوع ، لكنه خرج عن الصدد في قوله آخر رده :

« . . فإن كانت اللغات الأوروبية ليس فيها سجع إلا ماندر فايس هذا بحجة على اللغة العربية ، فلكل لغة خواص تمتاز بها وقد خاق الله الناس أذواقا مختلفة ، وجعل لكل أناس مشربهم ، والعرب غير العجم ، والشرق غير الغرب (١) » .

إذ لم يجر للغات الأوروبية ذكر في كل مدار في هذا الموضوع .

كان الولوع بالسجع التعويذة الوحيدة من العين في تراث أمير البيان الخافل بصولات وجولات ما أروعها وما أبرعها .

وليست حملة الأستاذ كرد على السجع من حيث هو سجع ، والدليل على ذلك أنه نفسه كثيرا ما تنفق له السجعتان والثلاث من حيث لا يشعر هو ولا قراؤه أنه يسجع ، بل سجع هنا وهو يحمل على السجع حين قال آنفا « يوم لا هذا الترصيع والتسجيع ولا ذاك الضرب المستكره من أنواع البديع » وقال : (ونحن إنما نكتب

لنفهم لالنعجم ونبهم) : بل إن السجع لي جرى أحيانا في حديثه العادي ، زاره في مجمعه مرة مستشار معروف في العالم العربي بأسره ، ليقتراح عليه أمورا في شئون المجمع ، فتأخر عن موعد بيننا ، واعتذر بتلك الزيارة عن غير موعد ، وكنت أعرف أنه يثقل على قلبه فسألته كيف وجدته ؟ فقال نبها : أعجم طمطم ، ولا يفهم ولا تفهم .

إن السجع كبقية أقسام الكلام ، إذا أصدر عفوا من بايغ مطبوع في مقام يقتضيه فهو حسن وإلا فلا ، وقد نص الأستاذ على أن « الكراهية آتية من التزيد والتكاف » .

وبعد فلا يغنى ما اقتطفت من كلامهما عن الرجوع إليه كاملا حيث أشرت إلى مبطانه من مجلة الرسالة ، ففيه دلالة على أدب جم واطلاع مستفيض وطبع قوى ، ومملكة متمكنة رحمها الله .

* * *

ظننا بعد هذه المعركة اللطيفة في الشام على الأقل أن أمر السجع مضى ولا عودة ، لكن حدثا مباركا أظل الناس في الشام سنة ١٩٥٨ م ، وقضوا في فرحته سنتين ، وكان أثرها عند العرب المغتربين في الأمريكيتين بايغا عارما ، فما أبهجنا حينئذ شيء كاعتزام أجلاء من شيوخ الأدب هناك الرجوع

(١) مجلة الرسالة ، العدد ١١٦ في (٢٣ / ٩ / ١٩٣٥) ص ١٥٥٥

إلى الوطن وقد تجلّت لأبصارهم بشائر
وحدة عربية طالما حلموا بها وغنواها ،
بدأ تحقيقها بوحدة مصر والشام ، فسعدنا
برؤية أعلام كنا نعمنا بأدبهم ونضالهم
للمهم وببلادهم ، واليوم نراهم بيننا يغنوننا
في فرحتنا أعذب الألحان : الشاعر القروي ،
والشاعر المدني ، والياس فرحات ، وإيليا
أبو ماضي وجورج صيدح و . . . الخ .

ويعيننا منهم في موضوعنا هذا الأستاذ
نظير زيتون حامل لواء السجع المطبوع الجميل ،
ولو كان بدا للحاملين على السجع لنكسوا
أعلام الحملة ، وتركوا لهذا الأسلوب
ميادينه يعمرها فرسانه الأصلاء المطبوعون .

كان السجع على لسان نظير زيتون
ينثال سهلاً سائغاً عذبا يطرب رنينه ويهبر
تدفقه ، ولو شاء جعل كلامه كله سجعا ،
فهو فيه قريع أبي العتاهية في شعره سلاسة
وطبعا .

إن ما خلفه نظير زيتون هو أدب قبل أن
يكون سجعا أو غير سجع ، وكان كما
وصفه صديقه الشاعر جورج صيدح في
تقديم قصته (من وراء القبر أو انهيار
أمبراطورية وولادة أمة) : سبقته إلى الشام

«شهرة طيرها المهاجرة وتصيدها الوطن ،
لقد عاد من البرازيل بثروة من الآثار القلمية
تغنيه عن التماس أثر جديد ، لكنه ظل
مهاجري الروح مهاجري^(١) الطابع ، وظلت
الرسالة المهاجيرية أمانة في عنقه سواء (توطن)
في الغرب أم (تغرب) في الوطن ، وتعود
أن يعيش بقلبه وقلمه كل محنة تنزل بأمته
كما يعيشها خديته الشاعر القروي بروحه
وبشعره ، وزميله فرحات بثورته^(٢)» حسبي هذا
تعريفا بأدبه من زميل له عايشه في الغرب
العمر الطويل ، لأبادر بالكلام على سجعه :

في صيف عام ١٩٦٤ لفت نظري في مجلة
تصدر في دمشق تعليق سلبي على مقال عنوانه
(نجوى وذكريات من نظير زيتون إلى شفيق
معلوف) كان للتعليق رد فعل في نفسي حملني على
الإمعان في المقال فطربت لفقرته الأولى
وقد قطعت جملا صغيرة مسجوعة ذات
رنين جميل وتصوير أجمل ، فتأنيت
في القراءة استلذاذاً بأصالة البيان ، فلم
أرفع نظري إلا آتيا على خاتمته ، لم أدر
كم استغرق من وقت لكنه إحدى عشرة
صفحة . بالحرف الدقيق ، والرسالة رحلة
في الذكريات ، والآمال ، والآلام ، أجاب
الكاتب بها صديقه الشاعر شفيق المعلوف^(٣) .
سطارها الأولان :

(١) في الأصل (المهجر) وهو خطأ شائع هناك ثم هنا .

(٢) (من قصة وراء القبر) ص ١٦

(٣) مجلة المعرفة - دمشق ، العدد ٢٧ مايو ١٩٦٤ م ، والتعليق للفقيد الأستاذ فؤاد الشايب وكان ملما بالآداب .
ولم يكن من العرف يومئذ أن يعهد برياسة تحرير لمن لا إلمام له بأدب ولا معرفة له بأدباء .

«حبذا الكتاب ونجواه ، والحرف وشذاه
والقلم في مجراه وملاه ونهاه ، والبحر ودره
الرهره (الصافي) والولاء متجليا في سناه ،
والخلق المعطاء صداحة ومسيقاه ، خصبا
مجناه ، هطلاً جناه » .

ثم يعرج على ذكرياته في الأمريكتين
مع رجال (العصابة الأندلسية) وغيرهم ،
ويحسن إلى أولئك الأيام « بين
رفاق تألفت قلوبهم ، وتجندت أرواحهم
للسروعات والمكررات ، والذود عن أم اللغات
في دنيا غريبة اللغات والعادات ، فكانوا أحنى
ضلوعا على الحرف العربي من المرضعات ،
وأوفى بالضاد من شيوخها السادات ، وأكلف
بالفصحى من صوفي بالعبادات ، وأغضب
للغة القرآن من مضرى في حومة المساجلات
وعكاظ المفاخرات » .

وتمضي الرحلة في بلدان أمريكا الشمالية
والجنوبية حيث العرب المغتربون قد أقاموا
للفصحى في كل بلدة ناديا وسوقا وجريدة
ومجلة ، فيستعيد ذكرى المجالس الخافلات
بالأدباء والشعراء ، ومهرجانا أقاموه
للمتنبي فيقول :

« ولنعرج على شيخنا المتنبي في ذكره
الألفية ، ولنشنف آذاننا بسماع شعراء
العصابة الأندلسية ، ولقد أصغينا إليهم قرأناهم

أمراء ينشدون في حضرة المتنبي صاحب
الحلالة الملكية ، كما كان أبو الطيب ينثر
درره في ديوان سيف الدولة الحمدانية ، ويقهر
خصومه وحساده بالأبيات الخلية العصبية
ويؤجج في صدورهم نيرانا جهنمية » .

ولم تكن ذكرى المتنبي في سان باولو
حفلة ولا مهرجانا ، بل رواقا باذخا رتلنا
فيه صلاة وقدمناه قربا ، وقرأنا ، وركعنا
نحشا في محراب الفصحى شيوخا وشبانا ،
وبزغت العربية في صدورنا نورا وإيمانا
وحبا وإحسانا ، وفصاحة وبيانا . .
ويختم رحلته قائلا لمخاطبه : « واكم لعبر
شاعرا ولآي البيان ناثرا ، وللإخوان صدرا
عامرا ، وللفضل بحرا زائرا » .

شعرت أن الكاتب يغرف من قلبه الطافح
بأنبل العواطف ، وأن لغته الساجعة طاوعته
بل سابقته إلى هذا الغرف ، وأنت حين
تكون حيال أدب مطبوع لا تسأل عن
شكله ، فليكن شعرا أو سجعاً أو مرسلا ،
حسبك من قوة الطبع وعدوى الانفعال
والتأثر .

ثم عدت إلى نفسي أتساءل : (ألا يمكن
أن يكون الأستاذ نظير قد احتفل في هذه
الرسالة بأناقة الأسلوب لأنه قدر أنها للنشر ،
ولولا ذلك لكان تعبيرها عن طبعه في الصدق

والبعد عن التكليف ، . . ولم يطل بي الفكر
إذ ذكرت أن عندي رسالة شخصية منه
كتبها إلى في ٢٠ / ٧ / ١٩٦٣ فاستخرجتها
أقرأها ، فإذا هي وما تقدم من ينبوع واحد ،
وهذه فقرة منها لا أحتمس من ذكرها :

«ورحم الله الأفغاني جمال الدين ، الرئيس
الإمام ، وقد كان في الشرق قطب الإصلاح
وعلمه المصباح ، وبابه والمفتاح ، فكم نادى
في القوم وصاح ، ودعا إلى الفلاح ، وكم
شنها غضبة مضرية على السلطان السفاح ، وكم
ندد بالجهل والحمود والتخبط والفساد
وسائر ما ينتاب العقل من كساح ، وكم
أهاب بالعرب ودعا إلى السبيل الوضاح ،
والسنن الصراح ، إلى أن أدركته المنية عملاقا
في الكفاح ، عبقريا في عظاته الفصاح ، أو
ليس بين هذين من قربى الأرواح موصولة
بصداقات فكر أصيل لاح ، وقلب خير
سماح » .^١

وعلينا أن نراعي ما بين طبعتي الموضوعين
من تفاوت ، فهذه رسالة شخصية ، وتلك
رسالة أدبية تزخر بالمواقف والعواطف
ولكنهما سقيتا بماء واحد .

قلت إن تعليق رئيس التحرير كان سلبيا ،
ولكل عصر شعارات خرافية تشيع حتى

ليتعبد بها كثير من الناس ، ومن هذه
الخرافات تعابير : القديم والحديث ، والسجع
الثقيل والشعر الحر وغيره ، والعمودي
والخليلي ، والرؤى الرمزية ، ومن ذلك
قولهم : أسلوب عني عليه الزمان ، وتصاوير
الجيل الصاعد والمتحرر . . . إنها شعارات
العبودية والانجرار على الذبول يلوكلها
الخليون من العلم والأناة والتفكير ، وربما
تجرف أحيانا من تخطي المراهقة في الأدب
أو السياسة أو الغوغائية ، وقد جرفت فيمن
جرفت صاحب التعليق حين قال :

«لولا أنه نظير زيتون ، ولولا حبه العظيم
لعريبته وعروبته لقلنا إنه أسلوب عني عليه
الزمان وخلفته وراءها الركبان » .

كان منتظرا بعد هذا التعليق أن يشور
جدال كالذي ثار بين الأمير شكيب ،
والأستاذ «محمد كرد علي» رحمهما الله ، ولا
شك في أنه من آثار حملات «كرد علي» على السجع
في نفوس الشباب حينئذ وصاحب التعليق
منهم ، ولعله طمع في شيء من مثل ذلك
الجدال لمجلته ، لكن شيئا لم يقع ، إذ فات
المعلق أن الأمر مختلف من وجهين :

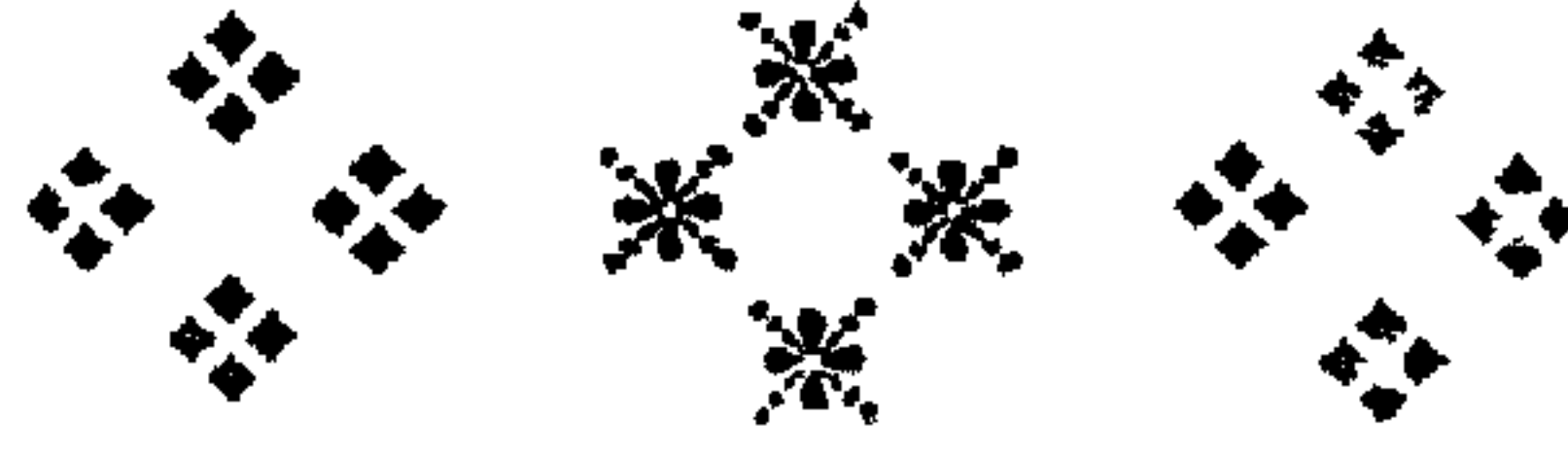
(١) العدد السابق .

الأول أن الأستاذ نظير مطمئن إلى أدبه
الشهير المكين فلم يعبأ بالتعاقب ، والثاني
أن القراء سحرهم البيان الجميل المطبوع
فنسوا ما كان قال رئيس التحرير .

كان آخر ساجع في الشام ظاهرة أدبية
فذة في الربع الثالث من هذا القرن .

سعيد الأفغاني

عضو المجمع المراسل من سورية



(١) ولد الفقيه الأستاذ نظير زيتون في حمص (الشام) سنة ١٨٩٦ م ، وفيها تلقى علومه الأولية ، وفي سنة ١٩١٤ م أول الحرب العالمية الأولى رحل إلى (سان بابلو) في البرازيل مهاجراً يطلب العمل والعيش فيها ، فعالج أبواباً من التجارة فلم تفتح له ، فعدل عنها إلى ميوله الأدبية واللغوية ، وقد وجد في مقاومة الحديد حافزاً يشجعها وبواعث تنشطها ، فانصرف إلى دراسة اللغتين البرتغالية والأسبانية عاملاً على التبحر في آداب العربية وعلومها ، ولم يمض بضعة سنوات حتى أصبح واحداً من ألمع قادة الحركة الفكرية العربية في أمريكا الجنوبية . واشترك مع غيره من أدباء المهاجر في حل رسالة الفكر العربي إليه ، كما اشترك معهم بنثره البليغ وبيانه المشرق في قيام (الحركة الأدبية في المهاجر) ، وقد أسندت إليه سنة ١٩٢٦ . رئاسة تحرير جريدة (فتي لبنان) ، وظل يشرف عليها حتى سنة ١٩٤٢ . كان الفقيه خطيب (النادي الحمصي) في (سان بابلو) وركناً من أركان (العصبة الأندلسية) ، وقد أسهم في تحرير مجلته الرقيقة ، فلمع اسمه في مختلف جاليات المهاجر وأرجاء البلاد العربية . نشر كثيراً من المقالات الأدبية والدراسات الاجتماعية في مختلف المجلات والصحف العربية ، وقد جمع بعضها في كتب طبعت ، وظل أكثرها ينتظر من يجمعها لتمام فائدتها . ثم حمله الحنين إلى الوطن إلى سورية (في عهد وحدتها مع مصر) ، فلقى من مواطنيه كل تقدير لأدبه الرفيع وجهوده البالغة في خدمة القضية العربية ، ومنحته الحكومة السورية وسام الاستحقاق السوري . أقام في بلدته (حمص) إلى أن وافته المنية صباح السبت في ٢٢ / ٧ / ١٩٦٧ م .

[عن مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق مع بعض التشذيب ٤٣ - ٢٠٧]

اللغة العربية وسائل لإعداد

أترجمة أم عدوى لغوية؟

للكترابراهيم السامرائي

لَقَلَّ

القسارىء ستأخذ هذه
طيرة من العجب أن
أستعير كلمة «العدوى»

من بيئة الأعراض والأدواء فأجتلبها اجتلاباً
إلى حيز واضح في علم « اللسانيات ». غير أنى
قد استجزت لنفسى هذه الكلمة فتوسعت
في دلالتها توسعاً لا يحمل الضيم عليها ولا
يفسدها على نحو ما يعرض للكثير من الكلم في
هذه الأيام بحجة التطور وبذريعة أن العصر
يفرض علينا من الحديد أفانين شتى .

أريد بـ « العدوى » ما أسلفته الترجمة

بالعربية من « ضير » ، فقد حفلت العربية
المعاصرة بأنماط كثيرة من « الصياغة »
« Tournure » ومن غيرها مما يدخل في
أساليب التعبير (١) . ولقد كنت قد أشرت إلى
ذلك في موضوع أعدته لمؤتمر المستشرقين
العالمى الذى انعقد في باريس (تموز ١٩٧٣) .
والموضوع مهم يتصل بالعربية وسلامتها كما
يتصل بعلم « اللسانيات » من حيث أن أنماطاً
لغوية خاصة بلغة غربية فرنسية ثم إنكليزية
قد وجدت السبيل إلى هذه العربية فبدت
عربية جديدة وسمت بسمات من «التغريب»

(١) قد يخطر في أذهان الدارسين ما يقابل هذه المواد المستعارة في اللغات الغربية (أخص منها الفرنسية والانكليزية)
وهو ما تفرسه العربية هذه اللغات من الكلم والمصطلح والأساليب . وهذا موضوع تاريخي كتب فيه الغربيون فأشاروا
إلى الدخيل العربى في الفرنسية والانكليزية والأسبانية وغيرها من اللغات وصنفت في ذلك مصنفات معروفة . وقد تجاوز
الأمر هذا الدخيل فكان نمطاً جديداً من الفرنسية التى يحررها العرب من التونسيين والجزائريين والمغاربة . وهذه من الأنماط
الظاهرة التى وقف عليها علماء اللغة واللسانيات من الفرنسيين .

انظر مقال الآنسة زهرة رباحي بالفرنسية والمرسوم به اللغة الفرنسية كما تتكلمها « الإطارات التونسية » (في
المجلة التونسية للعلوم الاجتماعية عدد ١٣ مارس ١٩٦٨ ص ١ - ٢٤) . وقد أثرت أن أثبت كلمة « الإطارات » لأشير إلى
أن التوافسة وغيرهم من الإفريقيين قد استعاروا كلمة (cadre) : الفرنسية واستعملوها مجازاً استعمال الفرنسية لها
على غير الحقيقة .

ومن غير شك أن الإنكليزية المستعملة لدى غير الإنجليز قد عرض لها من الحديد والدخيل ما أحالها إلى إنكليزية
أخرى .

(بالغين المعجمة) ولا أقول « التعريب »
فقد اتجه هذا المصطلح الأخير وجهة جديدة
تختلف كل الاختلاف عن « التعريب » الذي
عرفته العربية في عصور سلفت . إن « التعريب »
في اصطلاح أهل عصرنا هذا يعني الترجمة
والنقل من لغة إلى أخرى .

وإذا كنا نترجم عن اللغات الغربية
ولا سيما الإنكليزية والفرنسية فمن المعلوم أن
طائفة كبيرة من هؤلاء المترجمين النقلة
يحدثون جديداً غريباً يضاف إلى العربية
الجديدة . وليس من حرج على أن أستعير
عبارة أهل العلوم في عصرنا فأقول : إن
كيان العربية لا يقبل في أغلب الأحيان هذا
الجسم الغريب الذي أريد له أن يزرع فيه
فيجد له مكاناً . لقد شاه هذا الجسم وساء
مغرساً ولكننا قد ألفنا هذه اللغة بـ«عجـرها»
وبـ«جـرها» كما قيل :

لا أريد أن أحجر على العربيين فأذهب إلى
شيء من « قل ولا تقل » وذلك لأني موقن
أن العربية واسعة وأن كثيراً مما أشير إليه أنه
ليس من كلام العرب كان من كلامهم بل
من كلام الصفوة أهل الفصاحة واللسن . وهل
في طوقنا أن نذهب إلى القول إن العرب لم تقل
كذا وكذا ونحن لم نملك الكثير من كلام
العرب ؟ وأن القليل الذي بين أيدينا لم نخط

به علماً ؟ وإني لأذكر أحداً من هؤلاء الذين
ذهبوا هذا المذهب من إخواننا المصريين قال :
إن كلمة « بعض » تدل على الجماعة وليس

على « الواحد » وهو يرد بذلك على الأستاذ
الدكتور مصطفى جواد — رحمه الله — ،
أقول : لقد فات هذا الأستاذ الفاضل أن
كلمة « بعض » تدل على الجماعة وعلى الواحد
وهي كذلك في لغة التنزيل في آيات عدة .
فإذا كنا لم نخط إحاطة كافية بأشهر كتاب
من كتب العربية الحليّة وهو كتاب الله — جل
وعلا — فكيف يتأتى لنا أن نقول هذه المقولة :
فندهب إلى أن العرب لم تقل كذا وكذا ؟

أعود فأثبت أني لا أومن بهذا المنهج ، وأن
هذه « المعيارية » شيء عرفه المتقدمون وقالوا
به ، ولكنهم لم يستطيعوا أن يثبتوا عليه ، فقد
تجاوزتهم اللغة إلى أشياء كثيرة .

ألم يكن الكثير من مسألة « عمود الشعر »
والخروج عليه شيئاً يقدر بهذه المعيارية
الحليّة ؟

ولابد من عودة إلى « الترجمة وآفات »
لأشير إلى أن المتقدمين أحسوا بعسرها ، وأنها
مشكلة ليس لنا أن نصل فيها إلى سمت
المحجة وقصد السبيل كما يقول الحافظ .
لقد فطن الحافظ إلى أن الترجمة مطلب عسير
وأن ليس في طوق المترجم أن يأتي بالعلم لما
يمكن أن تنال لغة من لغة أخرى ، فقال في
صفة هذا المترجم :

« ومتى وجدناه أيضاً قد تكلم بلسانين ،
علمنا أنه قد أدخل الضيم عليهما ، لأن كل
واحدة من اللغتين تجذب الأخرى ، وتأخذ

منها ، وتعرض عليها ، وكيف يكون
تمكن اللسان منهما مجتمعتين فيه كتمكنه إذا
انفرد بالواحدة وإنما له قوة واحدة ، فإن
تكلم بلغة واحدة استفرغت تلك القوة
عليهما « (١) » .

وهذا يعنى أن الترجمة عمل صعب ، وأن
صاحب الترجمة لابد أن يكون ذا علم واف
باللغتين وإلى هذا أشار الجاحظ فقال فى صفة
المترجم : « أعلم الناس باللغة المنقولة والمنقول
إليها ، حتى يكون فيهما سواء وغاية » (٢) .

وهذا النمط من الترجمة فريد لا نعرفه
إلا فى فئة قليلة من أهل العلم . ولعل الجاحظ
كان يقصد إلى هؤلاء فى كلامه على القصاص
حين قال :

« ومن القصاص موسى بن سيار
الأسوارى ، وكان من أعاجيب الزمان ،
كانت فصاحته بالفارسية فى وزن فصاحته
بالعربية ، وكان يجلس فى مجلسه المشهور
به ، فتقعد العرب عن يمينه ، والفرس عن
يساره ، فيقرأ الآية من كتاب الله ويفسرها
للعرب بالعربية ، ثم يحول وجهه إلى الفرس
يفسرها لهم بالفارسية ، فلا يدرى بأى لسان
هو أبين . واللغتان إذا التقتا فى اللسان الواحد

أدخل كل واحدة منهما الضيم على صاحبها
إلا ما ذكرنا (٣) » .

ولقد أشار ابن خلدون فى « المقدمة » (٤) إلى
معاييب الترجمة وما تؤول إليه ، وإنها تؤدى
إلى شىء غير مقبول فى اللغة فقال :
« لأن البعد عن اللسان إنما هو مخالطة العجمة
فن خالط العجم أكثر كانت لغته عن ذلك
اللسان الأصلى أبعد » .

وامتحن المحدثون بأمر الترجمة امتحاناً
شاقاً حتى ذهب أهل العلم والنسفة من
الإيطاليين إلى القول : « إن المترجم خائن »
(Traduttore traditore) . وما أظن
هؤلاء ذهبوا إلى هذا التماساً للسجع
والمشاكلة على نحو ما قيل عن الصاحب بن
عباد أنه خاطب قاضياً بمدينة « قم » فبدأ
الكلام بقوله : « أيها القاضى بقم فلم يجد
ما يتم به هذا الخطاب إلا بقوله :
« قد عزلناك فقم » .

أقول : لم يكن شىء من هذا دفع أهل
الفصاحة من الإيطاليين أن يذهبوا إلى أن
« المترجم خائن » والترجمة خيانة ،
ولكنهم خبروا من أمرها عسراً أدركوا أن
النقل يجور على اللغتين أيما جور .

(١) الجاحظ : الحيوان ١ - ٧٦

(٢) المصدر السابق .

(٣) الجاحظ : البيان ١ - ٣٦٨

(٤) ابن خلدون : المقدمة ص ٥٥٨

ومن المفيد أن أشير إلى شيء مما نال العربية من هذه الأساليب المترجمة التي تفتقر إلى الفصاحة . لقد أخذ الناس يقرءون في المجلات والصحف مثلاً : « إن الشاذلي أحد أكبر العسكريين العرب » (١)

ألا ترى أن هذا الأسلوب في إضافة « أحد » إلى « أكبر العسكريين » أسلوب لا تعرفه العربية ؟ وهو من باب إضافة « الواحد » إلى « الواحد » وذلك لأن « أكبر العسكريين » واحد في الأصل إلا أن يكون في التعبير ما يشير إلى غلبة المضاف إليه وهو « العسكريين » . إن هذا لتأثر بأسلوب مترجم هو : . . . one of the bigger

ولو أدرك الكاتب أن في العربية ما يغنيه عن هذه الرطانة لاهتدى إلى أن الأداة « من » الحارة تفيد التبعض فكان عليه أن يقول :

« إن العقيد الشاذلي من أكبر العسكريين » وأعيد لأذكر أن هذا ليس من باب « قل ولا تقل » ولا من باب « التحجير » فاللغة واسعة ولكن ذلك يشير إلى التداخل اللغوي الذي جاءت به الترجمة فأساءت إلى بناء اللغة وكيانها ثم إنى لأذهب إلى أن التصحيح تفرضه علينا معايير جمالية مما ندعوه بالمصطلح المعرب « الاستطيقا » الذي أشار إليه النقدة والفلاسفة المتقدمون (٢)

ألا ترى أن استعمال « من » الحارة هو أرشق عبارة وأخف لفظاً وأهدى سبيلاً ؟

وإذا جئنا إلى اللفظ الحديد في دلالة لرأينا نماذج جاء بها المترجم جاهلاً بمعنى الكلمة الأجنبية أم غير جاهل . ومن هذه قولهم : « المعطيات » (٣) .

ولعلنا بحاجة أن أتوسع في الكلام على هذا الحديد الذي لم يستقر المعربون على دلالة استقراراً يوحى أنه مادة عربية . إن « المعطيات » جمع مؤنث للمفرد « معطى » وهو اسم المفعول من « أعطى » الرباعي . وقد جمعه المترجم الناقل لأنه قد خُيِّلَ إليه أنه يؤدى الكلمة الفرنسية (Les données) وصيغة الكلمة الفرنسية اسم مفعول مؤنث مجموع ، فكان المترجم على حق في أخذ المقابل العربى اسماً مفعولاً مؤنثاً مجموعاً . وهكذا نشأت كلمة جديدة شاعت شيوعاً عجبياً في كتابات أهل هذا العصر من يعرف منهم اللغة الفرنسية ومن يجهلها .

قد تقول : وهل من بأس أو ضرر في هذا الحديد الوافد ؟ وأجيب عن هذا السؤال بأن الكلمة الجديدة يستعملها جمهور من الناس ولا يدركون دلالتها وقد تسأل أحدهم عنها فيجيب « إنها أفكار » ، وهل تكون

(١) مجلة الوطن العربى (السنة الثانية ، العدد ١٠٠ ص ١٣)

(٢) انظر كتاب الألفاظ للفارابى (ط . الكاثوليكية) .

(٣) فقه اللغة المقارن لإبراهيم السامرائى (بحث تعابير أوربية فى العربية) .

«الأفكار» في عموميتها «معطيات» ؟
ويجب آخر فيذهب إلى أنها «إحجاءات»
أو «مقترحات» أو أشياء أخرى .

والكلمة الفرنسية في «المعجم الفرنسي»
وفي استعمال الكتاب من أهل الاختصاصات
وغيرهم تعني «النقاط التي لا تناقش ولا يتنازع
فيها» فهل ترانا بلغنا المراد في «المعطيات» ؟ .

وقد أدرك اللغويون المحدثون هذه
الناحية فكتبوا فيها مصنفات أشاروا فيها
إلى الصعاب التي تعترض سبيل المترجم
وما ينتج عن هذه المهمة من الدخيل
والمسخ والنسخ والتحريف والترجمة
الحرفية وآفات أخرى .

ومن هؤلاء اللغويين الذين شغلوا بمسألة
«تداخل اللغات» العالم اللغوي «يوريل
فاينرايش» (Uriel Weinreich) ، فقد
صنف كتاباً في الموضوع نفسه وسيم «اتصال
اللغات» (Languages in Contact) (١)
وقد نبه هذا العالم إلى ملاحظة ما يعرض
لآية لغة من معايب حين ينقل إليها شيء
من لغة أخرى .

ومن الجسديين بالذكر أن من يضطر
إلى أن يعرب بلغة غير لغته الأصيلة وهو لا يجيد

اللغة الأخرى إجادته للغته ، أو قل إنه
لا يعرب باللغة المكتسبة إعرابه بلغته الأولى
إن هذا النفر من غير شك ليضيف إلى
اللغة الأجنبية التي يحمل عليها إضافات
غير محمودة تنال من جوهرها فضلاً عن
بهاؤها وجمالها . ومن هنا نشأت إنكليزية
المستعمرات أو ما وراء البحار كما نشأت
فرنسية إفريقية أو فرنسية أخرى .
ومثل هذا يعرض للغات كافة فليس بدعاً
أن تكون لنا عربية جديدة فيها مما يتصل
بالنحو وبناء الجملة وما يتصل بالصرف
والأبنية ثم ما يتصل بالأصوات والدلالة
شيء جديد قد يكون عجباً في بعض الأحيان .

ولقد أشار إلى التحريف والعيوب التي
تلقح أسلوب المترجم وهو ينقل إلى لغة أخرى
المسيو «جان بول فيني» (Jean Paul Vinay)
في بحث له ضمنه كتاب يشتمل على بحوث
أخرى (٢) . وقد جاء بشيء واحد عدة
تشهير إلى ما عرض للمترجم من صعاب
جنبته سواء السبيل .

ومن المفيد أن أشير إلى شاهد اقتطعته
من دراسة في الترجمة (٣) للسيد صالح الفرماوي
التونسي وهو يشير إلى الفرنسية التونسية
وتأثيرها في العربية نقلاً وترجمة .

(١) من منشورات الحلقة اللغوية لمدينة نيويورك (Linguistic circle of New York) (وطبع

طبعة زيد فيها في مدينة لاهاي سنة ١٩٦٢

(٢) ورسم الكتاب بـ (Le Langage) في سلسلة دائرة معارف بلياد (Encyclopédie de Pléide)

(٣) من بحث للأستاذ صالح الفرماوي موسوم بـ «الترجمة من حيث عامل هام من عوامل العنوى اللغوية»

يقول الفرنسي : (Je n'ai plus faim)
يعرفها العربي في الشمال الإفريقي والعربي
في المشرق فيتأثر بها وهو يدرج في كلامه
الشفوى أو قل : وهو يكتب فيقول :
« لم يعد عندي جوع » .

وهذه ترجمة حرفية ، ولو قال :
شعبت لكان أوفى لعربيته . ومن المعلوم
أن للشعوب طرائق خاصة في الإعراب
عن المعاني والأعراض فقد يكتفى الشرقي
المسلم في هذه الحالة بقوله : الحمد لله ، بعد
الانتهاء من تناول الطعام ؛ كناية عن
اكتفائه وشبعه .

غير أن قول القائل : لم يعد عندي جوع
تشبه . ما نسمعه في ديار المشرق العربي من
قولهم : « عندي جوع » وهذا نظير
قول التونسي : لم يعد عندي جوع
وهو فرق ما بين الإثبات والنفي . ولا أشك
في أن تكون هذه العبارة المشرقية
قد جاءتنا ترجمة حرفية لاستعمال
إنكليزي ثم فرنسي ..

ومن المفيد أن آخذ شيئاً من تجربة تونسية
أشار إليها الأستاذ صالح القرمادي في البحث
الذي نوهنا به قبل قليل .
جاء في البحث المشار إليه : « ومثل ذلك
يقال في المثاليين التاليين وقد اخترناهما من
نصوص قمنا بترجمتها شخصياً :

١ - النص الفرنسي :
(Je Préfère la montagne à la mer).
الترجمات العربية :

١ - أفضل الجبل على البحر . وهي
ترجمة حرفية .
٢ - الجبل عندي أفضل من البحر .
وهو تحوير أو تكييف .

٣ - وللجبل خير لي من البحر وأبقى .
وهو تعديل منسوج على منوال الأسلوب
القرآني .

٢ - النص الفرنسي^(١) :
(Le gros rouge qui détache).
الترجمات العربية :

١ - الأحمر الغليظ الذي يفصل .
وهو ترجمة حرفية سميحة .

٢ - الأحمر الحمراء المبتدلة التي لا تبقي
التياب بل يبقع رأس صاحبها إلى حيث

(١) قارن بين مختلف كيفيات أداء نفس المعنى وهو الصراع في اللغات الآتية :

مثلاً في العربية المصححة : برأسي ألم . وفي العربية التونسية : رأسي يوجع في .

وفي الفرنسية : (J'ai mal à la tête) . وفي الإنكليزية : (I have a headache)

وفي الأسبانية : (me duele la Cabeza) . وفي الروسية : (Golova mnie bobit)

لأندري وهذه ترجمة فيها شيء من التكلف والإفراط في التحليل لا محالة . إلا أنها تدل على توفيق المترجم مبدئياً إلى العثور على مرادف غربي للتورية الفرنسية الموحى بها في عبارة (detache) المقلوب عن (tache) ، وهذا المرادف هو بقّع وأبقّع .

ولئن كانت هذه الإمكانيات المتعددة في نوع درجات الترجمة من لغة إلى أخرى ناتجة عن اختلاف الثقافات في العالم فإن مردها الأساسي من حيث علم الألسنة إلى أن كل لغة يصنف أصحابها التجربة البشرية تصنيفاً خاصاً ، كما ذهب إلى ذلك العالم الألسني الفرنسي « أندري مارتيني » (١) (André Martinet)

وقد تأثرت اللغة الإعلامية المبهمة بالإعلان المذاع ، وما يكتب في اللوحات أو قطع القماش أو في الجدران مما يراد به الإعلان والدعوة لشيء من الأشياء .

ومن هذا ما سمعت من إحدى الإذاعات العربية أن المذيع يتلو جملة هي :

« آخر صيحة في عالم الساعات » وهو يقابل في عبارته ما تذيعه الإذاعة نفسها في اللغة الفرنسية وهي :

(Dernier cri dans le monde des montres)

وإذا عرفنا أن هذه اللغة الحديدية تجاوزت حدودها فليست هي مقصورة على اللغة السائرة الدارجة- مما يدخل في الإعلان

والتجارة والخبر السياسي والفائدة الاقتصادية وإنما وجدت سبيلها إلى لغة الحد في المادة الأدبية وسائر ألوان النشاط الفكري . وحسبك أن تعلم أن عبارة :

الأكثرية الساحقة :

La majorité écrasante

قد وردت في فتوى دينية لأحد العلماء والأعلام من المراجع الدينية . وهذا يعني أن اللغة المترجمة مما ندعوه بـ « المولد الجديد » قد شاع شيوعاً تاماً حتى خيل لكثير من الناس أنه مادة عربية . ومن أجل ذلك استعمله هؤلاء المفكرون الكبار من غير أن يشعروا أنه مولد جديد لا تعرفه العربية الفصيحة . ولم يتساءل هؤلاء كيف توصف « الأكثرية » بـ « الساحقة » ؟ ومن أولئك الذين تسحقهم الأكثرية ؟ وأكبر الظن أن هؤلاء لم يخطر في أذهانهم أن العبارة اجتلبت من بلد يحكمه نظام يقوم على المجلس النيابي الذي تكهن فيه « أكثرية » « وأقلية » .

ومن المفيد أن أقف على هذه الأبنية المحتومة بباء النسبة مع تاء التأنيث . لقد وجدوا أن الكلمة الأجنبية مؤنثة (Majorité) فكيف يكون المقابل العربي مساوياً في التأنيث للكلمة الأعجمية ، فلم يكن منهم إلا أن يفزعوا إلى هذه الصيغة المنسوبة المؤنثة .

(١) بحث الأستاذ ضالح القرطبي الذي أشرنا إليه . وهو غير منشور ولكنه أعد ليلقى بندوة علمية .

وقد شاعت في الحقبة الأخيرة ألفاظ
منسوبة ثقيلة مثل المادة « الأصغرية »
والاتفاقية « التصفوية » و « البرامج
التنموية » والاتفاقية « النووية » .

وشيوع هذه الألفاظ المنسوبة دليل
على غياب الشعور بالفصاحة والقرب من
العجمة ذلك أن هؤلاء المعربين لم يشعروا أن
أسلوب الإضافة يؤدي ما تؤديه هذه
النعوت المنسوبة الثقيلة . ألا ترى أن
قولنا : اتفاقية التسوية أو التصفية ،
وبرامج التنمية أخف لفظاً وأرشق عبارة
من الاتفاقية النووية أو التصفوية .

لقد اضطر العربون في مطلع هذا
القرن إلى أن يستعملوا هذا الأسلوب في
قولهم : الأنظمة التربوية وعلم النفس
التربوي .

ولعل هذا قد كان بسبب من الترجمة
الحرفية المقيتة . أما المادة « الأصغرية »
فتلك طامة « كبرى » وهي إن دلت على
شيء فإنما دلالتها عجمة مستحكمة ،
فقد جهل الناطقون بالعربية أن الصفة
« الصغرى » التي تترشح للتفضيل أحياناً
تغنى عن هذه « الأصغرية » القبيحة .

ومن هذه الأساليب الجديدة قولهم
في العربية :

« لتغطية حاجتنا » وهذا ليس من العربية
في شيء بل هو ترجمة حرفية للعبارة
الفرنسية

(Pour la couverture de nos besoins).

ولقد شاعت هذه « التغطية » حتى
صارت شيئاً لا بد أن تجد في كثير مما
يكتب في الصحف .

يقال مثلاً: « لقد كلف فلان بتغطية وقائع
المؤتمر » ويريدون ضبط الوقائع والإخبار
عنها ولو أن أحداً كان قد سمع هذه
العبارة قبل ما يقرب من ربع قرن لفهم عكس
ما يراد فهمه منها في هذه الأيام . أن
« تغطية » الشيء في العربية تعني حجبها
ولإخفائه فكيف كان العكس في لغة عصرنا
هذا ؟ هذا ما لا نريده لهذه العربية مع
إقرارنا بالحاجة إلى تطويرها وتطويرها
لحاقاً بما عند الأمم الأخرى .

ولعل أقطار الشمال الإفريقي قد عرفت
من أمثلة هذه الرطانة شيئاً كثيراً نلمحها
في أسماء المتاجر والمقاهي وغيرها من
المحلات العامة . أنك تقرأ مثلاً في واجهة
إحدى المقاهي في مدينة الجزائر :

مقهى النهاية، وهو من غير شك ترجمة
لاسم مقهى بالفرنسية هو :
(Café Terminus) .

والاسم بالفرنسية يعني «النهاية» أي نهاية
الشارع أو نهاية الخط الذي ينتهي إليه
القطار أو الحافلة .

غير أن ترجمة الكلمة الفرنسية (Terminus)
إلى كلمة (النهاية) بالعربية ذات إحياءات
مفرعة لانحسارها في الكلمة الفرنسية .

وقد يتسمح غير المعنيين باللغة والكتابة الأدبية والعلمية من التجار والصناع وأصحاب المصالح العامة بالمادة اللغوية فيديحون لأنفسهم ما لا يتقبله أهل الحد والعلم . ومن ذلك ما وجدته في بحث الأستاذ جان بول فيني^(١) (J.P. Vinay) الذي أشرنا إليه من أنه وجد في « كندا » الفرنسية إعلاناً يدعو الناس إلى التوفير والادخار فيعبر عن « الادخار » بأنه : (Passe Port pour une meilleur vie) .

وهو ترجمة للنص الانكليزي : (Passport to better Living) . وقد يتجاوز هذا الدخيل مسألة الألفاظ والتعابير إلى الأصوات والأبذية وشيئاً من النحو كما سنتبين :

التداخل الصوتي :

من غير شك أن الأصوات العربية تفتقر إلى أصوات لانجدها في عدتها كالأصوات اللاتينية : (V.P.G.) . ولقد امتحن المتقدمون بهذه المواد فاختاروا لها الفاء لـ (P) والواو (V) والغين لـ (G) ولكنهم لم يثبتوا على هذا المتعارف المشهور . وكان الحق أن يكون في العربية القديمة التي وصلت إلينا في مواد الشعر الجاهلي ولغة التنزيل العزيز والتي نخلت من

هذه الأصوات ، هذه الأصوات المشار إليها ذلك أنها أصوات عرفت في اللغات السامية الأخرى . ومن غير شك أن اللهجات العربية القديمة قد عرفت أيضاً ولكن الفضيحة المشهورة قد تجاهلتها .

لا أريد أن أدخل في علم الأصوات التاريخي للعربية، ولكنني أستدرك فأقول إن العربية المعاصرة قد امتحنت بهذه الأصوات وهي تنقل الكلام الأعجمي أذكر أني عرفت الشاعر الفرنسي (Victor Hugo) وأنا صغير قد تجاوزت مرحلة الدراسة الابتدائية في كتابه الشهير « البؤساء » ، فعرفت أن هذا الشاعر الكبير قد عرفه قراء العربية الذين لا يعرفون الفرنسية بأسماء عدة هي :

« هيجو، هيكو، هوجو، هوكو، هوغو، هيغو » ومن المعلوم أن ليس بين هذه الكلم شيء يفصح عن النطق الفرنسي . أما (Victor) فكان بالفاء . وليس « الفاء » نظير الصوت (V) وأهل الأصوات يعرفون هذه الحقيقة الأولية . وقد نتجاوز هذا القدر من الأصوات الساكنة هذه (Consonnes) إلى الأصوات الصائتة أو المصوتة ولا أقول « العلة »^(٢) ويدخل في هذا ما ندعوه في العربية بـ « الحركات » .

(١) المرجع المذكور آنفاً (سلسلة دائرة معارف بلياد) .

(٢) أقول : إن مصطلح العلة مصطلح لا يني بالحقائق العلمية للأصوات الينة «أصوات المد مع الحركات» وذلك لأن هذا المصطلح لا يتكفل بحقيقة هذه الأصوات وطبيعتها ومادتها وصفاتها وكيف تحدث بل يشير إلى أن هذه الأصوات لا تثبت فيعرض لها الابدال وهذه «علة» فيها أي أنها لا تساوي الأصوات الأخرى التي نسبوا إليها الصفة والسلامة .

ولنأخذ مثالا على ذلك نطق العلم المشهور الفرنسي « الجنرال ديغول » نسمع العربى ولا سيما فى الشمالى الأفريقى ينطق هذا العلم المشهور وهو يعقب صوت الدال (d) بـ (e) وهى حركة وسطية نصف منغلقة وبالصوت (g) وهو صوت فى أقصى الحنك شديد مجهور فرنسى لانعرفه فى العربية الفصيحة وإن كنا نباشره فى اللهجات العامية الدارجة .

وقد يكون هذا محدوداً بالنطق فلا يتجاوز الأمر إلى إحداث شىء مما ندعوه بـ « الفونيم » فى علم الأصوات . ومن التداخل ما يتصل بالأبنية الصرفية الجديدة .

لقد شاع فى اللغة المعاصرة ضرب من التركيب الذى يؤلف أبنية مركبة غريبة ليست من النحت الذى عرفته العربية كقولهم :

« انكلوساكسون » وهو من (Anglo — Saxon)

« افرو آسيوى » وهو من (Afro — asiatique)

« هندو — أوربى » وهو من (Indo — européen)

« الصناعات البترو — كىماوية » وهو من (Les Industries Pétro — Chimiques)

وتكأن العربى فى عيونا ياءوا ياء الأبنية مواد عزبية ، ومن أجل ذلك عوليت معاملة الكلم المنحوت فأنت تجد ياء

النسبة فى آخرها كقولهم : الصناعات البترو — كىماوية . واللغات الهند وأوربية . وهكذا . .

ولنعرض لشيء آخر يتصل بالبناء الحديد فى الحملة العربية ، ومن ذلك ما شاع من استعمال الكاف التى لا يراد بها التشبيه كأن يقال :

« هو كأستاذ » والمراد : هو من حيث كونه أستاذاً . وهذا من الفرنسية : (I est comme professeur)

وقد يكون من سوء فهم الدلالة الصحيحة أن تأتى الترجمة أبعد ما تكون عن الأصل . ومن أمثلة ذلك الفعل (Connaitre) تترجم غالباً بالفعل « عرف » ولكنه يعنى « عانى » وقاسى و « كابد » فى قولهم مثلاً :

(M. Nixon a connu toutes les étapes de cette dégradatio).

وكانت الترجمة العربية : « لقد عرف السيد نكسون كل مراحل هذا الانحطاط » .

وليس من مكان للفعل « عرف » فى الحملة الفرنسية ذلك أن الفعل الفرنسى (Connaitre) يعنى من بين معانيه الكثيرة (éprouver) أى عانى وقاسى وليس « عرف » فإذا ترجمنا الفعل الفرنسى بـ « عرف » لم نحظ بالمعنى المراد .

ونمثل هنا ما قرأته منذ زمن ليس ببعيد : « أن مصر تعرف أزمة اقتصادية » والفعل

الفرد في هذه الحملة هو (Connaitre) ولا يعني هذا « عرف » إنما يعني « المعاناة » والامتحان .

مثال آخر (١) :

Après avoir résisté pied à pied aux requisitions,, qui Lui Parvenaient de la comission d'enquêt du Sénat et du Procureur spécial, épaississant le trouble autour de lui, il s'est déclaré mercredi,

الترجمة :

وبعد أن صمد تجاه الاستدعاءات التي توجهها إليه لجنة التحقيق التابعة لمجلس الشيوخ والمدعى الخاص والتي تزيد في شدة الحيرة والارتباك حوله أعلن يوم الأربعاء ...

قال الأستاذ صالح القرمادى :

« هنا ينبغي الإدلاء بعدة ملاحظات ، فمن الجدير أولاً — وبالعكس مما ذكرناه (كذا) من تدخل إلى حد الآن أن نلاحظ الجهد الذي قام به المترجم قصيد اجتناب العلوي والتأثر بالفرنسية . ومن ذلك أنه قال : « لجنة التحقيق التابعة لمجلس الشيوخ .. » ولم يقل لجنة التحقيق لمجلس الشيوخ (باستعمال حرف اللام (ل) مرادفاً للحرف (de) الفرنسي » .

واستعمل المترجم : « تزيد في شدة » مقابل له (épaissir) . (وهذه الترجمة

هي التوصل إلى المعنى) بطريقة غير مباشرة .

واستعمل المترجم : « الحيرة والارتباك » مقابل له (trouble) واستعمال لفظتين مترادفتين موزونتين ومن خصائص اللغة العربية الفصحى القديمة المرموقة (كذا) . كما يجدر بنا ثانياً أن نلاحظ ما جاء في هذه الفقرة من تأثر تركيب الحملة العربية بتركيب الحملة الفرنسية من ذلك استعمال جملة فرعية زمانية تبتدىء بـ « بعد أن » قبل الحملة الأصلية التي تبتدىء بالفعل « أعلن » وذلك رغم طول تلك الحملة الزمانية وتشعبها لاحتوائها على جملتين فرعيتين ثانويتين موصولتين (كذا) (التي التي)

وهذا الترتيب إنما هو من خصائص الحملة الفرنسية في الأسلوب الأدبي ، وأما العربية الفصحى القديمة فقد كان الترتيب العادى فيها باستثناء الحمل الزمانية المبدوءة بـ « لما » أن يعكس الإنسان فيأتى بالحملة الأصلية ثم بالحمل الفرعية .

انتهى كلام السيد صالح القرمادى .

أقول : إن الحملة في ترتيبها كما ظهرت مترجمة متأثرة من غير شك بالترتيب الفرنسى في الحملة الفرنسية . غير أن كلام السيد القرمادى في ترتيب الحملة

(١) المثال مأخوذ من بحث الأستاذ صالح القرمادى الذى أشرنا إليه .

وهذا يقابل في الفرنسية :
Etude /de/ la /langue /et/ de /la littérature
des Arabes
وكان الصحيح الفصح أن يقال :
دراسة لغة العرب وأدبهم .

خاتمة :

هذه نماذج جد يسيرة كشفت عن أن العربية
المعاصرة يتعاورها الدخيل والغريب حتى أحالها
إلى شيء جديد . وهذه المظاهر تلقاها في
أنماط شتى من هذه اللغة فليست هي
خاصة بـ « لغة الصحافة » بل تجاوزتها إلى
لغة الصفوة من أهل البلد والعلم . ولا
تعدم أن تجد في لغة أهل الأدب والمعنيين
بالعلوم اللغوية أشياء كثيرة منها :

وبعد أليس هذا هو « التعريب » ؟
بالغين المعجمة . لا « التعريب » ؟ وهل
ترانا أسعد حظاً إن كنا نركن إلى « التعريب » ؟
وهذا التعريب ترجمة ونقل لأساليب
غريبة بعضها شر لا بد أن نطرحه جانبا ،
وبعضه شر لا بد منه ، وبين هذا وذاك
منافع جمة لا بد منها لحضارة معاصرة .

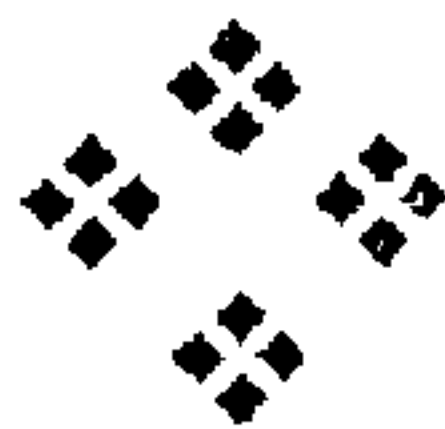
ابراهيم السامرائي

عضو المجمع المراسل من العراق

العربية الفصيحة وكيف تأتي الجملة الأصلية
مبدوءاً بها ثم تأتي الحمل الفرعية غير
سديد؛ وذلك لأن الجملة العربية تبدأ بما
هو المراد فحيث أريد تعيين الذات بدئاً
بالاسم ، فإن أريد تعيين الحدث بدئاً
بالفعل ، فإن احتيج بيان المكان أو الظرف
أو الحال الخاصة بدئاً بالظرف أو الجار
والمحذور أو نحو هذا . قال تعالى : « إياك
نعبد وإياك نستعين » وقد يتجاوز التداخل
اللغوي فيحمل الضم على شيء من خصائص
النحو القديم ، ومن أمثلة الفصل بين
المتضامين كقول غير العارفين بفصيح
العربية :

« سكرتير عام لجنة التنسيق » وهو من
(secrétaire général du comité de
coordination)

كان الصحيح الفصح أن يقال جرياً
على سنن العربية : « سكرتير لجنة التنسيق
العام » أو « السكرتير العام للجنة التنسيق »
غير أن التأثير بالأسلوب الأجنبي جرّ
المترجم إلى اتباع ما لا يجوز في العربية :
ومثل هذا مسألة العطف على المضاف
قبل المضاف إليه كأن يقال :
دراسة لغة وأدب العرب



نشاطات جمعية

في الساعة الحادية عشرة من صباح الخميس ٣٠ من
الأول سنة ١٣٩٨ هـ (٩ من مارس سنة ١٩٧٨ م) أقام
المجمع حفلاً لاستقبال عضويه الجديدين : الأستاذ محمد
عبد الغنى حسن والدكتور حسن على إبراهيم .
وفيما يلي ما ألقى في الحفل من كلمات :

● كلمة الافتتاح للدكتور إبراهيم مذكور

رئيس المجمع

سيداتي ، سادتي :
شعره وتقدرون قلمه ونثره : وهو واحد من
عمداء الجراحة المعاصرين ولجميعنا أيضاً
ثروة قيمة من كبار الأطباء ، أسسها المرحوم
على إبراهيم ، وهو دون نزاع العميد الأول
للطب العربي المعاصر وهو والد زميلنا الجديد
الذي نستقبله ، «ومن يشابه أبه فما ظلم» . ويلي
الدكتور على إبراهيم من أطباء المجمع على
حسب الترتيب الزمني على توفيق شوشة ،
ومحمد شرف ، وأحمد عمار ، ومحمد كامل
حسين ، ورمسيس جرجس ، ومحمد أحمد
سليمان . ويسجل اليوم عن جدارة الدكتور
حسن إبراهيم في هذه اللوحة الذهبية .

* * *

وباسم المجمع يستقبل الدكتور أحمد الحوفي
زميله الأستاذ محمد عبد الغنى حسن ، ويأسف
أنه لم يستطع أن يتولى ذلك بنفسه ، وتفضل
الزميل الأستاذ محمد شوقي أمين فتاب عنه .
ويستقبل الدكتور أحمد عمار زميله الدكتور
حسن إبراهيم .

والكلمة الآن للأستاذ شوقي أمين .

من حسن حظ هذه الدار أنها تغذى كل
عام بغذاء جديد ، وفي هذا الغذاء ما يبعث
فيها نشاطاً وحياة ، ويمدها بعلم ومعرفة .
ونصيبنا هذه المرة ثلاثة من الأعلام ،
لم يستطع واحد منهم ، أداء لواجب في
الخارج أن يكون معنا ، وهو الدكتور سليمان
حزين ، ونحن على موعد مع استقباله بعد
مؤتمرنا السنوي . ويسعدنا أن نستقبل اليوم
شيخين من شيوخ الأدب والعلم ، هما
الأستاذ محمد عبد الغنى حسن ، والدكتور
حسن على إبراهيم .

وأولهما أديب وكاتب ، باحث ومؤلف ،
ناثر وشاعر . ويضمّ دون نزاع إلى تلك
السلسلة الذهبية من كبار الشعراء الذين نعم
المجمع بهم ، واعتز بعضويتهم ، أمثال على
الحارم ، وعباس العقاد ، وعزيز أباظة ،
ومحمد بهجة الأثرى .

وثانيهما جراح كبير أولع بالشعر والأدب
منذ صباه . وستسمعون اليوم إلى شيء من

•• كلمة الدكتور أحمد محمد الحوفي



في استقبال الأستاذ

بسم الله الرحمن الرحيم

(١)

إخوتي السادة أعضاء مجمع اللغة العربية :

سأدتي :

السلام عليكم ورحمة الله . وبعد .

فقد اشتهر المجمع شرعة حميدة أن يقدم أحد أعضائه العضو الجديد المنتخب ، تحية له من ناحية ، وتعريفاً كاملاً به من ناحية ثانية .

وكان من قسمي الطيب أن أقدم اليوم الأستاذ محمد عبد الغنى حسن .

وإذا كان من حق اللآل أن يزهي بدرة نفيسة يقدمها ، فيصفها في دقة وخبرة وأمانة مشيداً بمزاياها ، مباهاياً بنفسها ، واثقاً من صدقه فيما يقول ، مطمئناً إلى أمانته فيما يصف فإن من حق أن أنوه بنجم من نجوم مجتمعنا اللغوي الموقر أقدمه اليوم ، كما جرى العرف منذ إنشاء المجمع على أن يقدم العضو اللاحق عضو سابق .

ولإني الأستاذ محمد عبد الغنى حسن ليس في حاجة إلى تقديم ، لأنه ينطبق عليه

المثل العربي القديم : لا يجهله إلا من لا يعرف القمر .

عرفته منذ آخر العقد الثالث من هذا القرن ، ونحن من طلاب مدرسة ثانوية خاصة اسمها تجهيزية دار العلوم ، كانت تعد لدار العلوم وحدها طلاباً يدرسون ما يدرسه طلبة المدارس الثانوية ، ويزيدون عليه سعة في اللغة العربية والشريعة الإسلامية ، ويحصلون بعد ثلاث سنوات على الكفاءة ! ، وبعد سنتين على البكالوريا ، ثم يلتحقون بالدار ، ألا ليت التجهيزية تعود ، ليتها تعود ، ليتها تعود .

إكان الأستاذ محمد عبد الغنى حسن في السنة الخامسة ، وكنت في السنة الأولى ، وسمعته يخطب مرات ، ويلقي شعره مرات ، فحبرت به وابتهجت ، ونبقت بيننا مودة منذ ذلك العهد .

ولقد أولاه السادة أعضاء المجمع ثقتهم ، ومنحوه أصواتهم ، فلما فاز تحفوا به ، وبشوا إليه وهشوا له ، وتهللوا بنجاحه .

والحق أن كثيراً منهم يعرفه باسمه وبانتاجه منذ نصف قرن تماماً ، ولا يستطيعون أحد هذا الزمن ، فان الأستاذ مد الله في عمره ومتعه بمزيد من الصحة والنشاط . مازال ريان من ماء الشباب ، ومازال متألق الفكر ، فتي القلب ، مشبوب الوجدان ، سخي القلم ، دثر العطاء جم الإنتاج .

ولعل كثيراً منكم يتذكرون أنه كان يسمى شاعر الأهرام لأن جريدة الأهرام كانت تعني بنشر قصائده ، وتضمني عليه هذا اللقب :

وبشعره وبشره تألق اسمه في مصر وفي الأمة العربية ، وما زال يتألق .

لهذا أستبجح لنفسي أن أهنته بثقة الجمع اللغوي ، وهي ثقة عزيزة المنال ، طالما هفت إليها أفئدة ، وطالما علقت بها آمال ، وأن أهنيء الجمع بانضمامه عضواً عاملاً به ، راجياً أن يوفقه الله سبحانه وتعالى إلى بذل جهد مضاعف موصول ينضم إلى جهود زملائه القدامى والجدد ، لتنمية العربية الفصحى ، والحفاظ عليها ، وتطويرها ، ومسايرتها لركب العلوم والفنون والحضارة والابتكار . وأسارع فأطمئن الإخوة المحجمين إلى أن زميلهم الحديد الذي أقدمه الآن يمزج ثقافته الفياضة وأدبه المتألق بكثير من خلال الخير ، كالتواضع والدعة والمودة والمسارة إلى إثارة الحق ، والشغف بالحقيقة أياً كان مصدرها يفعل هذا كله في قناعة الواجد ، وتجريد

الحاصد ، وأمانه الباحث ، وتواضع الزاهد . وإلى لوائح أن مجيعنا الموقر يرحب بهذه الخلال التي تعطره بالهدوء ، وتعمره بالسكينة وتكفل للحق وحدة أن يعلو صوته يستعلن ويستقر .

(٢)

أيها السادة :

أرجو أن تأذنوا لي في ذكر كلمة موجزة عن حياة الأستاذ محمد عبد الغني حسن وإنتاجه الأدبي .

١ - ولد الأستاذ بالمنصورة في ١٩ أغسطس ١٩٠٧ وتخرج في كلية دار العلوم سنة ١٩٣٢ ، وأوفد في العام نفسه إلى جامعة اكستر بالجلترة لدراسة التربية وعلم النفس ولغتين شرقيتين ، وانتظم في دراسة صيفية بجامعة ثور ، وبوانسون الفرنسيين لدراسة الفرنسية وآدابها .

٢ - أما الوظائف التي شغلها فهي التدريس بالمدارس الثانوية وبكلية فكتوريا بالمعهد العالي للتمثيل وكلية الشرطة ، وعين مديراً للاذاعة المدرسية ، ومفتشاً بالتعليم الثانوي والأجنبي ، ومديراً للنشر والدعاية بدار المعارف ، ومديراً لمؤسسة المطبوعات الحديثة ، ومديراً للنشر بالدار القومية .

٣- وأما مؤلفاته فهي كثيرة متنوعة
تجمعها كتب وبحوث :

(أ) في مجال الدراسة الأدبية له : الشعر
العربي في المهجر ، معرض الأدب
والتاريخ الإسلامي ، من أمثال العرب ،
الخطب والمواظع ، التراجم والسير ،
الفلاح في الأدب العربي ، فن الترجمة
في الأدب العربي دراسات في الأدب
العربي والتاريخ ، بين السطور ،
جوانب مضيئة من الشعر العربي ،
خمسة من شعراء الوطنية (باشتراك) .

(ب) في السير والتراجم له :

حياة م ، عبد الله فكرى حياته
وعصره ، أحمد فارس الشدياق ،
المقرئ صاحب نفح الطيب ، م أدبية
الشرق والعروبة ، ابن الرومي ، تراجم
عربية ، جرجي زيدان ، الشريف
الإدريسى ، الشريف الرضى ، حسن
القطار ، ابن سعيد المغربي ، موسى
ابن نصير ، أبو مسلم الخراساني ،
بطل السند محمد بن القاسم .

(ج) في تحقيق التراث :

حقق الكتب الآتية :

تلخيص البيان في مجازات القرآن
للشريف الرضى ، حلقة الفرسان

وشعار الشجعان لابن هذيل الأندلسي ،
الشيخ محمد عياد الطنطاوي للمستشرق
أغناطيوس كرتشكوفسكى .

(د) في التاريخ :

العرب صراع خلال العصور ، علم التاريخ
عند العرب ، المعاهدات والمهادنات
في تاريخ العرب ، تيجان تهادت ،
ملاحم من المجتمع العربي ، غرائب
من الرحلات .

(هـ) في الدراسات الإسلامية :

القرآن بين الحقيقة والحجاز والإعجاز ،
الإسلام بين الإنصاف والحدود .

(و) في الترجمة :

ترجم عن الإنجليزية :

كتاب المرأة والدولة في فجر الإسلام
للباحثة نايبة أبوت ، رواية مون فليت
مجموعة (أولادنا) .

(ز) في الشعر .

له عدة دواوين :

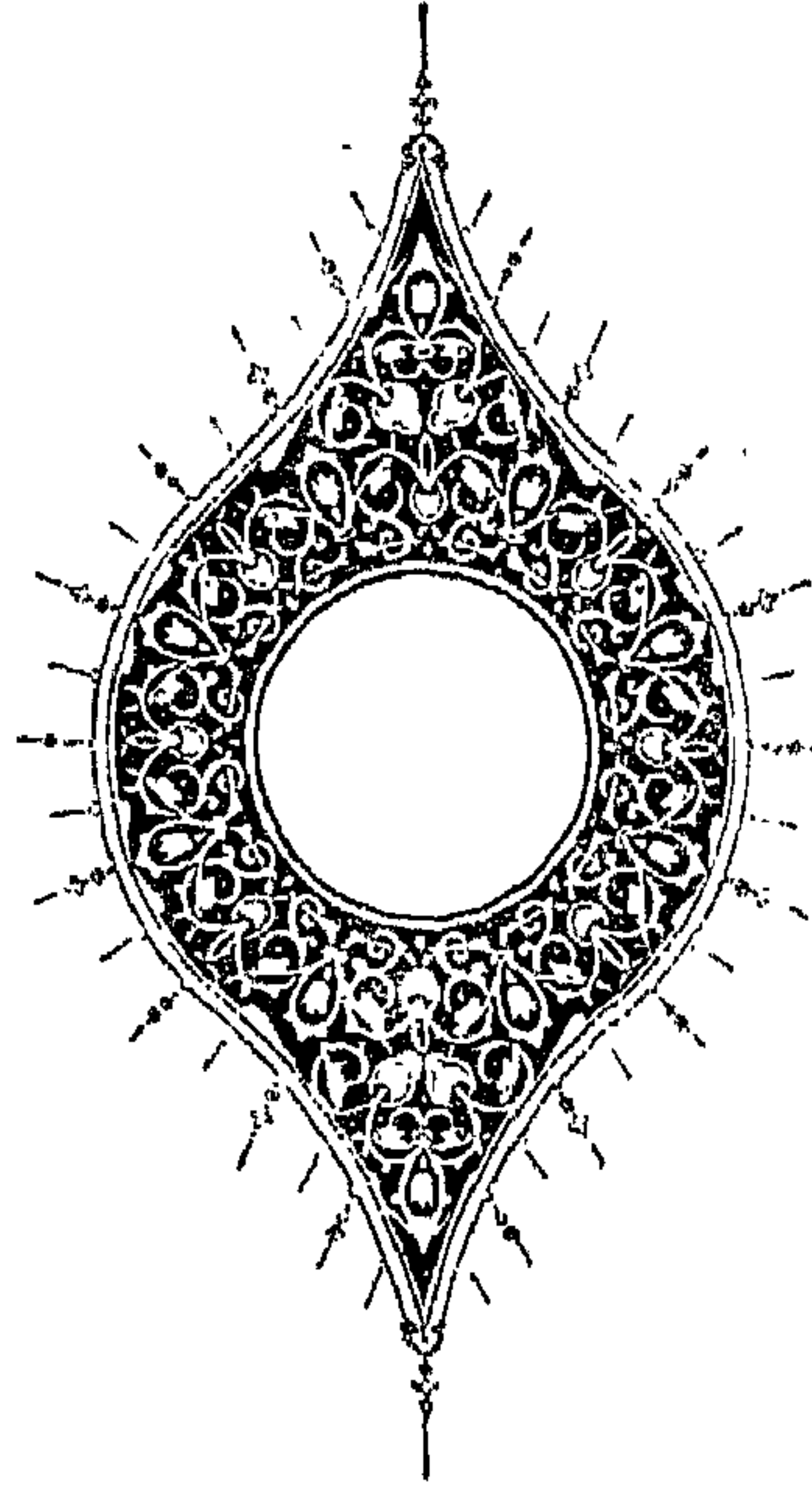
من وراء الأفق ، من نبع الحياة ،
من وحى النبوة ، ماض من العمر ،
سائر على الدرب .

(ح) وللأستاذ مناح آخر من النشاط في مجلات مصرية وفي مجلات عربية شتى . وفي سنة ١٩٧٧ نال وسام الرواد الأوائل للمعلمين في عيد العلم .

ولهذا كله عين سنة ١٩٧٢ عضواً مراسلاً بمجمع اللغة العربية بدمشق ، وحصل سنة ١٩٤٦ على وسام النيل من الطبقة الخامسة ، وحصل سنة ١٩٦٨ على وسام الجمهورية من الطبقة الثالثة ، ونال جائزة الدولة التشجيعية على كتابه في فن السير والتراجم (أحمد فارس الشدياق) سنة ١٩٦٨ .

أيها السادة :
أكرر تهنيتي للأستاذ محمد عبد الغنى حسن وأكرر تهنيتي للمجمع اللغوى ، والسلام عليكم ورحمة الله .

أحمد الحوفى
عضو المجمع



●● كلمة الأستاذ محمد عبد الفتى حسن

في حفل استقباله عضواً بالمجمع

حينما صرت بكم فى الخالدين

عدت من عمرى بآلاف السنين
لو يسمى الفوز يوماً صفقة
أنا مذ آوى إلى قمتكم
قد تلقيتم جهادى بيد
خفت أنى لم أكن أهلاً لكم
همت بين الشعر والنثر كما
فتنتى (عبقر) يوماً . . وهل
وتنقلت على أعرافه
تارة أدنسو . . وطوراً أرتقى
وتوجهت إلى النثر . . على
المطايا لم تعد لى ذُللاً
فحططت الرحل إنيأ بينكم
مذ طرقت الباب من نحوكم
هكذا قيل لنا عن شأنكم
أيها الأشياخ من علمكم
عرب أنتم كرام . . إنمسا
ليس فى الباب لديكم مسرب
فليصدق الباب مثنى وثلاث
هذه الكعبة من إيمعها
شـمـسـة الله لقد رشحنى

حينما صرت بكم فى الخالدين
كنت فى الصفقة خير الراحين
فأنا آوى إلى ركن ركين
كل ما فيها على الحق أمين
فأراني فضلكم كيف أكون
راح فى التهام بعض العاشقين
بعد وادى عبقر كان فتون؟
سادراً ما بين شك ويقين
بخيالى فى متاهات الظنون
ما به من مركب صعب حرون
والأمانى أصبحت وهى شجون
واستقرت بى على الشط السفين
لم يجب صوت ، ولا امتدت يمين
فى لقاء الطامحين الطارقين . . !
أن تصلوا الأسد عن باب العرين
تتحرون الرجال القاصدين
لضعيف ، أو مجال لظنين
ث ، ولا بأس بصبر الطائفين !
فليطف فى بابها بضع سنين !!
عندكم خير الكرام الشاهدين

راح « سلام » يزكى أدبي
 لم يزل يغمرني من حبه
 وانثى « الحوفى » يحصى دأبى
 أحسننا ظنهما فى ناهض
 لم يزالا بى فى السعى إلى
 مضيا يلتسان الإذن لى
 وأفاء بى إلى محرابكم
 وهما كانا إليكم سبى
 فالتقى عزمهما فى عزمكم
 اغفروا لى إن تخطيت إلى
 لم يضق بى النثر عن تحسنيكم
 ليتنى أبلغ من مرضساتكم
 لم تخنى لغسة النثر... ولا
 كيف يعي الشعر أن يبلغكم
 وهنا أحببت أن أطرفكم
 وقفسة إفى طال تفتننا
 سنة الدهر لدينا اجتمعت
 الكراسى التى إنشغلها
 فاسأل المجمع عن أمه
 صور تأتى ، وتمضى صور
 لا تقل إنا تجاوزنا المسدى
 نون الله بما فات... فهل
 لا تقل شيبنا... فما شاب الذى
 نحن مازلنا شبابا ناهضا
 فاذا أعطت قلبا نابضا

وهو فى معروفه غير ضنين
 بالذى يعي لسانى أن يبين
 وهو فى الأحكام خير المنصفين
 بجناح هو صنع المحسنين ..
 أن أتانى منكم النصر المبين
 عند أهل الرأى خير الآذنين
 فى خطا الواثق ذى العزم المكين
 وعلى أيديهما اجتزت الحصون
 إنما الفضل إلى الفضل قرين ..
 بابتكم أعرافكم فى القائلين
 فتخبرت لسان الشاعرين
 كل ما أرجوه من شعر رصين
 عزنى فيها بيسان مستبزين
 بالذى فى النفس من معنى دفين؟
 بالذى فى الشعر من يسر ولين
 كيف لو كانت بباب الأربعين؟
 والتقت فينا عظام الواعظين
 لم تزل تشغروا من حين لحين
 ثم أمسى فى سجل الراحلين
 ولبنات لسا ما يتقصين
 لا تقل إنا تخطينا السنين
 نحسن الظن بآيام بقسين؟
 يقطع الليل عناقاً للمنود
 رغم ما فى الشيب من عمر العيون
 كل شىء بعده سوف يهون

صاحب الكرسيّ قد خلفه
الفراغ الضخم من يماؤه
(رفعة) كان لمصر رفعة
جمع الفضلين في أعطافه
شهدت (أسيوط) منه مولداً
كان للتاريخ تاريخاً حوى
ليتنى أظفر من كرسسيه
ظنكم - والله - لن أخلفه
أيها المجمع شكراً ، حينما
هكذا الزراع رفقا بالحنى

سلفاً ، أو قدوة للمقتدين
كم عروس أتخمت بالخطابين ؟
ومناراً واضحاً للسالكين
: شرف العلم ، وخلق العالمين
لم تهينه قصور المترفين
بالعصاميّة قدر المعرقين
بالذى أوليتموني من ظنون
فلقد صدقتُ والله المعين
كنت فينا أكرم المستقبلين
وكذا الآباء لطفاً بالبنين . .

* * *

سيدى الرئيس . وسادتي الأفاضل :
حسبت أن الشعر بلغ منى أو بلغت منه
ما وددت أن أقوله عن سلفي العظيم الأستاذ
المؤرخ محمد رفعت رحمه الله . ولكن حين
وفيت بشعري المعانى التي تجيش بصددى
في هذا المقام ، تأكدت - كما تأكدتم - أنني
لم أوف سلفي حقه ، ولم أجعل جوانبه .
وخشيت أن يكون في ذلك جنف منى وحيث
ليسا من طبعي ، على حين أردت أن أكون
منصفاً ومقسطاً . وهنا قلت لنفسى : ماذا
تقول عن محمد رفعت ، وقد تحدث عنه
الزميل الدكتور أحمد بدوى يوم استقبله
فألم به من أكثر جوانبه ، وتحدث عنه الزميل
الأستاذ على النجدي ناصف يوم تأبينه فأحاط
به في أكثر مناهبه . كما تحدث سلفي الغائب
الحاضر نفسه عن نفسه يوم استقبلتموه ، فأظهر
من ملامح صورته مازادها دقة وتفصيلاً ،

و أبان لكم في حديث غير مملول كيف
اختار التاريخ الحديث ميداناً لدراسته في
ليفربول على حين كان التاريخ المصرى
القديم يغرى الطالب بأستاذ إنجليزى ذى
سمعة عالمية ومكانة دولية . وصرح لنا رحمه
الله أنه أشفق على نفسه من التوغل في مسارب
الظلمات وأودية الخدس والمجهول وقضاء
العمر في فك الرموز وحل الطلاسم . وكأنما
تغاضى رحمه الله عن مجاهل التاريخ الحديث
ومسمياته وتياراته وهى تحت أسماعنا وأبصارنا
اليوم نراها ولا ينقضى منها عجبنا . على أن
المؤرخ محمد رفعت حين أنس بالتاريخ الحديث
وسهولة مأخذه ، وقرب تناوله لم يقطع صلاته
بالتاريخ القديم ولم ينسأخ من الماضى جملة .
لقد ظهر ذلك في كتابه : (التيارات السياسية
في حوض البحر الأبيض المتوسط) ، ففي
تقديمه لهذا الكتاب صرح بأنه (بحوث

تستمد أصولها من التاريخ قديمه وحديثه .
ولعل صلاة محمد رفعت بالتاريخ القديم تتضح
في « الأطلس التاريخي » الذي نشرته شركة
مكملان بلندن سنة ١٩٢٦ يوم أن كان رحمه
الله مدرساً للتاريخ بمدرسة المعلمين العليا .
فقد جمع فيه بين المواطن التاريخية والتغيرات
الإقليمية ، ما بين قديم ومتوسط وحديث .

سادتي :

لا أريد أن أحد صورة سلفي محمد رفعت
بتاريخ مولد ووفاته وما جرى بينهما ، في مراحل
عمره الذي بورك له فيه . فبطاقة حياته حافلة
بكل معلم بارز من معالم الطريق . ولا أظن
وقتكم ووقتي يسمحان لي باجتياز هذا
الدرب مرحلة مرحلة فدون ذلك موانع
تغلب الدوافع . ولكنني حين صحبت سلفي
العظيم في بعض ثنایا الطريق وبنياته ، أخذتني
منه جوانب مشرقة . وأدع علمه وكتبه
 وجهوده في لحنى التاريخ الحديث وألفاظ
الحضارة هنا . وأدع آثاره في التعليم وفي
المحاضرات وفي الوزارة التي أتبته منقادة
تجبر أذيالها . فلم يكن كل منهما إلا صالحاً
لصاحبه . ولن أكرر فيه هنا ما قيل فيه استقبالا
وترحيباً وتأبيناً وتوديعاً . فجمال ذلك كتاب برمته
أرجو أن يعين الله وفيّاً على إنجازهِ . إلا أن
جوانب من أخلاق سلفي محمد رفعت قد
شدتني إليه أكثر من عامه وتاريخه ، فإن كنوز
الدنيا كلها لا تعدل ما في ذرة واحدة من
خلق كريم .

لقد شدني وجذب انتباهي إلى فراغه الذي
لا يسد باقة من الوفاء والتواضع والاعتراف
بالفضل لأهله ، والمضاء والتصميم ، والصبر
والتسليم ، مع عفة في اللسان ، ونقاوة في
الحنان ، وتجمال ذلك كله رجولة ظاهرة
ومروءة نادرة .

لقد وقف في حفل استقباله هنا يوم ٦
مارس سنة ١٩٦٧ يتحدث عن سلفه المرحوم
الدكتور أحمد البطراوي ، فلم يفته أن
يعرج في وفاء نبيل على والده أستاذنا المرحوم
الشيخ محمود البطراوي ، وكان أستاذاً له في
مدرسة المعلمين العليا ، فأثنى عليه بالذي
هو أهله . ولما قدم لأطلسه التاريخي المشهور
لم يفته أن يقدم كلمة عرفان ووفاء لمن أعانه
في هذا العمل ، بدءاً من الميجر « سافدج » إلى
إخوانه وزملائه الذين ساعدوه في مراجعة
الخرائط ، وعمل الفهرس .

وأشهد أني بلوته في وزارة المعارف يوم
أن كان له فيها رأى متبوع ، وصوت
مسموع ، فما لقيت منه إلا خيراً ، على حين
لم يسعفني حظي بما كنت أرجوه وما كان
يرجوه لي . فإن الذي انبسط لي من أسباب
بره ، عزائي عما فاتني من درك المسأول . . .

وإذا كانت مجموعة الأخلاق الكريمة
التي تحلى بها سلفي محمد رفعت تستمد أصولها
من تدينه ودينه ، ومن علمه ويقينه ، فإن ذلك
النبع الروحي الذي استقى منه شيخنا قد بدا
على عذوبته وصفائه فيما كان يعالجه من بحوث

تاريخية . وقد تجلى ذلك في بحوثه الرائعة حول
الإطار التاريخي لبعض آيات القرآن الكريم
« فقد كان كل بحث منها يظفر بتعليق كريم ،
من أحد زملاء الكرام » . . .

ولا أنسى ما علق به الزميل الأستاذ
محمد بهجت الأثرى من تأكيد للداح بما
يشبه اللم - على طريقة البديعيين - حين
قال : (إذا كان هناك من عيب في هذا
البحث الخليل فهو أنه جمع المحاسن كلها
فكراً وروحاً وتعبيراً) .

ولا أنسى كذلك ما علق به الزميل
المرحوم الأستاذ محمد محيي الدين عباد الحميد
حين قال عن ثاني بحوثه : (ومما لا شك فيه
أن هذه المحاضرة قيمة ، وأن أبداع ما فيها
أنها تدل على أن صاحبها مؤمن بإيماناً صالحاً ،
كما آمن السلف الصالح في هذه الأمة) .

سيدي الرئيس : سادتي :

لقد اجتمع في سلفي المؤرخ محمد رفعت
من العلم والدين والخلق ما أوجب له المزية
علينا ، والتقدم فينا ، والإشارة منا ،
وما جعل كرسية الضخم ، ومقعد الطاهر
أمانة وأمنية يناط بهما الرجاء ، وسما
ما طاولتها سماء :

أمانة أسلمتموها لنا

أقدرنا الله على حملها

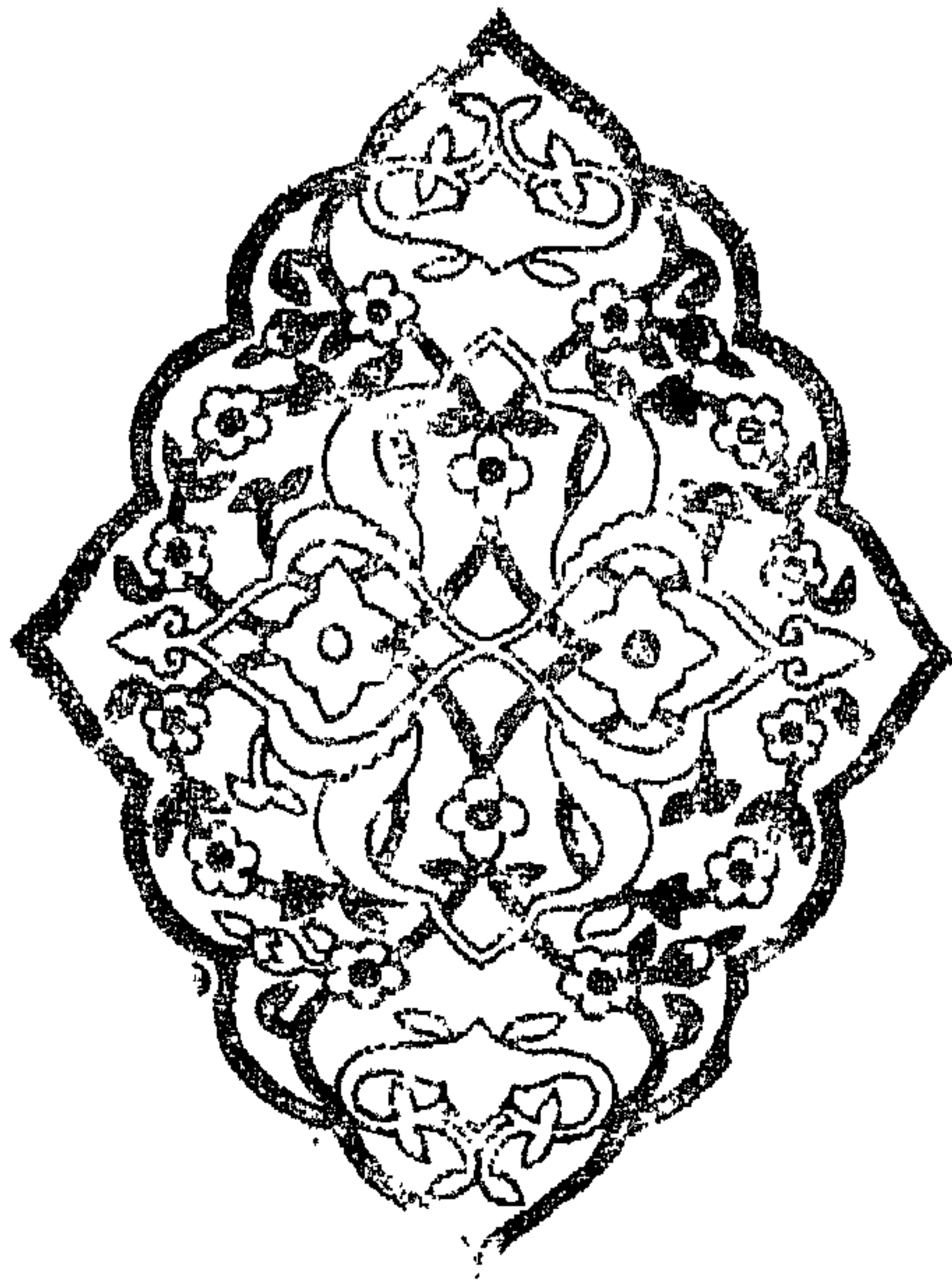
إلا نكن أهلاً لها فلنكن

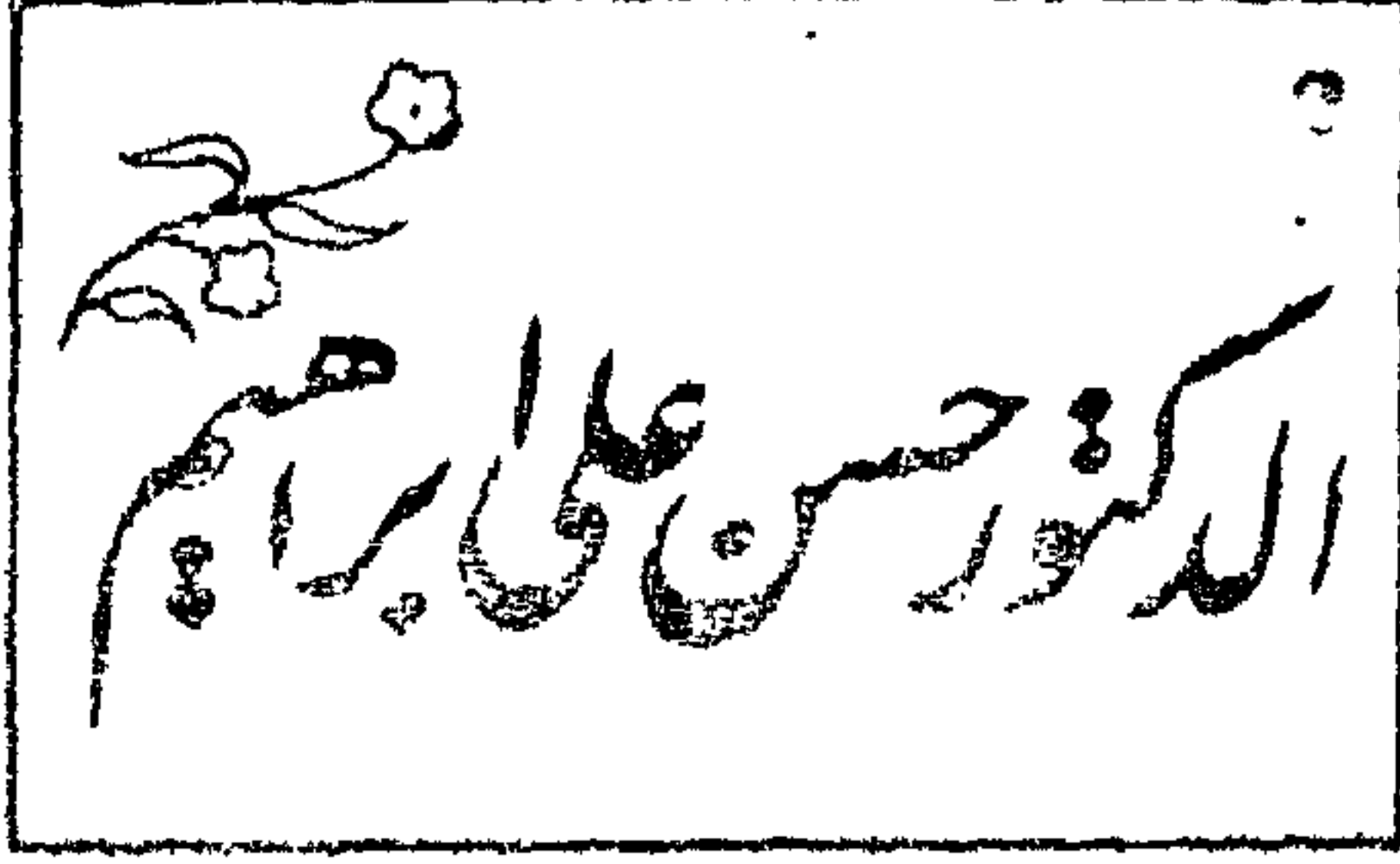
كما أراد الله من أهلها

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمد عبد الفنى حسن

عضو المجمع





في استقبال

الأستاذ الرئيس

الزملاء الأعزاء

السادة الفضلاء :

المجمع وأعماله . فالتاريخ يسجل للدكتور
علي إبراهيم أنه كان منذ مطلع هذا القرن
أحد الرواد الذين هدفوا إلى إحياء لغة الطب
العربية ، واتخذوا شتى الوسائل لتحقيق
التفاهم بالعربية بين الأطباء العرب . فهو
منشئ المجلة الطبية المصرية منذ ستين سنة ،
وهو داعي الدعاة إلى إنشاء اللجنة المركزية
لتوحيد المصطلحات الطبية في ظل المجمع
بعد إنشائه بقليل من السنين . وهو الذي
استمسك بأن يكون في طليعة برامج المؤتمرات
الطبية موضوع المصطلحات الطبية وتوحيدها
بين الناطقين بالضاد .

ولقد كان الرجل ، على وفرة ما بين
يديه من المهام ، متعدد أوجه النشاط في مناحي
الإصلاح ، نهاضاً بالعظام فيها على بصيرة
وهدى . وكان عظيم الثقة بمستقبل الحضارة
العربية ، حريصاً على وصلها في غدها
المرموق بماضيها المجيد ، وبخاصة في ميدان
الطب . وكان يؤمن عن بينة بأن العربية
قادرة على أن تستوعب من جديد هــمـلـم
الطب ما استوعبت من قديمه ، حين كان

الآن ونحن نحتفي باستقبال زميل جديد ،
هو العالم الطبيب الأديب ، الدكتور حسن
علي إبراهيم ، أحس أعظم إحساس بأننا
نحيط بنا هالة متوهجة ، في أعطافها نفحات ،
عطرة من ذكريات غالية باقية ، ذكريات
رجل عظيم من رجالات المجمع ، ودع المجمع
منذ ثلاثين سنة ، وما برح ملء القلوب
والأسماع والأبصار . ذلكم هو المغفور له
الدكتور علي إبراهيم ، والد الزميل الجديد ،
ونابغة الجراحة الأكبر في قومه وفي عصره
إذ تسنم منها ذروة عالمية تتناول إليها الأعناق ،
وقلما يرقى إليها راق ، حتى لقد حق له ما قاله
فيه أمير الشعراء شوقي :

سلاحك من أدوات الحياة

وكل سلاح أداة العطب

ولا يتسع مقامى هذا لتعداد ما كان له من
أعجاد ، وحسبى أن أقتصر منها على أغراض

الطب العربى نبراساً للتقدم الطبى فى عصر النهضة الحديثة فى العالم المتحضر .

وها هو المجمع يستقبل اليوم كابرًا عن كابر . يستقبل الدكتور حسن على إبراهيم . وهو ثمرة ناضجة يانعة من ثمار أبيه . نسبا وعلمًا ونبوغًا . ولا أقول إنه ورث عن أبيه خصائصه وفضائله وراثته منحة وهبة ، بل أقول إنه بجانب ذلك اكتسبها اكتسابا بفطنته ويقظته فى حياة أبيه ، ثم اتخذ منها على مد العمر مثلاً رفيعاً يسمو إليه فى دؤوب واقتدار .

أيها السادة :

ولد الدكتور حسن على إبراهيم فى التاسع من سبتمبر سنة ١٩١٤ ، وتخرج فى كلية الطب بجامعة القاهرة سنة ١٩٣٧ ، ظافرا بالأولية بين زملائه ، ونال إجازة الماجستير المعادلة للدكتوراه فى ذلك الحين سنة ١٩٤١ . ثم نال زمالة كلية الجراحين الملكية فى إنجلترا سنة ١٩٤٦ ، ومنحته هذه الكلية لقب أستاذية هنتر على بحث فى سرطان المثانة الناشئ عن البلهارسيا سنة ١٩٤٧ ، وهو أول جراح غير بريطاني يمنح هذا اللقب وتدرج فى مناصب هيئة التدريس فى كلية الطب بجامعة القاهرة ، حتى عين أستاذاً للجراحة التجريبية سنة ١٩٦٢ . ثم عين عميداً للكلية فى سنة ١٩٧١ . فلما أصبحت العمادة بالانتخاب ، انتخب عميداً سنة ١٩٧٢ ، فلما بلغ السن القانونية للمعاش سنة ١٩٧٤ عين

أستاذاً متفرغاً للجراحة ، ومازال يشغل هذا المنصب حتى اليوم .

وفى مقدمة الأعمال الإنشائية التى عنى بالقيام بها لإنشاؤه قسم الجراحة التجريبية ، على النمط القائم فى كليات الطب المتقدمة فى العالم ، وتزويده إياه بما يلزم لإجراء التجارب . بحيث أتاح له أن يضطلع بعمل رائد فى تطوير وسائل الدراسة والعلاج . وفى مجال الممارسة العملية ، كان أول جراح يقوم بجراحات ناجحة فى القلب ، شجعت غيره على نخوض هذا المجال . كذلك قام بعدد كبير من جراحات قرحة المعدة ، وأجرى تعديلاً فى عملية استئصالها . وله نظريات فى تليف التامور وتليف الكبد الناتج من البلهارسيا ، نال عليها جائزة الدولة التشجيعية سنة ١٩٥٩ . وأشرف على حملة من رسائل الدكتوراه ، فيها الجديد من الدراسات أوفىها بالإضافة للبحث العلمى الأصيل .

وعلى الصعيد المصرى لم يقتصر نشاطه على كلية الطب بجامعة القاهرة ، فقد أشرف على قسم الجراحة بكلية طب أسيوط ، وظل ينتقل إليها ثلاث سنوات . ثم أشرف بعد ذلك على قسم الجراحة بكلية طب المنصورة . وفى أثناء حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ اشترك فيها طبيياً مكافئاً بالجيش ، ونال نوط الجدارة تقديراً لخدماته . كذلك اشترك فى عضوية مجالس

الإدارة للجمعية الطبية المصرية ، وجمعية الجراحين المصرية ، وجمعية الإسعاف ، وجمعية الهلال الأحمر المصرية ، والجمعية الخيرية الإسلامية :

وعلى الصعيد العربي والأفريقي لبي الدعوة إلى النين في أثناء الحرب هناك . وحضر مؤتمرات بكلية الطب في الكاميرون : ودعى مرات إلى المملكة العربية السعودية لإجراء عمليات جراحية وإلقاء محاضرات : ومنذ سنة ١٩٤١ إلى اليوم تابع حضور المؤتمرات والندوات الطبية العربية في أسوان والإسكندرية وبغداد والكويت وغيرها .

أما نشاطه على الصعيد العالمي ، فقد عمل أستاذاً للجراحة في جامعة فيينا ، وفي مستشفى نيكر بباريس . وعمل عشر سنوات ممثلاً إقليمياً في مصر لجمعية الجراحين الدولية التي مركزها بروكسل ودعى لإلقاء محاضرات في كلية الطب بجامعة كاليفورنيا ، وفي لوس أنجلوس ، وفي مستشفى الأكاديمية الطبية في ألمانيا ، وزار كثيراً من المراكز الجراحية في معظم أنحاء العالم ولا يكاد يخلو مؤتمر يشهده من بحث يقدمه أو محاضرة يلقيها .

وبين يدي وأنا أكتب هذه الكلمة قائمة تحوى جملة موفورة من البحوث انفراد باعدادها أو اشترك فيها . وكثير منها ازدانت به الصحف العلمية . وكلها تنطوى على نظريات وتجارب في تطوير حالات الجراحة وعلاجها :

أبعد هذا أكون مبالغاً إذا وصفت زميل الحديد بأنه طبيب نابغة . وعالم قدير ، وأنه لم يجتري في علمه وفي تجاربه بالممارسة الشخصية والمزاولة الميدانية ، بل لقد أسلف إلى الطب وأهله أيادي بيضاء تنير الطريق ، وتكشف الحديد ؟ وهل يجاوز الإنصاف من يصفه بأنه طبيب عالم عالمي بأدق ما يحمل هذا الوصف من دلالة ومعنى ؟

أيها السادة :

قلت في صدر كلمتي إننا نخشى باستقبال زميل جديد ، هو العالم الطبيب الأديب الدكتور حسن على إبراهيم . ولعل منكم من يسبق إلى فكره أنى عنيت حين وصفته بالأديب أنه أديب النفس وحقاً إن حظاً من أدب النفس لحظ عظيم ، فقد شهدنا من شمائله دماثة طبع ، ونبالة صحبة ، وسخاوة مروعة ، ولكنني عنيت كذلك ما يعنيه الوصف بالأدب في مدلوله المألوف . وإنه لعجب أن تنفصح جوانب شخصية العالم الطبيب للتعبير الأدبي عن هوائف الوجدان ، ومناجيات الأنخيلة والأطياف بيد أن عالمنا الطبيب زواج بين العلم والأدب ، ومازج بين الواقع والخيال . فهو شاعر عاطفي رقيق منذ ريق الشباب . فمن شعره في مناجاة الحبيب :

تركت فؤادي رهينا لديك
وودعت حبي كأن لن أعود
وصرت أجوب بجسمي البلاد
ولكن قلبي عني بعيد

تمر على الليالي دهوراً
 وجسمي يذوب وعيني تجود
 أحبك حبا لو ان الحديد
 تلقاه عني لفل الحديد
 فأنت الجمال وأنت الخيال
 وأنت الحياة وأنت الخلود
 تقولين حتى م هذا الهيام
 أقول وحتى م هذا الصدود
 يا الحب إلا نشيد الزما
 ن نشيد قديم لعمري جديد
 تعالى للسعد في ظله
 تعالى نكن بعض هذا النشيد
 بوعدى بررت وكنت الوفي
 ووعدك هلا ذكرت الوعود
 ومن شعره في ذكرى الحب :
 وطيف نور أتى ليلا يورقني
 ويبعث الحب بعد الموت أزمانا
 قد مر بي طيفها ليلا فصبرني
 عبد الضياء أسير الحسن ولهانا
 أحبي غراما بقلبي كان محتضراً
 وشق عنه بسيف اللحظ أكفانا
 هويتها وهي بنت العشر مندفعاً
 ثم افترقنا مع الأيام غلمانا
 أضاء قلبي لهيب راح يئجده
 سبل الزمان إذا ما سال هتانا
 وقد توالى رياح البعد تطفئه
 حتى خبا وكساه الدهر نسياناً

حتى التشنا ولكن بعد مرحلة
 من الزمان بدار الأهل شباناً
 فحن قلبي إلى الماضي ومثل لي
 سحر الغرام سهام الحب ريحاناً
 والحب نار إذا مارمت تصاية
 أصلاك أو رمت موتاً كان معواناً

* * *

وقد ألف الأطباء أن يتلقوا من الشعراء
 تحايا الود وعرفان الحميل حين يقومون
 على علاجهم ، ولكن شاعرنا الطبيب
 يجرى جراحة للشاعر عماد عبد الحميد ثم
 يقوم هو بتحية مريضه شعراً فيقول :

عماد أنت للفصحى عماد
 وللأدب الأصيل هدى وزاد

أيا من سار في ركب القوافي
 فدلها ودان له القياد

تحب الشعر إموزونا مقفى
 وكم شعر بلا نغم يعاد

عماد قد جرحتك غير باغ
 وكم جرح به يصفو الوداد

أياها الزميل العزيز :

مرحباً بك عالماً طبيباً ، ومرحباً بك
 أدبياً أريباً ، ولئن قصر قولي في استقبالك
 بما أنت أهله ، إن قلوبنا لتستقبلك بما أنت
 له أهل من مشاعر الود والتكريم .

أحمد عماد
 نائب رئيس المجمع

● كلمة الدكتور حسن علي ابراهيم

سيدى رئيس المجمع سادتى الأعضاء سيداتى
وسادتى :

لايسعنى إلا أن أتقدم إليكم بخالص الشكر
إذ انتخبت لأكون عضواً فى هذا المجمع العظيم
الموقر بمجمع الخالدين أو علمت أن انتخائى
كان عند أول تزكية وهذا يزيدنى فخراً
وشرفاً ولكن بعد أفرحتى الأولى إستولى
على شعور شديد بالرهبة إذ كيف أجلس
بينكم وأنتم أهل فضل وعلم تعرفون
من أسرار اللغة مالا أعرف ويتسع علمكم
الفياض دون أفاق بكثير ولكن الإنسان
يتعلم من المهدي إلى اللحد ولذلك سأكون
بينكم دارساً مستفيداً ناهلاً من فيضكم الذى
لا ينضب وإن كان لى جهد فانه لن يتجاوز
جهد المقل

أيها السادة إني إذ أحل اليوم بينكم
محل سلف عظيم شاء الله أن يختاره لحواره
وهو المرحوم الدكتور أحمد زكى أزداد
رهبة فالبون بينى وبينه شاسع فضلاً
وعلماً وأدياً فكان رحمة الله رائداً فى
علمه ورائداً فى مزج الأدب بالعلم فى
رقة أسلوب وسلامة لغة وبيان رائع

عرفت الدكتور أحمد زكى فى أوائل
الثلاثينيات وعندما كنت طالباً بالسنة الإعدادية
فى كلية الطب وكان يلقي محاضراته الشهيرة فى
الكيمياء العضوية وكان عالماً جديداً بالنسبة

لنا وهو فرع جامد من فروع الكيمياء
يصعب فهمه وتصوره والأشق إستيعاب
معادلاته الطويلة المركبة ولكن الرجل بحسن
إلقائه وسلاسة شرحه جعل من الصعب
سهلاً ومن المكروه . محبوباً مستساغاً فكنا
نخرج من محاضراته وقد استوعبنا الموضوع
استيعاباً تاماً كما أعجبنى إفيه أنه كان
يفلسف العلم وبين حد العلم الغزير
والفلسفة خيط رفيع وكان يرجع بكل شيء
إلى مسيئاته فى أسلوب جلى جذاب وفى
تلك الفترة كان أستاذ القسم لإنجلترا وكان
يلقى علينا محاضرات لا تفهم منها شيئاً
ورأيت قرماً إذا قيس إلى الدكتور
أحمد زكى وكنت أعجب كيف يكون
هذا العبي أستاذاً ولم لا يكون ذلك المارد
المصرى أستاذاً ورئيساً للقسم ولكنها كانت
الظروف التى مر بها هذا البلد والتى تعرفونها
جميعاً والذى لاحظته أن الرجل كان لا يخفى
نفوره من سيطرة الأجانب على الجامعة
فما كان لهم من هم إلا الحصول على مرتباتهم
الضخمة دون العناية بإنشاء جيل مصرى
يكون نبراساً للعلم فى بلده بل إنه كان
يقول ذلك علناً من وقت لآخر ويردف
أن مصر يجب أن تنهض بسواعد أبنائها .

ولد المرحوم الدكتور أحمد زكى فى
السويس عام ١٨٩٤ وتعلم بمدارسها

ثم بمدرسة ثم عباس الابتدائية فالتوفيقية
الثانوية ثم حصل على دبلوم مدرسة المعلمين
العليا سنة ١٩١٤ مع نخبة من الجهابذة
أمثال عبد السلام الكرداني وفريد أبو حديد
وغيرهم ممن كانوا أساطين النهضة العلمية
والتعليمية الحديثة ثم عين مدرسا بالمدرسة
السعيدية ولكن تعيينه ألغى . وأصبح بعد
ذلك ناظرا لمدرسة وادي النيل الثانوية ثم
استقال وسافر إلى إنجلترا للاستزادة من
علم الكيمياء فحصل على درجة الدكتوراه
في الفلسفة في الكيمياء عام ١٩٢٤ ثم عمل
باحثا بجامعة مانشستر ثم عامين أمضاها
إلى البحث العلمي بجامعة لندن حيث حصل
على درجة الدكتوراه في العلوم وهي أرفع
درجة علمية ولا تمنحها الجامعة إلا عن
إبحث أضاف جديداً إلى العلم ولما عاد إلى
مصر عين أستاذاً مساعداً للكيمياء في كلية
العلوم وهناك عرفته كما أسلفت وتعلمت
عليه وإلى لفخور بذلك وبعد تركي الكلية
أبقيت أنتخب الدكتور أحمد زكي وكيلا لها
ثم عميداً باجماع الأصوات فقد طغى بعلمه
وفضله على كل من سواه ثم كان أول مصري
يتولى منصب مدير منسحة الكيمياء في
عام ١٩٣٦ كما أصبح سكرتيراً للمجلس
الأعلى للبحوث وبعد عشر سنوات كان
من مؤسسي الأكاديمية المصرية للعلوم وأختير
وزيراً للشئون الاجتماعية عام ١٩٥٢ فمديراً
لجامعة القاهرة بعد ذلك بعام كما تعلمون
أيها السادة أنه أنتخب عضواً بهذا الجمع

عام ١٩٤٦ ولم تتم لي فرصة مقابلته
خلال إدارته للجامعة مع أني كنت أستاذاً
مساعداً ولو أني كنت أسمع من زواره
أنه كان دائماً السؤال عني وعن أخي الذي
كان تلميذه أيضا .

كان الدكتور أحمد زكي غزير الإنتاج
الذي يجمع بين العلم واللغة والأدب
فضلا عن كنية المشهورة مثل سلطة علمية
وجمان دارك وبواق وأنايب وقصة
الميكروب ومع الله في السماء ومع الله في
الأرض وكان واسع النشاط في نشر المقالات
ف مقالاته الممتعة في مجلتي الرسالة والثقافة
معروفة كذلك تحريره لمجلة العربي عدة سنين
كما كتب كثيراً في المجلات السائرة وكانت
عناوين بعض مقالاته غريبة مثل « هل يحلم
البق » و « هل تصاب البراغيث بالصداع »
أفتظن أول وهلة أن الرجل هازل وما أن تقرأ
حتى تشعر أنك غصت معه إلى أعماق
العلم فتراه يتكلم عن منشأ البق وكيف
كانت له أجنحة ففقدتها مع الزمن ثم عن
تركيب الجهاز العصبي في الحشرات ومدى
إستجابته للمؤثرات الخارجية كل ذلك
في لغة عربية أصيلة جذابة فالرجل حقاً
قد طوع اللغة للعلم الحديث وأثبت أنها
صالحة للتعبير العلمي وفضله على النحت
في هذا الجمع وعلى اللغة العربية إعامه
لا ينكر لقد فقدت مصر في أكتوبر عام
١٩٧٥ عالماً من أجل علمائها قل أن يوجد

الزمن بمثله . وفي الواقع أن جامعة القاهرة التي رأسها رجال مثل لطفى السيد وعلى إبراهيم وأحمد زكى ومحمد كامل مرسى ومحمد مرسى أحمد وأحمد بدوى وعبد الوهاب مورو لها أن تفخر بأن توليها أفذاذ من هذا العصر .

سادتى . . . ما أسرع ماتم الأيام فند أربعين سنة بالضبط أمسكت بالمبضع لأول مرة لأجرى عملية جراحية وكانت فتح خراج بالعيادة الخارجية بالقصر العيني وكانت العملية على بساطتها تحت إشراف مدرسى فما كان أن أقوم بعمل جراحى بمفردى وقد خيل لى أن حادثاً جليلاً قد وقع وأن المريض هالك لا محالة وكيف يحيا وقد سال دمه وتأوه وتوجع ولكن عجبى كان عظيماً عندما حضر المريض فى اليوم التالى حياً معافى شاكراً وقد زالت آلامه . ومنذ ذلك اليوم دخلت محراب الجراحة وأقولها محراباً لأن من أكثر الناس شعوراً بقربه من الله سبحانه وتعالى هو الجراح فى إحجرة العمليات والمريض بين الحياة والموت هناك تشعر بارادة الحى القدير فلولا ما شفى إنسان فترى مريضاً يموت مع أن الطب يقول إنه سيبرأ وتلقى مريضاً يبلى والطب يقول أنه من الهالكين إن الله تعالى هو الذى يحيى ويميت وإليه ترجع الأمور ولقد قمت منذ ذلك اليوم المشهود بإجاء ما يقرب من اثنتين وعشرين ألف عملية جراحية كان توفيقى فيها عظيماً بفضلله

سبحانه وتعالى وما زلت مستمراً فى عملى وأدعو الله أن يهب لى الصحة والقوة فأستمر فى الجراحة التى هى حياتى إلى أن يشاء .

كان أكثر ما أثر فى نفسى من هذه الناحية اشتراكى فى حرب فلسطين عام ١٩٤٨ فقد نقل إلى مستشفى الميدان صبيحة يوم ضابط مصاب وكانت إصابته جسيمة فقد كان به تهتك شديد بالامعاء والكبد وأبى صديق وفى له وهو المرحوم الرائد العديسى إلا أن يصحبه إلى المستشفى وكان شديد القلق عليه غير أن الضابط المصاب لم يتمكن من إنقاذه فقد مات قبل أن يصل إلى حجرة العمليات فظل يبكى يوماً كاملاً ويقول فقدت خير صديق وفى فجر اليوم التالى تجددت المعارك وإذا بى أفاجأ حوالى الساعة الثانية صباحاً بالعديسى منقولاً إلى المستشفى مصاباً إصابة بالغة حاولنا إنقاذه بكل ما نملك من وسائل إلا أن الله اختاره إلى جواره بعد وصوله المستشفى بساعتين .

ما أكشف قناع المجهول ترى لو تكشف الغيب للمرحوم العديسى أكان يندب خله أم كان ينوح على نفسه ؟ شعرت بغصة وأخذت كلمات أبى العتاهية تدوى أذنى :

بين عيني كل حى
علم الموت يلوح
نح على نفسك ما مسك
ين إن كنت تنوح

لثوثن وإن عمر

ت ماعمر نوح

وفي نوفمبر من نفس السنة نقلت إلى مستشفى القاعدة وهناك استقبلنا ضابطاً طياراً مصاباً باصابة جسيمة فقد أطلقت عليه طائرة إسرائيلية الرصاص وهو يهبط في مطار العريش فكسرت الرصاصة ضلعه ومزقت الرئة وغشاء الثامور حول القلب واستقرت في جدار البطن الأيسر لقلبه وقد استطاع الطيار رغم ألامه أن يهبط بطائرته سالماً وظهر من فحص الأشعة أن الرصاصة تتحرك مع نبضات القلب وحررت ماذا أفعل فلم أكن فتحت صدراً حتى ذلك الوقت ولم تكن معدتنا لذلك كاملة ولكني كنت شاباً تملؤني الحماسة وحدثت نفسي أن هذا المصاب الذي قاوم تلك الحنة ووصل إلى المستشفى حياً هو شخص كتبت له الحياة وسوف تكتب له الحياة ففقت بعملية شق الصدر وعاودني الخوف مرة أخرى فقد كانت الرصاصة تتحرك مع القلب وقد انغrust في جداره ترى هل وراء الرصاصة ثقب يصل إلى تجويف القلب فإذا أزيلت حدث نزف قاتل ؟ ولكني انتزعت الرصاصة فلم يحدث شيء واستمر القلب في خفقانه الطبيعي وشفي المريض شفاء كاملاً وعاد ليعمل في سلاح الطيران ثم دخل السلك السياسي بعد ذلك وهو الآن يشغل أرقى المناصب وكانت هذه إرادة الله . كانت هذه أول عملية

ناجحة من هذا النوع في الشرق كله . إن نجاح هذه العملية جعلني أمارس جراحة القلب لفترة من الزمن إلى أن وصل جراحونا الشبان الذين تخصصوا في هذا النوع من بعثاتهم في الخارج وكانوا خيراً مني بكثير .

لقد كان فضل والدي على عظيم فبعد تخرجي في كلية الطب بقليل جعلني مساعداً له في عملياته فرأيت أمهر يدين سواء في الشرق أو في الغرب فقد طفت بعد ذلك معظم بلاد العالم ورأيت كبار الجراحين يعملون فلم أر أحداً في مثل مهارته كما كان يجمع بين الجراحة والحكمة وكانت تجاربه فيضاً لا يفيض ونبعاً نهلت منه ولم يبخل على الرجل بشيء من علمه الغامر ولو أنه كان يقسو على كثيراً عندما أخطيء مما جعلني أتجنب الزلل .

وفضل آخر للوالد على وهو مكتبته العظيمة في منزله فقد كان أديباً ذواقة وكنت بطبعي محباً للأدب منذ صغري فداومت على قراءة دواوين كبار الشعراء ومقامات الأقدمين وغيرها من كتب الأدب وقد بدأت أعالج الشعر وأنا تلميذ في الرابعة الابتدائية ثم أصبت بصدمة شديدة عندما انتقل مدرس اللغة العربية ما كنت أظن أنه أحسن قصائدي نقداً لاذعاً مرأاً وكنت حينذاك طالباً بالمدرسة الخديوية كما كتبت القصص الطوال وما قدر لهذا العمل أن ينشر وأظن أن ذلك كان خيراً لقراء العربية على أية حال ولم تنشر لي إلا ثلاث قصص قصار هي « الرماد »

و«الشبح» و«صديقي» في مجلتي التي كان يصدرها الأستاذ الصاوي وكنت في ذلك الوقت طالباً في كلية الطب ولم أسمع أي مديح في قصصى بل قد قوبلت بكثير من النقد وقد توقفت الحجة عن الصدور بعد ذلك بقليل.

ولى قصة غرام بالفلك أيضاً حفزنى لها كتاب «النجوم في مسالكها» ترجمة الدكتور عبد السلام الكردانى ثم طفقت أقرأ كثيراً من كتب الفلك بالانجليزية حتى تجلت لى عظمت هذا الكون الذى نعيش فيه وقدرة الخالق سبحانه وتعالى وكنت أذهب لأقضى الليالى الطوال فى مرصد حلوان مع صديقى الدكتور عبد الحميد سماحة نرصد النجوم وتناقش فى العلم :

أيها السادة من الصعب أن يخرج إنسان من دوامة الجراحة متى دخل فيها وأتى على حين من الدهر كنت فيه أقوم بالعمل كاملاً فى قسم الأستاذ الدكتور عبد الله الكاتب بعد تعيينه عميداً للكلية وفى نفس الوقت كنت جراح مستشفى الأطفال بالمنيرة وجراح مستشفى كتشنر بشبرا ومشفى جامعة القاهرة بالجيزة بالإضافة إلى عيادتي ومستشفى

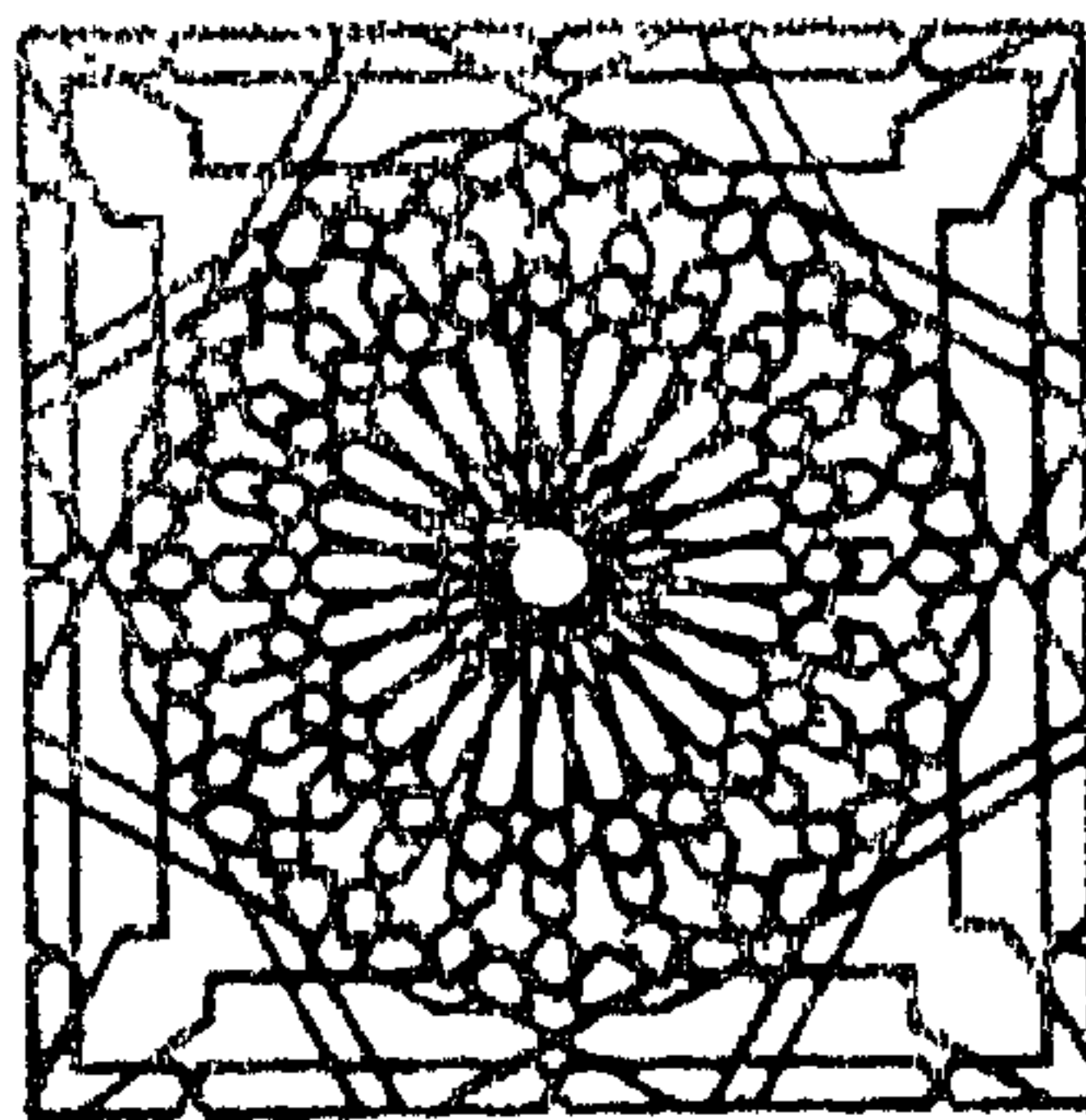
وعلى الخاص مضاف إلى ذلك تدريس الطلبة والامتحانات فكنت أجرى أكثر من عشر عمليات جراحية فى اليوم الواحد أحيانا وأفحص عشرات المرضى ولم يعد الا التمر اليسير من الوقت لمطالعة الأدب وتبعه .

أما عن هذا المجمع الموقر فالיום أخطو أولى خطواتى فيه وعلمى بما يدور فيه قليل ولو أن فضله على اللغة العربية والحفاظ عليها لا ينكر وجهه فى التوسعة والنحت مما أفاد اللغة جهد ضخم مشكور وكل ما أرجوه كطيب أن أستطيع أن أسهم ولو بالقليل فى هذا العمل الرائع .

أشكر لحضراتكم جميعاً ثقتكم بى كما أقدم امتنانى للأستاذين الدكتور أحمد عمار والدكتور محمد سليمان لتزكيتهما لى وأرجو أن أكون عند حسن ظنهما وأشكر للأستاذ الدكتور أحمد عمار كريم أطرائه فى تقديمه لى كما أتوجه بالشكر للدكتور إبراهيم مذكور رئيس المجمع .

أيها السادة أكرر لكم شكرى والسلام عليكم ورحمة الله .

للدكتور حسن على إبراهيم
عضو المجمع



تحية الشعر للعضوين الجديدين

من الأستاذ عبد الله بن محمد بن خميس

فنافسوا في الحالكات البـلدور	سما بهم فضل وذكر جهير
وأفعمت بالصالحات الصـلدور	وازينت أحلامهم بالنهى
يهوى العلا من خالد أو أثير	مارافقوا الأيام إلا بما
فزينوا بالدر رحب النـحور	نفائس زانوا بهـا دهرهم
إلا لأن الصدر يهوى الصـلدور	ما جاءهم مجتمع خاطبـها
من دونها شم الذرى من (ثبير)	منـع إلا على قمـة
فما العبور إلا (لأهل العبـور)	مارامه مستوفز عابـر

* * *

من خالص الود وذوب الضمير	يا شاعر الأهرام ترحيـمة
واسترحلت رهوا جناح الأثير	جاء بها عرف الصبا موهـنا
بعابق الروض ونفح الغدير	بالشيخ والقيصوم مألوكـة
من (رامة) من (لعلع) من (حصير)	نجدية النشر سوى أنها
يلفها بالدجن يوم مطير	تطوى إليك اليد مختالـة

* * *

يا (شاعر الأهرام) بل يا (جرير)	يا (جاحظ) النثر و (سحبانه)
كلاهما أصبحت فيه الأمير	أبقيت في هذا وذا منبرا
يفوز بالتقدير إلا الجديـر	إن جاءك التقدير يسعى فما

عبد الله بن محمد ابن خميس
عضو المجمع انراسل
من المملكة العربية السعودية
(الرياض)

في الساعة الحادية عشرة من صباح الاربعاء ١١ من جمادى
الاولى سنة ١٣٩٨ هـ (١٩ من ابريل سنة ١٩٧٨ م) اقام
المجمع حفل استقبال عضوه الجديد الدكتور سليمان حزين .
وفيما يلي ما ألقى في الحفل من كلمات :

● كلمة الافتتاح للدكتور ابراهيم مدكور

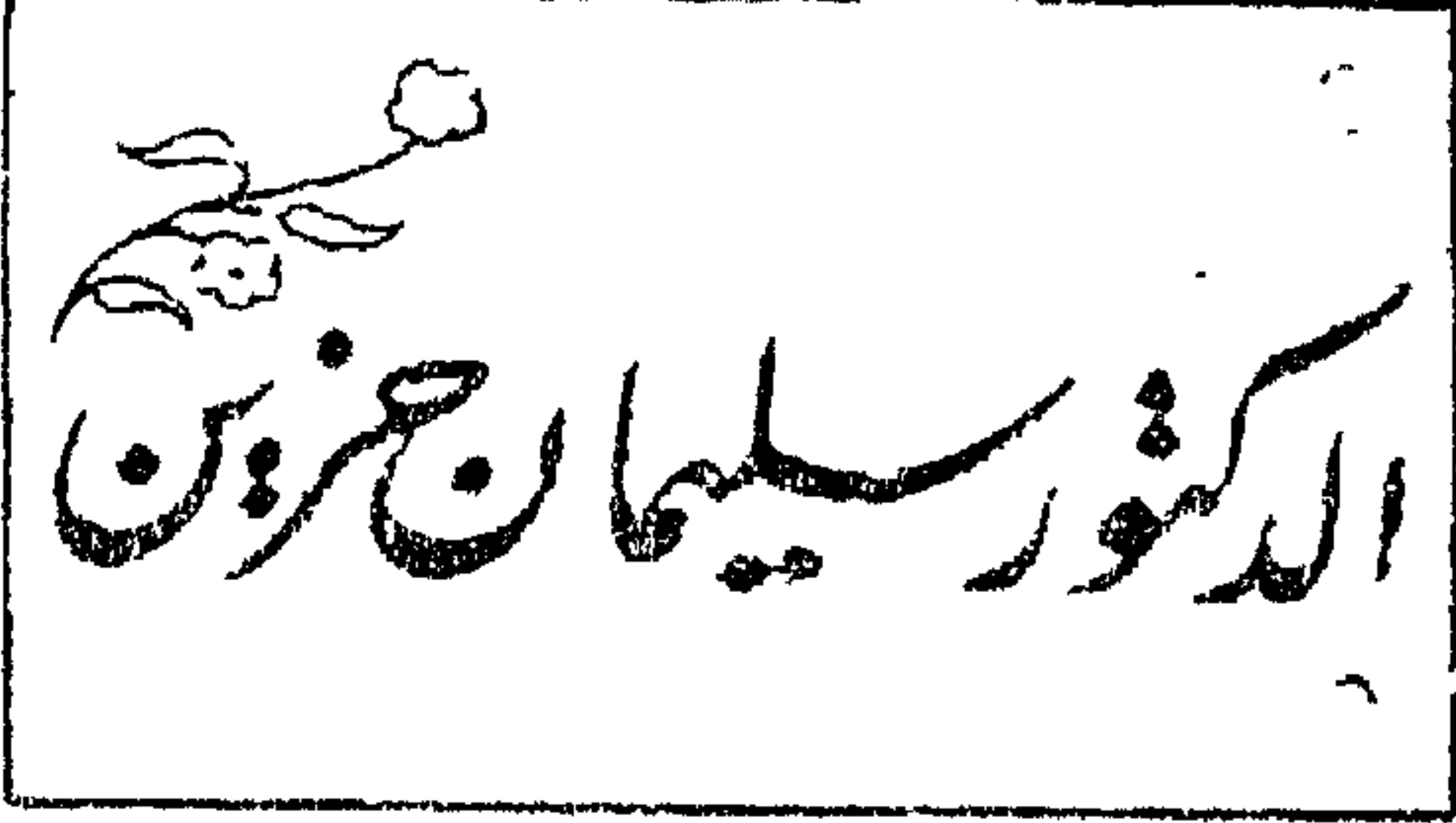
رئيس المجمع

برغبته هذه ، آملا أن تناج له فرصة لكي
يخدم اللغة عن طريق مجمعها ، وأن يقف
إلى جانب رجاله وهم سدنّها ، ولم يكن لدى
المجمعين حين ذاك أي شك في صدق هذه
الرغبة وحرص مبدئها على تحقيقها ،
فاستجابوا لها ، وأشهد أنه في وزارته لم
يرفض للمجمع طلبا ، ولم يختلف معه في
رأي ، وكان يرجو إن أفسح له الوقت أن
يعزز أجهزته ويدعم أركانه ، وهاهو ذا
ينضم إلينا هنا في تحمل الرسالة والاضطلاع
بالعبء ، وإنا لنرحب به الترحيب كله ونعول
على إسهامه معنا تعويلا كبيرا .

ويستقبله باسم المجمع الزميل الدكتور
محمد محمود الصياد عضو المجمع .

أيها السادة نستقبل اليوم زميلا عزيزا
وأخا كريما هو الدكتور سليمان حزين ، وصلة
الزميل بالمجمع قديمة ووثيقة ، فلقد كان له بين
قدامى المجمعين أساتذة وأصدقاء أمثال طه
حسين ، وزكي المهندس ، وشفيق غربال
ومحمد عوض . ودفعته هذه الصلة يوم أن
تولى شئون وزارة الثقافة أن يستمسك بالمجمع
ويرغب في ضمه إلى وزارته ، وكان مجمعا
منذ أن أنشئ ، كما تعلمون ، مرتبطاً بوزارة المعارف
ثم بوزارة التربية والتعليم العالي ، وهو فيما يبدو إلى
هذه أقرب ، وإن كانت شئون الثقافة
تلتقي مع رسالته ولا تبعد عن مهمته ، وصارح
زميل اليوم ووزير الأمس أصدقاءه من المجمعين





في استقبال العضو الجديد

بسم الله الرحمن الرحيم

الأستاذ الرئيس

الزملاء الأجلاء

سيداتى وسادتى :

لقد شرفنى المجمع الموقر ، مجمع
الخالدين ، فندبنى لاستقبال نجم جديد
يبرز فى سمائه ، هو أستاذى الجليل وأخى
الأكبر ، الدكتور سليمان أحمد حزين . وما
أظن الأخ الصديق فى حاجة إلى من يقدمه
لكم أو يعرفكم بمكانته وفضله ، فهو من هو :

فى لا يضم القلب همسات قلبه

ولو ضمها قلب ، لما ضمها صدر

وهو فى طليعة العلماء ، لافى مصر وحدها
بل وفى أقطار الوطن العربى جميعا ،
ولكنها سنة حميدة اختطها المجمع ، أن
يرحب بالعضو الجديد ، أكثر الزملاء به
صلة ، وأقربهم له مودة وانى لسعيد أن
أكون ذلك الرجل وأن يكون الحديث عن
الأخ القريب إلى القلب أشبه بالحديث عن
النفس ، كلاهما يرغب عن الإطناب فيه ويستحى
من الإفازة ، فاعجز العجز وصف الرجل نفسه .
لقد سمعت باسم حزين منذ أربعين عاما

ونيف ، وكنت آنذاك شابا ، أتلقى العلم فى
كلية الآداب بالجامعة المصرية ، على يد
أساتذة أعلام ، طيب الله ثراهم ، وأجزل
فى الآخرة مثوبتهم . وقد توسموا فى شيئا من
الخير فحذبوا على ، وشملوني برعايتهم ،
وكثيرا ما كانوا يشجعوننى بقولهم نريدك أن
تكون صنو حزين فيتشغفى أن أعرف
من يكون حزين ، هذا الذى يفخر به
أساتذته ، ويودون أن يكون القدوة التى
يحتذيها من يحبون من الطلاب ؟ فأعلم أنه
طالب نابغة سبقتنى فى التخرج بعشر سنوات
وكان فى سننى دراسته مثالا للطالب الجاد
الدؤوب ، الذى يرجى منه الخير ، ولهذا
فقد بعثت به الجامعة إلى الخارج لينستكمل
دراسته ويعود عضواً فى هيئة التدريس .
ويزيدنى مسأسمعه من ثناء متعدد
المصادر ، شوقا إلى معرفة هذا المغترب فى
طلاب العلم .

واستكبر الأخبار قبل لقائه

فلما التقينا صغير الخير الخبير

أى والله ، فقد تضاعل الخير بجانب
الخير ، إذ لم يمض وقت طويل ، حتى عاد

حزين من بعثته ظافراً بأرقى الدرجات العلمية ،
وعين مدرسا في كلية الآداب التي تخرج
فيها ، وعهد إليه بالتدريس في صف كنت
قد تخطيته ، ولكن توفى إلى معرفته يدفعني
إلى أن انفلت من صفى لأحضر بعضا
من درس فلم أكد أستمع إليه لأول مرة ،
حتى امتلأ قلبي إعجاباً به . وإكباراً له ،
فقد عاد من الغرب وما قضو لسانه ، بل
وجدت فيه عالماً طلق اللسان ، يتدفق تدفق
الآذى ، بحديث لا تشوبه عجمة ، ولا يشوهه
لحن ، فتأكد باليقين ما كنت أسمعه من
خبر ومر بخاطري قول الشاعر :

إذا نحن أثينا عليك بصالح
فأنت الذي نشئ ، وفوق الذي نشئ

وبدأت معرفتي بحزين تتوطد منذ ذلك
الحين ، أحضر من درسه ما ساعدني الوقت
على حضوره ، ولا تفوتني رحلة ينظمها
للطلاب دون أن أشترك فيها ، فأجد منه في
قاعة الدرس المعلم الملهم ، وأجد منه في
خارجها الأخ المرح الذي يحنو على إخوته
الصغار ولا ييخل عليهم بتشجيع ، ولا أنسى
رحلة صحبته فيها إلى السودان ، وكان
على رأسها ، ، فتعلمت منه كيف تساس
الجماعة ، وكيف تكون نظرة الجغرافي إلى
ما تقع عليه عينه من أشياء . وإن أنسى فما
أنسى احتفائه بي يوم حصلت على درجتي
الجامعية الأولى ، إذ دعاني إلى بيته ، وأهداني

مجموعة من الكتب الثمينة أحتفظ بها معترأ
وفخوراً .

كان من الطبيعي بعدئذ أن أتجه إليه ليشرف
على رسالتي للماجستير ، خاصة وأنها
تتناول الإقليم الذي ينتمي إليه ، فرحب بي
أجمل ترحيب ، ولكن لم تلبث الرياح أن
أتت بما لا تشتهي السفن ، إذ ترك حزين
الجامعة إلى حين ، لينشئ في لندن معهداً
ثقافياً ، وهكذا فاتتني الفرصة التي تمنيتها
ولكنه عاد إلى الوطن وقد تقدمت للامتحان ،
فكان ثالث ثلاثة اختارتهم الجامعة لفحص
رسالتي ومناقشتي فيها ، فلم يكن رفيقاً بي كما
كنت أتوقع بل كان أشد الثلاثة قسوة على حتى
لقد ضاق صدرى به وبجدله ، وأعترف أن
كان بي وقتها شيء من غرور الشباب فخرجت
من الامتحان وقد ملأني الغضب واشتد بي
السخط ، ولكن الأيام علمتني فيما بعد أنها
كانت قسوة العالم الذي يريد من تلميذه
أن ينشد الكمال ، وألا يقنع بالدون ، وأن
يتجنب الغرور ، فهو آفة العلم ، وأس كل
بلاء .

وتتوطد بيننا أواصر مودة تنمو مع
مع الأيام ، فأعرف عن كتب جوانب من
شخصيته الحيرة وما أنعم الله به عليه من
مواهب كثيرة ، جعلته بين النابهين من رجال
الأمة ، وألم بطرف من سيرته العطرة التي

زكاها المنشأ الطيب ، وشكلها العزم الصارم
في الدرس والتحصيل .

ولد الأستاذ الحليل على ضفاف النيل
في مدينة وادي حلفا في السنة السابعة بعد
التسمائه وألف ، حيث كان والده رحمه الله يعمل
في حقل التعليم ، ولم يلبث الأب أن عاد
إلى قريته في إقليم البحيرة ، مسقط رأسه
ومقر عشيرته ، وعاد معه الصبي ليشدن في
ريف مصر الوديع بقرية الوفائية التي كانت
تعرف « باليهودية » آنذاك ، ويلتحق بكتاب
القرية فيحفظ على يد الشيخ عبد الله شبيحة ما ييسر
الله له أن يحفظ من القرآن الكريم ، ويتعلم
قواعد العربية ، ويلم بطرف من علم الحساب
ورحم الله أيام هذه الكتابيب التي تنكر لها
الزمان فقد كانت تنشيء تلاميذها على أسس
من الخلق والدين ، وكان شيوخها رجالا
على جانب من التقوى والصلاح ، يرون
في عملهم ضربا من العبادة يقربهم إلى الله
زلفى ، وهم قانعون بما يسر الله لهم من عيش ،
لا يسعون إلى ترقية ولا يتطامنون إلى منصب .

وكانت الأسرة تقدر لفتاها ، وقد
لمست فيه النجابة ، أن يكون من علماء
الأزهر الشريف في يوم من الأيام ، ولكن
الفتى يدخل امتحان الشهادة الابتدائية
فيظفر بها متفوقاً ، ويتحول اتجاه طريقه
فإذا به طالب بمدرسة طنطا الثانوية التي
أحمل لها أبنا نفسى . أغلى ذكريات الصبي
والشباب ، وفيها يلتقي بأساتذة في اللغة علماء ،

منهم الشيخ محمد هاشم عطية ، والشيخ أحمد
خاطر فيزداد شغفا بلغة القرآن ، ويقبل
على أدبها ، شعراً ونثراً ، فيحفظ منه الكثير
ويحاول في تلك السن الباكرة أن يكون
شاعراً ، ولكن والده ينصحه بأن يحتفظ بشعره
لنفسه ، فلا يرهق به الناس ، إذ وجده يقع في
الأسماع لا كما تقع أبيات الشعر ، بل يسقط
سقوط البيوت على الرؤوس هكذا قال الوالد
وهكذا ابتعد الفتى عن الشعر ومابه من علل .

وإنا لاندري أكان من فضل الله على
الفتى ، أم من فضله على الشعر أن قال أحدهما
لآخر : هذا فراق بينى وبينك .

ولكن الفتى ، وإن كان قد هجر الشعر
موزونا مقفى ، فقد اتجه بعد أن أنهى دراسته
الثانوية إلى ميدان يسع الشعر كله ، وهو ميدان
الجغرافية ، وما أنا في هذا من المتعصبين
فليس الشعر إلا جغرافية الحاجات والمشاعر ،
ينسج الشاعر خيوطها ، ثم يضيئ عليها من
روحه ، فإذا بها صورة تخلب العقول ،
وتدعى الأساطير أنها من وحي الشياطين ،
وبما هذه الشياطين إلا الحس الجغرافى الأصيل .
فليست الجغرافية سوى التأمل في الطبيعة
حية وجامدة ، والغوص في أعماق أعماقها ،
ومحاولة الكشف عن أسرارها . والطبيعة تخلق
كل يوم جديداً ، وتخرج من القلب ألف
مثال ومثال . وما الكلام ، وما الصبور ،
وما الإنعام إلا أنفاس الطبيعة ، يحس الفنان
بسبجزها الظاهر فإذا بها صورة يخططها

بالألوان ، أو قصيدة يكتبها بالكلمات
أو موسيقى يشنف بها الآذان. ويحس الجغرافى
بسحرها الباطن فيحاول أن يكشف عن كنهه :
وإذا قنع الفنان بما يبدو على وجه الحياة من منظر
أو ما يظهر فى النفوس من مشاعر ، فإن
الجغرافى لا يكتفى بما يبدو بل يحاول
أن يعرف ما استتر وراءها فكذلك الجغرافيون
كلهم فنانون وشعراء ، فى كل واد يهيمون
ولكن لا يتبعهم الغاؤون . ولا يقولون
مالا يفعلون ..

ويحصل الفتى على شهادة البكالوريا فى
سنة خمس وعشرين وتسعمائة وألف وكانت
مصر قد شرعت بعد حصولها على الاستقلال
فى إقامة علاقات دبلوماسية مع الدول .
ويتطلع الفتى الطموح إلى العمل بالسلك
السياسى ، والطريق إليه فى تلك الأيام كلية
الحقوق ، ويرحب بذلك أهله ، ولكنه
لا يلبث أن يعدل إلى وجهة أخرى هى
كلية الآداب التى فتحت باب القبول لأول
دفعة من الطلاب ، فيعزفون عنها فستقبل
خريجها مجهول ، ولكن سليمان يكون ثانى
اثنين يغامران بالدخول ، فقد تحركت فيه
روح الشاعر القديم التى تتطلع دائماً إلى ما وراء
الأفق ، ويتبعه فى تردد فئة من اللدات
تغل عن الثلاثين .

وينبغ سليمان فى قسم الجغرافية ،
ويضيف إلى دراسته دراسة أخرى فى
قسم الاجتماع . . . فإن وجد فسحة من الوقت

فقسم اللغة العربية هواه ، وتذنباً بينه وبين
عميد الأدب العربى مودة ويصبح من مريديه .

ويتخرج سليمان من الجامعة فى سنة تسع
وعشرين وتسعمائة وألف ، فيختار فى
بعثة إلى إنجلترا للحصول على درجتي الماجستير
والدكتوراه ، فلا يقنع بالدرس فى الجامعة
التي قيد فيها بل يسعى للقاء العلماء فى
غيرها من الجامعات . وتقدره جامعة
مانشستر فتوفده فى بعثة علمية لزيارة
اليمن ليعود من سبأ بنبأ يقين . ويحصل
سليمان على درجة الدكتوراه ويكون ثانى
مصرى يحصل عليها فى حقل الجغرافية ويحقق
ما عقدته عليه الجامعة من آمال .

ويعود صاحبنا إلى وطنه بعد غربة طالت ، ويعين
مدرساً فى كلية الآداب بالقاهرة ، فيكون كالعهد به
دائماً طرازاً فريداً فى الدرس والتدريس
حتى إذا ما أنشئت فى الاسكندرية جامعة
وقع عليه اختيار القائمين بالأمر فيها ليكون
من بُنائها ويشغل وظيفة أستاذ مساعد فأستاذ
لكرسى الجغرافية بها ، ولكن المناصب
العامة لا تلبث أن تنتزعه من مدرجات الدرس
وصحبة الطلاب ليعمل مديراً عاماً للثقافة
فى وزارة المعارف ، وتشهد إدارة الثقافة
على عهده نهضة شاملة وتنوطة علاقات
مصر الثقافية مع شتى أقطار الوطن العربى
والعالم ، بفضل ما عرف عن مدير الثقافة
العالم من رحابة فى الفكر ، وأصالة فى
الرأى ، وسلامة فى التصدد ، وحب للخير

يؤدي رسالة المركز العلمية كأحسن ما تؤدي
الرسالات .

ولم يكن المجال الوظيفي وحده هو الذي
استأثر بجهود الأستاذ الخليل ، بل امتد
نشاطه إلى العديد من الهيئات العلمية ، فهو
عضو المجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم
الاجتماعية ، ومقرر المجلس القومي للتعليم ،
 واجتمعت له رياسات عدة هيئات منها
المجمع العلمي المصري ، والاتحاد الجغرافي
العربي ، والجمعية الجغرافية المصرية ، وهو
في كل هذه الميادين شعلة نشاط ، حتى لتحسبته
في شرح الشباب لا يزال ، ولكنه يعالج الأمور
بحكمة الشيوخ .

السيد الرئيس ، السادة الزملاء .

هذا طرف يسير من سيرة الزميل الحديد
الذي أولاني المجمع شرف استقباله ، وإن
مجال الحديث عن علمه وفضله لذو سعة ،
ولكن لا أريد أن أشق عليكم فأطيل الحديث ،
وإني أهنئكم بانضمامه إلى زمركم وستجدون
منه ماتقر به الأعين .

أما أنت يا أستاذي الخليل ، ويا أخي
الأكبر ، فخذ مكانك الذي أنت به جدير
بين سدنة الفصحى وحماة ، ولك تهنئة من
القلب خالصة .

والله يوفقك وإيانا إلى الخير والصلاح .

والسلام عليكم ورحمة الله ما

محمد محمود الصياد

عضو المجمع

ويكون من حظ التعليم الجامعي أن يعود
سليمان حزين إلى ميدانه مرة أخرى ،
وما كانت صلته به قد انقطعت قط ، فقد
ظل وهو بعيد عنه يلتف من حوله تلاميذه
ومريدوه ، فيغدق عليهم من علمه ،
ويمنحهم من الإرشاد والتوجيه ما ينير لهم
الطريق . ويعين حزين رئيسا لجامعة أسيوط
وكان قد مضى على صدور المرسوم بانشائها
سنوات ، ولكنها بقيت مجرد لافتة على مبنى
صغير في أحد شوارع القاهرة ، حتى
هيا الله لها الرئيس الذي أيقظه العزم ، وفقهه
الحزم ، فقام في نحر الأمور ، على ساق
التشمير يبرمها بأيده ، ويغلها بحده ، وينفذها
بجده فإذا بالجامعة التي كادت تغشها الظلال
تتجلى عروضا بين الجامعات بمبانيها الواسعة ،
وهيئة تدريسها المتكاملة ، ونظامها الفريد .

ويترك حزين جامعة أسيوط وقد اشتد
عودها إلى ميدان آخر أرحب وأوسع ، إذ
يختار لتولى وزارة الثقافة فإذا هو فيها قطب
صواب تدور به الأمور ، فهو لا يضع رأيه
إلا موضع أصالة ، ولا يوجه تدبيره إلا
إلى موقع أصابه ، ويسوس الأمور :

بعزائم لو كن يوماً أسهما

لنفذن في الأيام غير نواب

ولا يكاد حزين يترك الوزارة ، حتى
تسعى إليه هيئة الأمم عرفانا بفضله وغزير
علمه فتسند إليه إدارة المركز الديموغرافي
لشمال إفريقيا فينض بالأمانة ، ولا يزال

• • كلمة الدكتور سليمان حزين

بسم الله ، الحمد لله نزل الكتاب ﷻ بلسان
عربي مبين .

أيها الأخ الكريم رئيس الجمع أو عميد
الجمعيين .

أيها الإخوة الكرام ، أيها السيدات
الفضليات .

سئل أستاذ قديم يوماً ما : أتحب أن ترى
أحداً من الناس خيراً منك وأسبق في عمله
وحظه من الدنيا ؟ قال : نعم ، ولكن أحب أن
يكون ذلك أحد اثنين : ولدي أو تلميذي .
وها أنا اليوم أسعد ما أكون إذ يسبقني ابني
وأخي وتلميذي إلى هذا الجمع الأستاذ
الدكتور محمد محمود الصياد ، وأن يسعى
إليكم ليقدمني في هذا الحفل الجليل ، لقد
سعدت اليوم السعادة كلها بتقدمي إليكم ،
وبأن يكون مقدمي هو أخي محمد الصياد ، الذي
كنت دائماً ولا أزال أفخر به وأباهي بين
الناس .

لقد تفضل مجيكم الكريم فأضني على
هذا الشرف واختارني لعضويته ، وأصارحكم
بأنني كنت دائماً أحس أن هذا الجمع هو
المنتدى الذي يتجه إليه كل من كان من حظه
أن يجمع بين العلم في مادته ، وبين اللغة في
تعبيره ، وأن يجد من التعبير السليم سبيله
لأن يصل بعلمه إلى الناس وصولاً صحيحاً ،

وأؤكد لكم أنني كنت ولا أزال أفاخر
بأنه قد سبقني إلى هذا الجمع العتيد أساتذة
كان لهم الفضل كل الفضل في تكويني :
أولهم لطفى السيد ، فقد تلقيت عنه العلم في
كلية الآداب أول ما كانت كلية الآداب ،
منذ نيف وخمسين عاماً في مجال الفلسفة ،
ومجال الفكر الإنساني في أصوله الرفيعة ،
ومنهم طه حسين ، فقد تعلمت عنه كيف
تكون دراسة أدب اللغة سبيلاً إلى إنعام
التأمل في مجال الفكر والثقافة ، وتعلمت منه
أكثر من ذلك كيف يكون الأسلوب
العلمي في تناول دراسة الأشياء دراسة
الأفكار والآراء ، وكيف تكون صناعة
بناء الرجال وتكوين الأجيال المترابطة من
المفكرين . ومنهم منصور فهمي ، وقد تعلمت
عنه دروس الفلسفة ، وتعلمت عنه تبسيط
العلم والمادة بعيداً عن التعقيد ، ومنهم أحمد
أمين ، وقد تعلمت عنه دراسة اللغة وتاريخها
كلغة ، واستكملت معه مابدأت مع طه حسين
في هذا المجال ، ومنهم محمد عوض محمد ،
وقد تعلمت عنه أشياء كثيرة ، لم تكن كلها
في مجال الجغرافيا . تعلمت عنه الخلد في العمل
والحساب عليه . ، كان أستاذاً متعمقاً في
مادته ، صارماً في حسابه لتلاميذه ، ولم أكن

حين عاملت تلميذى محمد الصياد على المنوال الذى تحدث عنه حين قدمنى إليكم ، لم أكن إلا سائراً على نمط أستاذى وأستاذه محمد عوض محمد .

ومنهم آخرون لم يدخلوا هذا المجمع ، أو دخلوه ولكننى لم أسعد بلقاءهم فيه ، منهم شفيق غربال ، كان مفكراً جمع بين العلم والفكر ، وكان من رأيه أن الجغرافيا تتكامل مع التاريخ فى تجلية مقومات حضارة الإنسان ، ومنهم أشخاص كثيرون موجودون بيننا الآن ، لكننى لأحب أن أخرجهم بالحديث عما يربطنى بهم من ود وفكر وأدب ، ولكن شخصاً واحداً منهم غاب عنا الآن .

وكان من قدرى أن أكون فى مقعده ، ذلك هو الأستاذ الجليل المغفور له زكى المهندس وقد جرى العرف بينكم حين يتحدث العضو اللاحق عن العضو السابق ، أن يتحدث حديث الترجمة ، ولكننى أحس أن زكى المهندس قد ترجم له فى المجمع حين قدم إليه ؛ ولذلك فإنى أستاذن فى أن يكون حديثى فى شأن سلى العظيم حديثاً شخصياً من جهة ثم حديثاً متصلاً بجانب واحد من العمل هو جانب اللغة ، من جهة أخرى .

أما الحديث الشخصى فهو من أعماق قلبي ، وأرجو أن أكون فيه صادقاً مع سلى الراحل . كما أنا صادق مع نفسى .

كان أول أسباب المعرفة بيننا فى يوم من أيام الخريف فى كلية الآداب منذ نيف وأربعين عاماً ، بعد أن عدت من الخارج وأخذت سبيلى إلى قاعة الدرس ، وكان صاحبكم طليعة ، إن صح هذا التعبير ، يريد أن يعرف كل شئ عمن فى الفرقة من التلاميذ .

فهو يعرفهم أولاً بنفسه منذ أيام الشيخ عبد ربه فى الكتاب الذى تحدث عنه أخى الصياد حتى اليوم الذى دخل فيه الجامعة دارساً ثم مدرساً . وكان يحب أن يعرف أقصى ما يمكن أن يعرف عن تلاميذه ، اسم الطالب ، والد الطالب ، ماذا يقصد إليه الطالب من الحجيء إلى هذا المكان ؟ ما هدفه ؟ لماذا اختار كلية الآداب ؟ ما رأيه فى مادة الجغرافيا التى اشتهر عنها أنها مادة

جافة عسيرة ؟ ماذا يريد الطالب أن يفعل بعد أن يتخرج ؟ كل هذه الأسئلة كانت تستغرق درساً أو درسين أو أكثر من بداية العام ، ولكن صاحبكم كان يرى أن من واجب أستاذ الجامعة وحقه أن يعرف أقصى ما يمكن معرفته عن تلاميذه وسألت الطلاب واحداً واحداً ، حتى جاء دور فتاة صغيرة ، سألتها عن اسمها فقالت : صفية ، بنت من ؟ قالت : زكى المهندس قلت لها أنا أعرف شيئاً عن والدك . وهو مهندس بمعنى أو بآخر ، مهندس فى اللغة العربية ، ولكننى لم ألبث أن قلت لها : بلغنى والدك أنك ، منذ اليوم ، شركة فى التكوين بينه وبينى ، عليه الصرامة

فى الحرص على تقويم لسانك العربى ، وأنا على الجغرافيا ، وقلت لها أكثر من ذلك : عندما يجىء الحساب والامتحان آخر العام سيكون حسابك مزدوجاً ، عن الجغرافيا وعن اللغة العربية معاً . وإننى لأشهد أن والدها قد أوفى بوعده أو بما استوعد عليه ، فسعى إلى أن يستقيم لسان ابنته حتى أنه عندما جاء امتحان آخر العام فإن صفة حققت نجاحها فى الجغرافيا بفضل سلامة أسلوبها العربى فى كتابة الإجابة . ثم دارت الأيام والتقيت بالمهندس مرة أخرى ، فى شخص ولد من أولاده حينما عهد إلى بشئون وزارة الثقافة ، فحاولت أن أتعرف على العاملين فيها من أهل الثقافة والأدب والفن . وكان من بينهم شاب فنان هو فؤاد المهندس . وجاءنى فؤاد ، دخل على فذكرت له ما كان من شأن لى فى كلية الآداب مع ابنتنا صفة ، منذ فترة مضى عليها إذ ذاك قرابة ثلاثين عاماً .

[ولسكنى قلت] له [لماذا عبأ إن يد الوزير أقصر من يد الأستاذ ، حتى فى الحساب على اللغة العربية . فضحك] وواعد وعداً لست أدري إلى أى حد أوفى به ، لأن عمر الوزارة كان أقصر من أن يتيح الوقت لحساب موعود أو متوعد . ولقد انتهت هذه القصة إلى والده رحمه الله ، فجاءنى إلى الوزارة مهنتاً ومقدراً لامتداد الصلة بيننا إلى اثنين من أولاده . ودار

الحديث ، فذكرت له إننى حرصت منذ اليوم الأول فى الوزارة على أن يكون مجمع اللغة العربية بين الهيئات ، بل وعلى رأس الهيئات التى تسعد وزارة الثقافة وتشرف بأن تكون فى خدمتها ، ولكنه أ . إلا أن يسأل لماذا ؟

قلت : لأننى عاصرت عمل المجمع ولمسته من قريب منذ كنت مديراً عاماً للثقافة بوزارة التربية والتعليم . وكان المجمع جزءاً من الوزارة إذ ذاك ، ثم إننى أشعر بحق وصدق أن عمل المجمع أكبر وأوسع نطاقاً من عمل وزارة التربية والتعليم ، كما أنه أكبر وأبعد شأناً من عمل وزارة التعليم العالى ، التى لم يكن لها فى رأى من عمل إلا أن تكون وسيطاً للتنسيق بين الجامعات ، وكان من رأى أيضاً أنه مما أساء إلى المجمع بين الناس ، وجعلهم يتندرون ببعض ما ينتهى إليه من مصطلحات هو أن المجمع نشأ وبقي فترة من الزمن معزول أو شبه معزول عن حياة الناس وثقافتهم العامة ، وأنه مما يقوى مكانة المجمع بين الناس أن يكون موقعه فى الوزارة التى تقوم على شئون الثقافة العامة . فليس المجمع من أجل تلاميذ المدارس وحدهم ، وليس من أجل أساتذة التعليم العالى ، بقدر ما هو من أجل الناس بعامه ، ومن أجل اللغة التى تحتوى ثقافة الجميع .

والوزارة التي ترعى ذلك إنما هي وزارة الثقافة ، ومن هنا وجب أن تكون وزارة الثقافة في خدمة مجمع اللغة العربية . وأنا لم أحاول أن أستأثر بالمجمع إذ ذاك دون وزير غيره ، وإنما حاولت أن أتيح الفرصة للمجمع في أن يستأثر بالمكان اللائق بين وزارات الخدمة في مصر ، ويبدو أن هذا الحديث أعجب أستاذي زكي المهندس ، ولكنه عاد فحذرني تحذير الصديق ، قال إن المجمعين لن يقنعوا بالحديث أو القول ، وإنما يقنعهم العمل وحده . وحتى إن اقتنعوا فلن تكون قناعتهم كاملة . والمخ في حديثه الذي أذكره الآن كما أذكر نفسي ، ألح إلى أن المجمعين قد يمنحون الثقة وقد يمنعونها ، وهم قليلا ما يمنحون وكثيراً ما يمنعون ، ثم قال ولكني لأود أن يكون الحديث حديث المنح والمنع ، لأنني لأريد أن أكون قاسياً على زملائي في غيبتهم ؛ وإنما الأمر قد يكون بالنسبة إلى كثير منا أمر حجب للثقة ، ولو إلى حين ، وكان كل ما رددت به في ذلك اليوم على أخي وأستاذي زكي المهندس أنني أسأل الله ألا يكون الأمر حجباً ، بل أن يكون الأمر إرجاء للثقة حتى يتيسر اليقين ! ويبدو أنني كنت صادقاً بيني وبين أخي ، فقد جاءت الأقدار فأكدت أن الثقة كانت مؤجلة ، ولكنه تأجيل كنت أعرفه وأترقبه حتى شاء الله أن أقعد اليوم بينكم في مقعد أخي وزميلي الراحل الكريم .

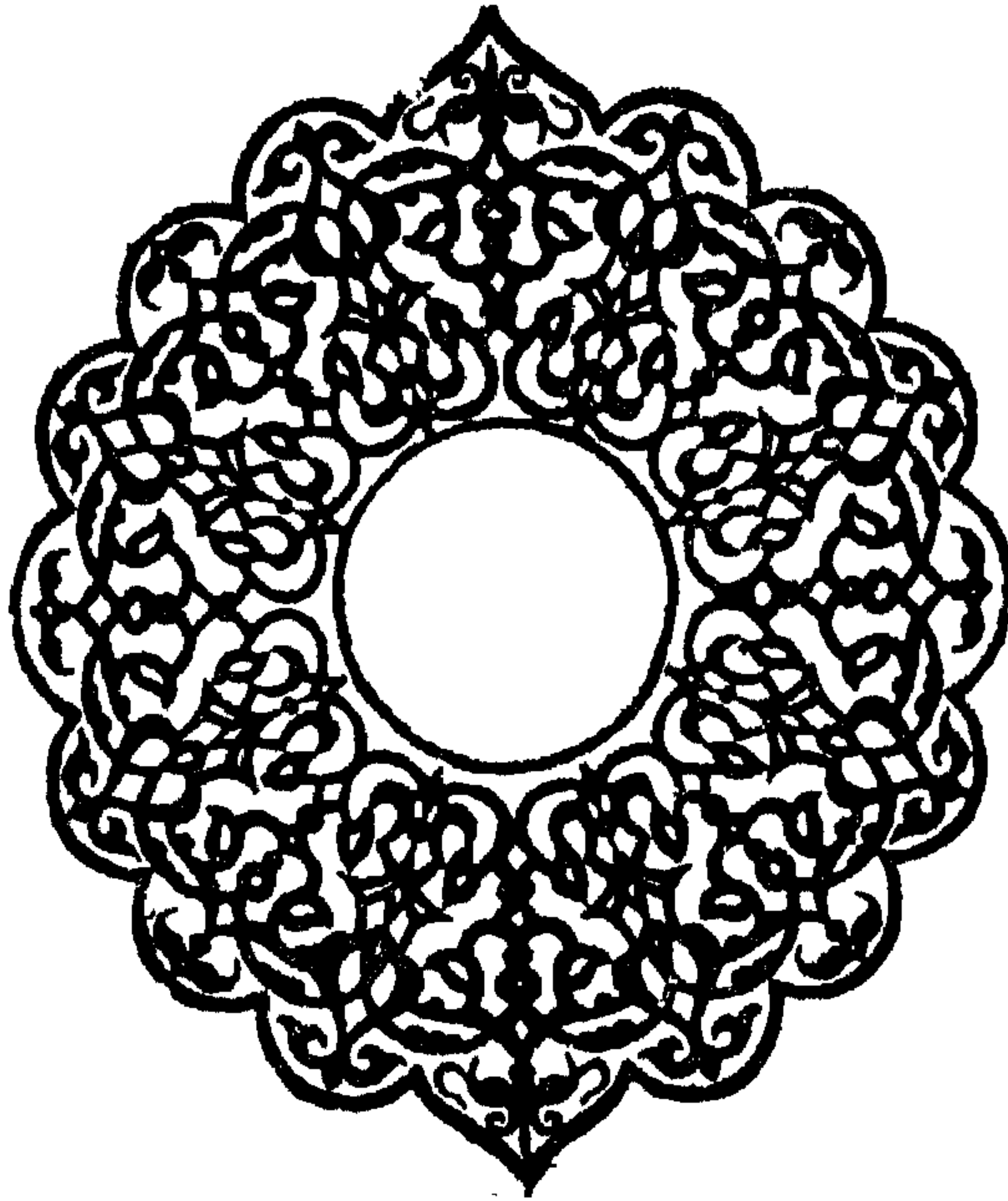
هذه سيرتي مع أخي المغفور له الذي أقف الآن بينكم في مكانه ، لكني لأحب أن أختم هذا الحديث قبل أن أضيف كلمة أخرى ، قد تكون لها بقية معكم في إحدى جلساتكم العلمية في يوم من الأيام . وهذه الكلمة خاصة بمعنى الخلود الذي يضيفه الناس على هذا المجمع وأعضائه ، والذي أحسب أن الأولى بنا أن نضيفه على اللغة العربية ذاتها وهو خلود لاصلة له بلدينا الرجال والأحياء ، وإن جاز للمجمعين أن يأنسوا إليه ، وأن يغتبطوا به ، في خلود ما يسمح به خلودهم الدنيوي الزائل . ولكن الخلود الذي يتصل بلغتنا العربية إنما هو في حقيقة الأمر خلود آخر ، بل هو الخلود بعينه . وقد دخل إليه أخي زكي المهندس يوم أن فارق هذه الدنيا ودخل إليه بحق وصدق ، لأنه كان واحداً ممن أتيح لهم هذا الخلود عن طريق اللغة ، لغتنا العربية ، تلك التي نستطيع اليوم أن نقرأ شعرها الذي كتب أو أنشئ منذ ستة عشر قرناً ، ونستطيع أن نتلوقه ، وهذا ضرب من الخلود النسبي ، لا تضارع لغتنا العربية فيه إلا اللغة المندرية ، وهي لغة أهل الصين . ومع ذلك فإن لغة الصين مصورة ، وليست في حقيقة الأمر لغة مكتوبة ذات أبجدية وإنما لها صور تعبيرية ، فهي لغة تسمع وترسم أكثر مما هي لغة تكتب وتقرأ حروفها كاللغة العربية . ولست أريد أن أستطرد كثيراً ، ولكننا إذا قارنا اللغة العربية بغيرها من اللغات الحديثة الحية ، فإننا نجد أنها لغة ذات عراقية وخلود متصل ، ففي اللغة الفرنسية مثلاً ، لو أننا أحضرنا كتاباً ألف بها منذ عشرة

قرون ، وأعطيناها لثقافة فرنسي ، فإنه لن يستطيع أن يفهم منه غير النذر اليسير . وفي اللغة الإنجليزية لا يستطيع إنجليزي اليوم أن يقرأ كتاباً ألف منذ خمسة قرون . أما اللغة العربية فإنها أقدم اللغات الحية المكتوبة بالحروف الأبجدية ، وأقدمها توارثاً وأبقاها تراثاً حياً خالداً على الزمن ، بل إن معنى الخلود فيها أعمق من ذلك ، فهو خلود مستمد من خلود كلمات الله سبحانه في القرآن الكريم ، الذي هو حافظه ومخلد إلى يوم يبعثون ، وستبقى هذه اللغة العربية لغة المؤمنين من الخالدين ومن ثم فإنها حرية بأن تضيف صورة من خلودها ذاك على من يفرغون لخدمتها والقيام عليها في هذه الحياة الدنيا .

على هذا النحو أريد أن أحيي ذكرى زكي المهندس في هذا المقام ، وأريد أن أطمئن نفسي إلى أن ذكرى هذا الشيخ الحليل ستبقى خالدة في العالمين ، وأن عمله في خدمة اللغة العربية والقيام عليها سيكون مدخله إلى دار الخلود .

أنتم كلتي عييا هذا الجمع العظيم في شخص عميده وعميدنا جميعاً ، وفي شخصكم جميعاً أحيي هذا الجمع الذي شاء الله أن تكون رسالته الخالدة باقية على الزمن ، والسلام عليكم .

سليمان حزين
عضو الجمع



في الساعة الحادية عشرة من صباح الأربعاء ٩ من صفر
سنة ١٣٩٨ هـ (١٨ من يناير سنة ١٩٧٨ م) أمام المجمع
حفلة تأبين عضوه الراحل المرحوم الأستاذ إبراهيم عبد المجيد
اللبان . وفيما يلي ما ألقى في الحفل من كلمات :

● كلمة الافتتاح للدكتور إبراهيم مدكور

رئيس المجمع

وبحثه، وكان ممن يحاولون ربط الأدب بالفلسفة
ولا تعنيه الجزئيات بقدر ما تعنيه القضايا الكبرى
وحرص الحرص كله على أن يغذي مؤتمراتنا
المتلاحقة ببحوث من تلك البحوث طويلة
النفس، يروى فيها ما استطاع ويرغب رغبة
صادقة في أن يؤدي هذا الواجب الكريم .

وحين حالت صحته دون أن يقوم بواجبه
على النحو الذي يرجوه ، لم يتردد في
أن يفلسف حياته، فسكننا نراه في قوة ونشاط
فإذا ما أحس بكلل وملل اعتكف وعاد
إلينا بنشاط جديد .

وهكذا دواليك إلى أن أحان حينه ، ففارق
الدنيا في غير جلبة ولا ضوضاء ، رحمه الله
رحمة واسعة، ونجزاه عما قدمه لأمته ووطنه
خير الجزاء .

وسيقول كلمة المجمع فيه زميلنا الأستاذ
عبد السلام هارون، ويليه الأستاذ عبد الشافي
اللبان يلقي كلمة الأسرة .

بسم الله الرحمن الرحيم

سيداتي سادتي نودع اليوم ، وما أقسى
أن نودع . والوداع بين الخالدين كثير
الوجود . والناس للموت تسير ، والسابق
السابق فيه الكرام .

نودع اليوم شيخاً من شيوخ المجمع وهو
المرحوم إبراهيم اللبان، وصلتى به قديمة
العهد ، فقد عرفت من قبله والده المرحوم
الأستاذ الحليل عبد المجيد اللبان وما أشبه الابن
بأبيه وكما قالوا قديماً : الولد سر أبيه .

والحق أنني لم أر الأستاذ إبراهيم اللبان
إلا وذكرني بوالده الكريم ، ذكرني بلغته الباسمة
واستقباله الأخاذ ، ورأيه الصريح وكلمته
القاطعة .

وقد عشنا هنا مع إبراهيم اللبان سبعة عشر
سنة ، تعاوننا بنفس هادئة آمنة مطمئنة ، لا يتكلم
إلا حيث يرى للكلام دلالة ومعنى ، ولا يقف
عند جزئيات وصغائر الأمور ، استجئنا بدرس

ابراهيم عبيد المجيد اللبان

في تابين المرحوم الأستاذ :

ولعل أعظم أمنية تحققت له في حياته ،
بعد عضويته لمجمعنا هذا هي عضويته لمجمع
البحوث الإسلامية ، حيث استطاع أن
يسهم ببحوث صادقة في خدمة الإسلام
والمسلمين ، وفي الدعوة الإسلامية ، تتجلى
في القضايا التي عالجها ببيان وإفصاح ، وألقيت
في مؤتمرات ذلك المجمع .

ففي المؤتمر الأول نجد له بحثاً عنوانه « حق
الفقراء في أموال الأغنياء » .

وفي المؤتمر الثاني : « مكان المرأة في
الإسلام » :

وفي الثالث : « القرآن في التربية الإسلامية » .

وفي الرابع : « القرآن والمجتمع » .

وفي الخامس : « المستشرقون » .

وفي السادس : « إيمان الشباب : صيانتهم
ووسائل دعمه ، يقول فيه « وإجمال القول
أنه لابد أن تكون مدرسة الجمعة مقراً لبعث
روح الخير وحب الخدمة في نفوس طلابها ،
وساحة فسيحة للتدريب على ممارسة الخدمات
الاجتماعية بكل ضروبها ، على أن يكون ذلك

أنعى فتي الجود إلى الجود

ما مثل من أنعى بموجود

نعم كان جواداً بحبه للناس ، سنيا بوده
لزملائه ، تسرى منه روح المودة إلى خلانته
وإخوانه ، فيجمعهم على الخير أشمل ما يكون
المجمع ، وأفسح ما يكون الوفاق والائتلاف .
كان باذلاً لوفائه وبره لمن عرفه ، مهما
يقصر زمان المعرفة .

والجود بالود والحب والوفاء ، دون
تعلة ، لأنه ود وحب ووفاء ، درجة لا يسمو
إليها من الناس إلا على النفس ، فارح الروح .

ما أيسر الجود بالمال لمن يملكه ، وما
أصعب السماح بالحب الصادق لمن طويت
نفسه على دغل أو أثرة ، أو اشتمل قلبه
على سوء وضيعن مقيم .

كان فقيدنا الكريم محباً للناس ، عطوفاً
ألوفاً ، وكان محباً لربه غالياً في طاعته ،
لارغبة في ثوابه ولا خوفاً من عقابه ، وكأنه
كان صنواً لمن قال فيه عمر بن الخطاب :
« لو لم يخف الله لم يعصه » .

استجابة لروح الإسلام وطاعة لأوامره وتوجيهه .

كما أن بحثه في تجديد طرق العرض والنشر الإسلامي في تحقيق التراث ، بحث دقيق مؤسس على نظرة عميقة في التأليف الإسلامي وتطويره ، وعلى تصوير لا يقوى عليه إلا من وضحت أمامه الرؤية ، في المكتبة العربية بهامة ، ومؤلفها المسلم بخاصة ، وحمل معه ميزان العلوم التربوية يقيس به الصواب والخطأ في منهج التأليف على مدى العصور الإسلامية منذ أن بزغ نور الإسلام .

وليس هذا بالأمر الهين على من يتصدى لهذا اللون من التاريخ .

ولا أطيل القول في بحوثه التي شارك بها في مجمع البحوث الإسلامية ، فقد كان له في كل مؤتمر يعقد ، بحث جليل يطالع به العلماء ، منذ نشأة هذا المجمع ، إلى أن تغمد الله الفقيد برحمته .

ولا غرو في ذلك ، فقد كان الفقيد من أسرة عريقة في الدين وخدمته ، وكان والده المغفور له الشيخ عبد المجيد اللبان من كبار علماء الأزهر ورجالاته ، ومن لهم المواقف المشهودة ، والخدمات الجليلة ، وكان من ذوى الفضل الظاهر والقدر النبيل ، أنجب رجالا سواسية لا ترى لأحدهم فضلا على أخيه .

وكما كان الفقيد محبا لربه كان عاشقا للغة كتابه ، وجاهد ما أمكن له الجهاد ، أن يقوم بخدمة اللغة في مجال الكتابة والتعليم والدعوة . . . فقد كانت له مشاركة فعالة وحكومة عالية ، بين جنبات هذا المجمع في قضايا اللغة وعلوم العربية ، دون كلل منه أو سامة ، فلا يكاد مؤتمر من مؤتمرات مجمعنا هذا يخلو من بحث له مستفيض في نظرة أدبية ، أو أخرى نقدية ، أو ثالثة جمالية . ويمكن أن نسرد بعض ما عالج من قضايا العربية فنقرأ له بحثا عنوانه : « الطريقة الحديثة لعرض الأدب » يدعو فيه إلى دراسة الأدب القديم ، في ضوء النظرات العلمية الحديثة ، وإلى ضرورة التمهيد لكل نص ، ببيان الجو الذي تولد فيه النص ، والظروف التي واکبها وعاصرها .

وبحثا ثانياً عنوانه : « نظرة نقدية في مبادئ البلاغة » قدم فيه درساً نقدياً لأصول البلاغة عند الأقدمين ، ومدى انطباقها على أصولها عند المحدثين . فأعطى للأقدمين حقهم وافيأ لم ينقص ، واحتراما كاملا لم يبتز . . . ثم دعا إلى كثير من نماذج الإصلاح ، وطرائق التصوير .

وثالثا عنوانه : « إحياء تراثنا الأدبي » ، وقد نهض فيه ، ببيان قدر التراث الأدبي في الماضي وما آل إليه في الحاضر ، ودعا إلى بعث كنوز الأدب العربي ، التي تحتوى عليها أمثال أغاني أبي الفرج ، والعقد الفريد ، وكامل المبرد ، وغيرها من كتب الأدب

الأصيلة ، التي كاد النسيان يجرر ذبوله فيها ،
تعفية لها وقضاء عليها .

وبحثاً رابعاً ، يحمل عنوان ، «الوحدة
الفنية في الشعر العربي» حمل فيه حملة
شعواء ، على كثير من الشعر العربي الذي
لاوحدة فيه وأثار بحثه هذا نقاشاً ممتعاً اشترك
فيه كثير من أعضاء المؤتمر ، ولقي إعجاباً
واهتماماً .

ثم نظهر على بحث له خامس ، وسادس ،
يتلوه سابع إلى أن نبلغ العشرين عدداً ، كلها
محاولات طريفة لخدمة الأدب العربي ،
والبلاغة العربية . وكلها دلائل على انفساح
آفاق المعرفة لديه ، والشغف بالمشاركة في
معظم قنوات الدراسات العربية والإسلامية .

وأعتقد أتم الاعتقاد أن الفقيد رحمه الله
لم تسنح له الفرصة الكافية لنشر ما كان يعده
من مؤلفات متعددة النواحي . وحينما رجوت
الأخ الكريم الأستاذ الدكتور محسن اللبان ،
نجل الفقيد أن يرسل إلى ماغسي أن يكون
لديه من مخطوطات ، أبدى عذره مشفوعاً
بقوله لا يمكنني «إرساله لكم لضخامة حجمه ،
فهو يربو على آلاف الصفحات ، موجود
لدينا بالقاهرة والإسكندرية وهو نحو ٢٠٠
إلى ٣٠٠ كراسة ، دراسات في الأخلاق
وفلسفة الدين ، وتاريخ الأزهر المجيد ،
والمثالية في الأدب والحياة ، وعديد من شتى
المواضيع » .

وهكذا لم أستطع أن أعطى الصورة كاملة
عن نشاطه التأليني ، الذي لو أتيح له الظهور
لبدا في عشرات الكتب والتصانيف .

وليس يفوتني أن أنوه هنا ، بمؤلفاته
التي ظفرت بها الطباعة العربية ، وخرجت
إلى النور وهي :

١ - الفلسفة والمجتمع الإسلامي .

٢ - طرق تجديد المجتمع .

٣ - العدل الاجتماعي تحت ضوء الدين
والفلسفة .

٤ - مشكلات الفلسفة .

٥ - منهاج المسلم في الحياة .

٦ - الحياة الإنسانية : أهدافها ونظمها
العام .

٧ - المستشرقون والإسلام .

أما المخطوطات التي لم تتح لها فرصة الطباعة
فهي :

١ - أصول النقد الأدبي .

٢ - فلسفة الفنون الجميلة .

٣ - نظرة الوجود المادية والمثالية .

٤ - فلسفة الأخلاق ونظام المجتمع .

ولم يكن الفقيد غائباً عن الرأي العام في
الصحف ، وكثيراً ما قرأنا له الرأي الصائب
والتوجيه السديد .

وكان آخر ما نشر له ، وذلك بعد
أسبوع من وفاته ، كلمة كان قد أرسلها
إلى صحيفة الأخبار عنوانها «لا مكان للإلحاد

في بلادنا» دعا فيها إلى مكافحة المذاهب الهدامة التي ترمي إلى القضاء على الأسس الدينية والأخلاقية في بلادنا العربية متمثلة في الانحرافات السياسية والاجتماعية المستوردة ، فلقد أكرمه الله ، بأن يستمر في استعلان جهاده وكفاحه ، في سبيل الدين وإعلاء كلمته وهو دفين تحت الثرى .

ولعل أصدق ما نشر في الصحف في بيان فضل الفقيه ما كتبه صاحب نحو النور في صحيفة الأخبار وهو قوله : «..وقد اعتاد المرحوم الأستاذ اللبان أن يشهد في السنوات الأخيرة السنوات التي يعقدها الأستاذ أحمد عطية الله في المعادى ، يجد فيها متنفساً لآرائه وتطلعاته في الثقافة والتعليم ، ويثرى الحاضرين بعلمه وأدبه وخلقه ، ولا بد أنهم ، كما لا بد أن تلاميذه وزملاءه سيشعرون بالفراغ الكبير الذي خلفه رحيله . وقد فقدت فيه اللغة العربية حاميا من حماها ، ومدافعا من المدافعين عنها في يقين ثابت وإيمان صارم بأن اللغة إحدى المقومات الأساسية لوجود الأمة » .

ويقول فيه أيضا : «وهو واحد من الرعيل الأول من أبناء دار العلوم الذين استطاعوا أن يزاوجوا بين الثقافة العربية الخالصة والثقافة الأوروبية — دون أن تطغى إحداها على الأخرى ، فتحجب ما فيها من أسباب تزيد العقل ثراء والفكر انفساحا . ولعل تلاميذه قد درجوا على نهجه فأثروا اللغة العربية وفتحوا

أمامها المجال للتقدم والتطور ، دون أن تفقد أصالتها ، أو يضيع أريجها وشذاها .

في بلدة سنديون التابعة لمركز فوة من إقليم الغربية في الماضي ، وإقليم كفر الشيخ في الحاضر ، كان مولد الفقيه في الثاني من يونيو سنة ١٨٩٥ وفيها كانت طفولته ومرباه ، حتى استقر والده الجليل في مدينة الاسكندرية فالتحق بالمعهد الديني الابتدائي ، ثم بالمعهد الثانوي . وكان من المتوقع أن يتم دراسته في رحاب الأزهر الشريف ، ولكنه ارتأى أن يتمها في دار العلوم ، حيث قضى سنتي دراسته العالية فيها ، وتخرج سنة ١٩١٨ وعين في فبراير من السنة التالية مدرسا بمدرسة الجمالية واستمر في سلك التدريس بالمدارس الابتدائية ثم الثانوية .

وحين بعث نظام البعثات الدراسية بعد ركوده عدة سنوات خرج الفقيه في بعثة إلى جامعة لندن سنة ١٩٣٠ ونال درجة الشرف منها سنة ١٩٣٥ ، كما حصل على دبلوم التربية لمدرسي المدارس الثانوية سنة ١٩٣٦ ، ثم ظفر بدرجة الأستاذية من جامعة لندن سنة ١٩٣٨

وما إن عاد من بعثته حتى ضمته دار العلوم إليها مدرسا لعلم النفس ، ثم انتقل إلى معهد التربية العالي للمعلمات أستاذا لعلم النفس أيضا ، واختارته وزارة المعارف بعد ذلك مفتشاً عاماً للفلسفة ، ثم عين أستاذا لعلم النفس بكلية

الآداب بجامعة الإسكندرية ، وعاد بعد ذلك إلى مكانه بكلية دار العلوم أستاذاً للفلسفة الإسلامية بها .

وفي سنة ١٩٥٣ عين عميداً للكلية ، فقام بخدمة إخوانه وتلاميذه خير قيام ، في جو من المحبة وحسن الزمالة ، وطيب العشرة حتى بلغ سن التقاعد في سنة ١٩٥٥ .

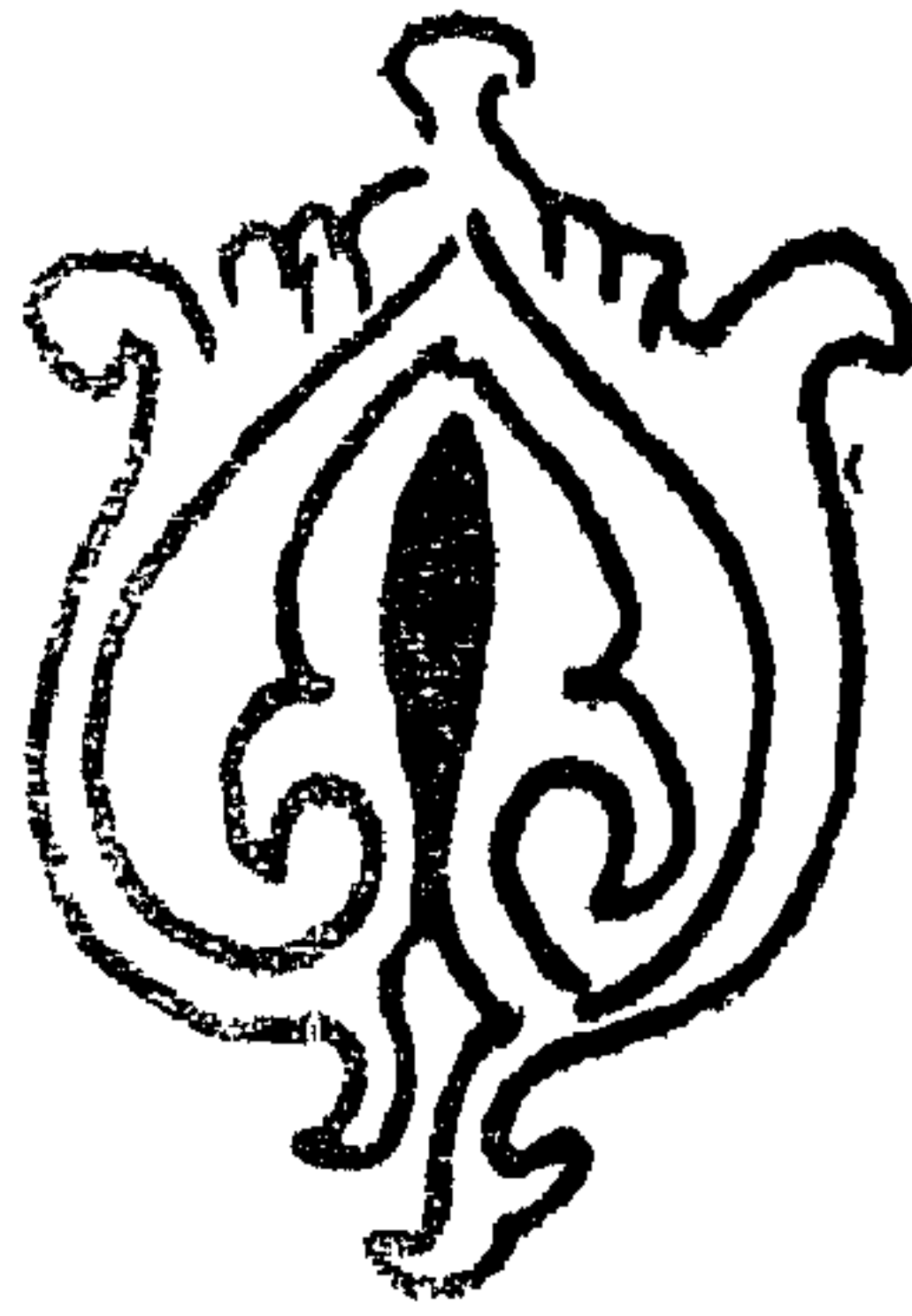
ولكنه لم يقعد عن العمل ، ولم يفتر نشاطه في خدمة العلم ، فقد انتدب لتدريس الفلسفة وعلم النفس ، وعلم الاجتماع ، وطرق التدريس في معاهد وكليات مختلفة ، منها كلية الآداب بجامعة الإسكندرية ، وكلية الآداب بجامعة القاهرة ، والمعهد العالي للتربية المنزلية ، ومدرسة الخدمة الاجتماعية بكل من القاهرة والإسكندرية .

ثم يمتد نشاطه إلى البلاد العربية فيكون أستاذاً للتربية بجامعة ليبيا . ويختاره المجمع العلمي العراقي عضواً فيه سنة ١٩٦٩ :

وبمثل هذا وذاك جاد الفقيه بعلمه وفضله ، حتى اختاره الله إلى جواره ، فرجع إلى ربه راضياً مرضياً في رحاب الله وكريم رضوانه . . . لنفقد بوفاته أنحاً كريماً ، عز فقده على إخوانه ، وغادر فراخاً في لون من الناس قل أن يجود بمثله الزمان .

غفر الله له وأرضاه . . : وأكرم منزله ومثواه .

عبد السلام محمد هارون
عضو المجمع



كلمة الشعر

●● للدكتور ابراهيم ادهم الدمرداش

لا يعرف المرء ما يخفى له القدر
سيف المنية مسلول وقاطعه
كل له ساعة لا ريب آتية
إن مد في العمر لا يدري مُعَمَّرنا
ليست لنا حيلة في الرزق ناجعة
من يزرع الحب لا يعلم أبحصده
لا يعلم الغيب دون الله من أحد
لكن ربك أعطى المرء موهبة
ينسى الممات فيمشي في مناكها
لو كان في غيبة الأجرام ترضية
هل من سبيل إلى خلد بلا أمد
أم الحمام فناء ليس يعقبه
إن قيل إن حمادا لا فناء له
لله مرجعها بالعدل موضعها
إن الأجنة بالأرحام غافلة
أرواحنا مثلها بالجسم قابضة
كل يعيش مع الاجداد مرحلة
حتى يجيء إلى الدنيا لمرحلة
من بعدها نشأة أخرى لمن صامحوا
يا رحمة الله صفحا إن أولنا
إن الشهادة بالتوحيد مغفرة
أستودع الله خلا عالما ورعا

لو كان يعرف ماذا ينفع الحذر
يهوى علينا فلا يبقى ولا يذر
فيها منية ليست لها نذر
هل حل موعده أو سوف ينتظر
أو عندنا من شفيح حين نحتفر
أم يدرك الزرع أو بالزراع الضرر
لا يدعى الغيب إلا كاذب أشر
بالعقل يدرك ما يخفى ويستتر
فإن تذكر حل اليأس والكدر
للموت ما بزغت شمس ولا قمر
أو أن سهم الردى لا بد ينتصر
بعث فبشرى لمن في هذه يذر
هل يقبل العقل أن الروح تندثر
إما التعسيم وإما النار تستعر
حتى إذا خرجت تسعى وتنتثر
حتى إذا فك هذى الأسر تنتثر
ليست له حيلة فيها ولا أثر
أخرى يعمر حيناً ثم يستتر
جنات عدن ونيران لمن كفروا
ضعف وآخرنا والدمع منهمر
والشرك بالله ذنب ليس يغتفر
لم يبق لي منه إلا ذكره العطر

نبجل الأفاضل في علم وفي أدب
 عف اللسان رقيق الحس مرهف
 إن البراءة تبدو في ملامحه
 دين وعلم وأخلاق وتجربة
 بالحق يقوى ويقوى الحق في فهمه
 دار العلوم بكت حقا عمادته
 من عاش للدين والفصحى فهجرته
 بين الصحابة بالفردوس مقعده
 في شرعة الله لا يعفو لهم أثـر
 من مثله في صفاء القلب يغتبر
 كالبحر تحفظ في أصدافه الدرر
 لا يقبل الضيم يعفو حين يقتدر
 لا يعدم الرأي حين الرأي يفتقر
 والمجتمعان تعالما له ذكروا
 لله حين يحل الوعد والقدر
 والصالحون وأهل العلم تنتظر

الدكتور إبراهيم أدهم الدمرداش
 عضو المجمع



كلمة الأسرة

●● السيد السفير محمد عبد الشافي اللبان شقيق الفقيد

بسم الله الرحمن الرحيم

سیدی الأستاذ الكبير رئيس المجمع الموقر :

أساتذتي العلماء الأجلاء أعضاء المجمع :

سيداتى وسادتى :

نيابة عن أسرة المرحوم الشيخ عبد المجيد اللبان ، يقف ابن من أبنائه ، شاء له قدره أن يرى أشقائه جميعاً يرحلون عن هذه الدنيا ، واحداً بعد واحد . يقف بين أيديكم هذا الموقف الحزين ، ليشكر لكم ما تفضلتم به من كريم المواساة ، وجميل العزاء ، ويذكر بالعرفان العميق ما أبداه الأخوان الكرماء :

الدكتور إبراهيم بيومي مذكور

والأستاذ عبد السلام هارون

نحو شقيقه المرحوم الأستاذ إبراهيم اللبان . . من تقدير وإعزاز ، وزمالة وأخوة صادقة كريمة . . كنت أسمع منه الكثير عنهما . . وعن داركم هذه . . صومعة العلم والأدب الرفيع التي كان وهو بينكم فيها . . يجد نفسه على حقيقتها . . تلك النفس الإنسانية الصافية التي عرفتموه عليها . . والتي أرجو أن تسمحوا لي بأن أرجع إلى

بعض ذكرياتي تبياناً لخاصتين بارزتين من خصائصها :

الأولى ، أنه كان رحمه الله منذ فجر شبابه مربياً . . كانت سمة العلم ، وعبقريته المربي أول ما لوحظ عليه ، وسمعت عنه ، منذ نعومة أظفاري . . أيام أن كانت أسرتنا تقيم بالإسكندرية وكان والدي من شيوخ المعهد الديني بها

أذكر وقد كنا في السنوات الأولى من دراستنا الابتدائية ، أن أخى إبراهيم كان يحرص كل الحرص على اصطحابنا ، نحن إخوته الصغار ، وأترابنا من الأهل والأقارب ، إلى حديقة الحيوان بتلك المدينة (حديقة النزهة) كان المرحوم حينئذ حديث التخرج في دار العلوم أو في سنواتها الأخيرة ، شاباً سمهرياً في جبته وقفطانه . . وهب نفسه للتدريس والتعليم ، وسلك فيهما منهجاً يهدف إلى تربية الجسم والعقل ، ويجمع بين المتعة والفائدة . . تلك المتعة التي كانت تغمرنا ونحن من حوله صبية صغار ، نلهو ونلعب على أرض الحديقة ، وهو معنا في زى الشيوخ ، لا يجد بأساً ولا حرجاً في إقامته بأسر إلحكم في مبارياتنا أو مشاركتنا ، كواحد منا ، بعض تلك المباريات .

أما الفائدة فقد كانت تتحقق في
جولاته معنا بأرجاء الحديقة ، ونحن نصغى
مشدودين إليه وهو يعلمنا على الطبيعة الكثير
من مناهج دراستنا . . في الجغرافيا وعالوم
الحيوان والنبات وغير ذلك مما يتصل بها . .
كان يقف بنا أمام أقفاص الحيوان والطيور .
يصف لنا مواطن سكانها وبيئتها ونخصائصها
وصفاتها . . وما يطرأ عليها من تغيرات في
الطباع والعادات والمزاج وهي سجيئة
مقيدة الحرية في محابسها . . ويذهب بنا
إلى المياه الحارية في قنوات الحديقة وجداولها
وما يتخللها من بحيرات صغيرة تتماوج
فوق سطحها أوراق نبات « ورد النيل »
وبرينا كيف أن كل واحدة من هذه الأوراق
الخضراء ، والمياه تحيط بها من كل جانب ،
تمثل الجزيرة ، وأنها وهي مجتمعة كما نشاهدها
تمثل الأرخبيل . . وهو مجموعة جزر
متقاربة : وهكذا يمضى بنا من هذا الواقع
الذى نراه أمام أعيننا . . يشرح لنا الممرات
والمضايق والخلجان المائية وغيرها من مظاهر
الطبيعة ومعالمها . . فيطبع في أذهاننا
الصغيرة ما سبق أن درسناه في المدرسة
ويضيف إليه الكثير مما يوسع مداركنا ،

وينمى فينا القدرة على التفكير ، ودقة الملاحظة ،
ويوقظ خيالنا فتصبح الحديقة أماناً وقد
أضفى عليها نوعاً جذاباً من الحياة . . أكثر
قرباً إلى نفوسنا يربط بيننا وبينها رباط من
الود والمحبة النابضة بالإنسانية . .

تلك الإنسانية التي تمثل الخاصة الثانية
التي كان يتميز بها فقيدنا العزيز ، وكان
فيها معطاء كريماً إلى أبعد حدود البذل
والعطاء . . ظل حياته كلها يعطى أكثر مما
تأخذ . . ظل على الدوام نبعاً صافياً يرتوى
منه كل من شاء . . كما يشاء . . وقد ترك
بعد وفاته الكثير من الآثار العلمية المخطوطة
لعل الجميع الموقر يتعاون معنا في تحقيقها
والعمل على نشرها بين الناس ، أن يستن
بذلك في تكريم الراحلين إلى الخلود من
أعضائه سنة حميدة نافعة ، فيها من
التقدير لآثارهم ما ترضى عنه نفوسهم
المطمئنة في جنة الله ورضوانه .

وفي النهاية ، سيداتي وصادقي ، إذا
كان خير الناس أنفعهم للناس ، فإنه لما
يعزينا جميعاً أن فقيدنا الكريم ، كان
في حياته وفي مماته ، من الأخيار الأبرار
الذين رضى الله عنهم ، ورضوا عنه
ولا حول ولا قوة إلا بالله .



في الساعة الحادية عشرة من صباح الأربعاء ٢٣ من ذي
القعدة سنة ١٣٩٨ هـ (٢٥ من أكتوبر سنة ١٩٧٨ م) أقام
المجمع حفل تأبين عضوه الراحل المرحوم الدكتور عثمان أمين .
وفيما يلي ما ألقى في الحفل من كلمات :

● كلمة الافتتاح للدكتور ابراهيم مذكور ●

رئيس المجمع

أنا وعثمان أمين

استطاع أثناء بعثته أن يحقق كتابا من أهم
كتب المعلم الثاني ، وهو كتاب « إحصاء
العلوم » لأبي نصر الفارابي ، وجاءت طبعته
الأولى وليدة هذه الجهود . وفي حرصه على
التجويد ألحق بها الطبعة الثانية والثالثة .

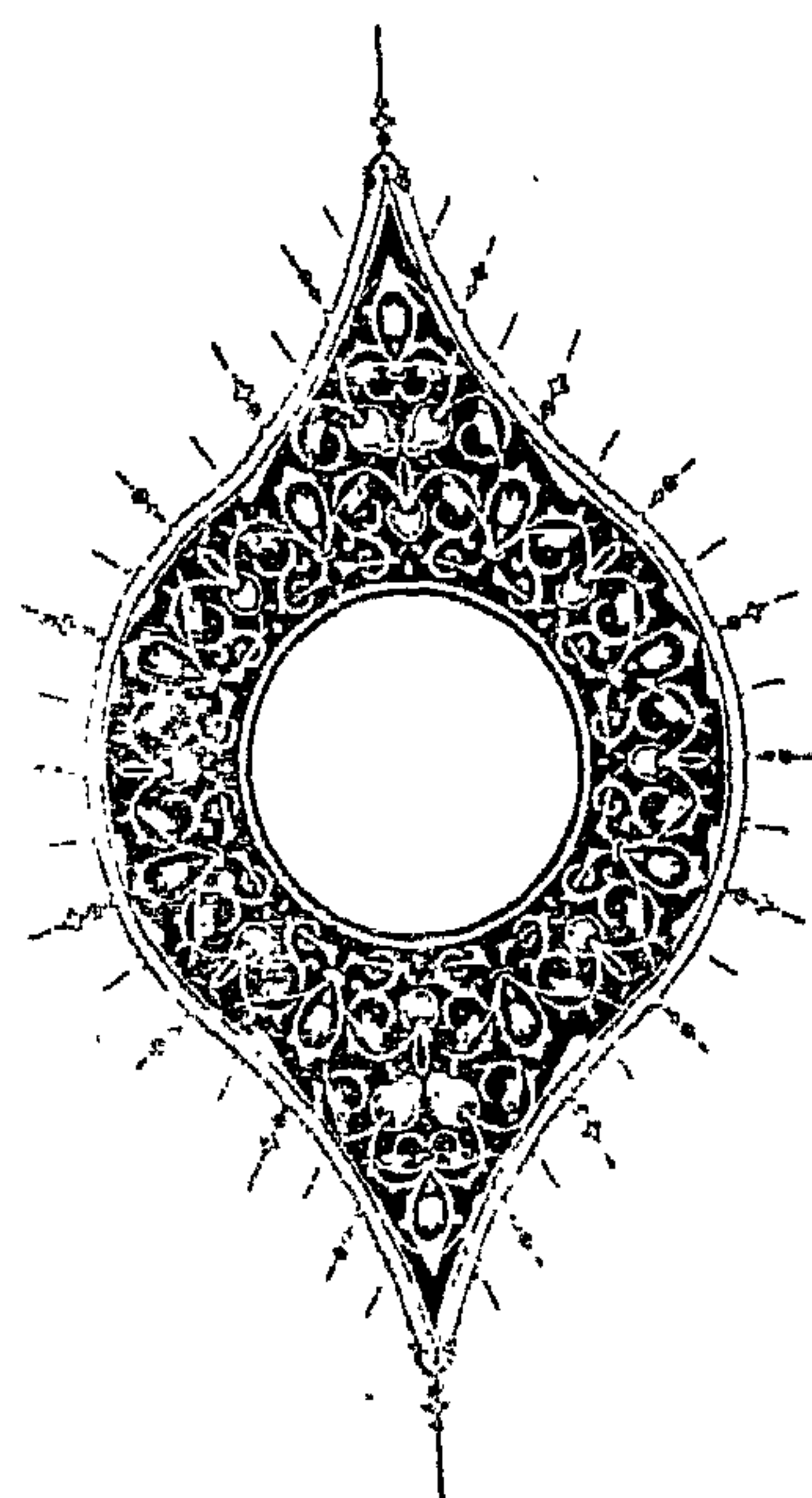
وزاملته في مصر منذ عودته من أوروبا ،
فالتقينا على مائدة التدريس في كلية الآداب
بجامعة القاهرة ، واشتركنا في لجنة الفلسفة
والعلوم الاجتماعية بمجمعنا هذا ، اشترك معنا
خبيراً ، ثم عضواً وزميلاً ، والمعجم الفلسفي
الذي يخرج المجمع الآن مدين له بقسط
كبير من تمحيصه وتحقيقه . واشتركنا أيضاً
في لجنة الفلسفة والعلوم الاجتماعية بالمجلس
الأعلى للآداب والفنون ، وجمعت بيننا ندوات
ومؤتمرات متلاحقة . ولا أذكر أننا اختلفنا
قط في الحكم والتقدير ، أو تباعدنا في التوجيه
ورسم السياسة . وقد رميت يوماً بممالأته
والتعصب له ، ويعلم الله أنني لم أرشح له لأمر ،
ولم أحتره لموقف إلا وهو به جد جدير .

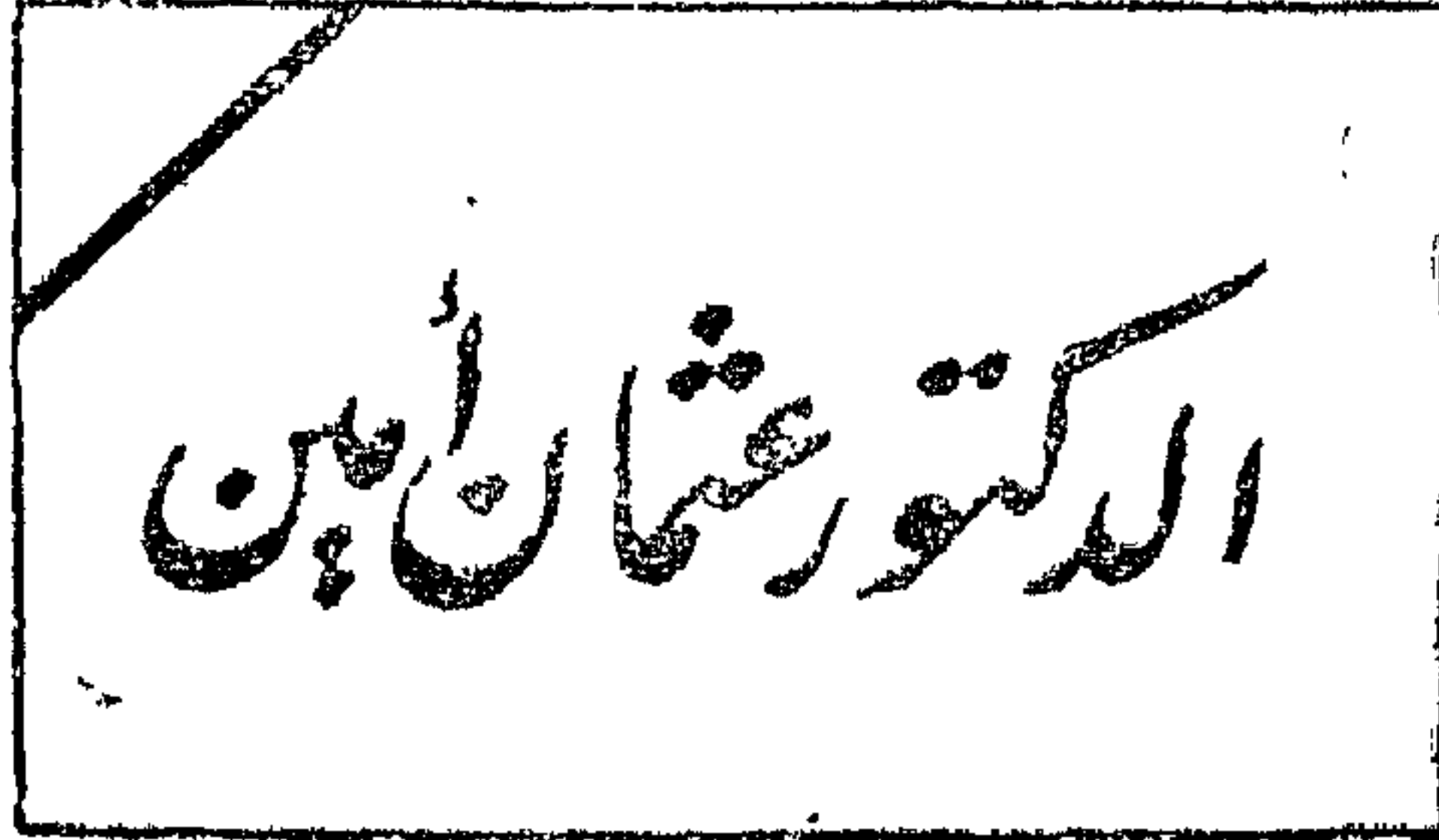
أيها السيدات والسادة :
يفقد المرء نفسه شيئاً فشيئاً حين يفقد
الإخوان الأعزاء والزملاء الأوفياء ، ولقد
كان عثمان أمين منى في مقدمة هؤلاء . عرفته
شاباً ، وصاحبته كهلاً وشيخاً . عرفته في
باريس بين الرعيل من مبعوثي كلية الآداب
بجامعة القاهرة ، وفي باريس مجال فسيح
للجد والتهور . وأشهد أن فقيدها رحمه الله
كان جاداً دائماً . أتاحت له موارد البحث
والدرس فهل منها ما وسعه ، قرأ في الأدب
والفن ، كما قرأ في العلم والفلسفة ، وتابع كبار
الأساتذة ، وتلمذ لشيوخهم ، وجود
لغته الفرنسية إلى جانب لغته الإنجليزية ، وضم
إليهما حظاً غير قليل من اليونانية واللاتينية
وتوفر له في مصر قبل سفره زاد كبير من
العربية أدباً وعلماً وفلسفة . ولم يصرفه
تعمقه في دراسة الفكر الغربي قديمه ومتوسطه
وحديثه ومعاصره ، عن أن يتابع النظر في
الفكر الإسلامي . ويكفي أن أشير إلى أنه

واليوم وقد رحل عنا وخلف ما خلف
من فراغ ، فإن الواقع يقتضينا أن نسجل أنه
يعد بحق من بناء الفكر الفلسفي المصري
المعاصر . كون رعيلا مرموقاً من الباحثين
والدارسين ، وزود المكتبة العربية بزاد وفير
سيتبقى على الدهر . ولم يفته أن يكتب ويؤلف
باللغتين الفرنسية والإنجليزية ، تغمده الله
برحمته ، وجزاه خير الجزاء عما قدم للغته
وثقافته .

وسيقول كلمة المجمع فيه الصديق المشترك
والزميل القديم الدكتور سليمان حزين .

وللأسرة بعد كلمة يلقيها أخو الفقيد
الأستاذ محمد عز الدين أمن .





في تأبين المرحوم الأستاذ

بسم الله الأول والآخر ، كانت الساعة ساعة الضياء ، وكان الفصل من السنة فصل الربيع وكان النهر الذي نقف على شاطئه نهر دجلة . وهذا النهر يفيض فيضانه في وقت الربيع حين تذوب الثلوج القادمة من جبال بلوخرستان ، وكانت القافلة قافلة طلاب كلية الآداب من الجامعة المصرية في عام ١٩٣٠ م ، كانت القافلة بسيارتها العتيقة التي أنهكها الزمن قد قطعت طريقاً عبر بادية الشام التي كانت في ذلك الوقت خالية من الطرق المعبدة ، سارت القافلة على درب قوافل الحمال ، حتى إذا ما وصلت شاطئ دجلة ألفينا هذا النهر العاني بمياهه الصاخبة ، ولم يكن في ذلك الوقت من جسر عبر هذا النهر ، وإنما كان العبور فوق جسر هو في أساسه قرب هواء منفوخة شد بعضها إلى بعض ، ونسجت من فوقها قطع الخشب مشدودة بعضها إلى بعض ، وأشفق قائد الرحلة على الطلاب من أن يعبروا فوقه بسياراتهم فأشار إلى أن نزل وعبرت السيارات خالية ثم بدأنا العبور على الأقدام ، وكان من بين هؤلاء

الطلاب طالب ربعة في طوله ، مشرب وجهه بحمرة تعلوها طيبة الحيا ، يلبس طربوشاً طويلاً كما كانت عادتنا في تلك الأيام ويمسك في يده عصا معقوفة اليد ، وكانت تلك العصا قد لازمته طوال الوقت . ذلك هو عثمان أمين وكان عثمان أمين منذ تلك الأيام يبهري الحمال الرائع على الشاطئ مأخوذاً بجماله ، ويرى في ذلك الشاطئ لونا من الحمال الذي تمسك به طوال حياته ، وفي تأمله ذاك زلت قدمه عندما بدأنا نعبّر جسر القرب المنفوخة وسقطت قدمه ووظننا أنه سقط ، ولكنه تمسك ونهض قائماً مرفوع القامة كما كان دائماً بشخصيته هذه التي يبهريها جمال الطبيعة ، قام وأبى إلا أن يستمر على الجسر مستنداً إلى عصاه ، وكان زميلاً لنا في كلية الآداب ، ولكننا كنا ننظر إليه على أنه طالب فاسفة ، وعلى أنه فيلسوف أيضاً ، نوع جديد بين من يدرسون الفلسفة ، وكان في كل تصرفاته منذ اليوم الأول في كلية الآداب فريداً ، وكنا نحاول دائماً أن نتلقى الفكر والأدب والعلم عن أساتدتنا في

كلية الآداب ، ولكنه اختلف عنا جميعاً ،
 في أنه أبى إلا أن يتلمذ على أساتذة قدامى
 سبقوا عصرنا بقرون كثيرة ، منهم أفلاطون
 الذي أخذ عنه قوله إن الفلسفة محبة الفكر
 والفلسفة حارسه لهذا الفكر ، حارسة للدنيا
 كلها ، وأخذ عنه أن الفلسفة جمال في الرأي .
 ومنذ ذلك الوقت أخذ عثمان أمين يعشق الجمال ،
 الجمال الحى والجمال المعنوى ، وانعكس ذلك
 كله على شخصيته التي أصبحت وبقيت إلى
 آخر أيامه شخصية جمالية بكل ما يحويه
 الجمال من معنى رقيق ، وكان إلى جوار
 ذلك مؤمناً إيماناً قوياً ، وكان يكرر دائماً
 أن الله سبحانه مالك الجمال المطلق ، وهو
 يعشق هذه الصفة من صفات الله تعالى ،
 وحاول أن يتأسى بها في كل تصرفاته .

وانتقل به الزمن والفكر من الفلاسفة
 القدامى إلى الفلاسفة العرب ، ومنهم الغزالي
 الذى رأى أن الحياة حواس ثلاث منبعها
 القلب فكان يرى أن الإنسان إنما يسمع ويبصر
 ويحس باللمس ، ويحس بالذوق ، ويحس
 بالشم كل ذلك عن طريق القلب ، وهكذا
 بقى عثمان أمين طوال حياته متأسياً بهذا
 القول الرائع من أقوال الغزالي ، فرأيناه
 فى كل حياته بيننا يسمع بقلبه ، ويرى بقلبه
 ويلمس الأشياء بشغاف قلبه ، وأكاد أقول
 إنه كان يشم رائحة الخير ورائحة الجمال
 فى الحياة بقلبه أيضاً ، من هنا انتقل إلى
 التأثير بأقوال كثيرين من أهل الكلام
 والمتحدثين والفلاسفة وأهل الفن والفكر

العربى كالفارابى وغيره متأثراً بهذا كله
 فى حياته حتى خرج منها آخر الأمر
 بفلسفته الجوانية ، كان دائماً يقول إن
 الحياة البرانية للإنسان إنما هى دائماً حياة شكل ،
 أما المضمون فى الإنسان فهو الجوانية ، ومن
 هنا رأيناه يهذب جمال حياته ، ويعلم
 نفسه ، ويثقف نفسه ، فلقد عنى بالغريزة فيه ،
 وعنى بالعقل والفكر ، وعنى بالنفس
 والضمير ، وعنى بالشخصية ، غريزته
 كانت مهذبة ، استطاع أن يهذبها وأن
 يغلبها فى كل شىء فعاش العيشة البسيطة ،
 لم تبهره الحياة أبداً ، وإنما بقى دائماً مثال
 الأستاذ المتواضع ، وأهل التربية يقولون
 إن تهذيب الغريزة يخرج حيواناً من حيوان
 كلنا حيواناً ، ولكن الذين يستطيعون
 تهذيب غرائزهم هم حيوان آخر ، وأهل
 التربية يقولون إن تهذيب العقل والفكر
 يخرج بشراً من حيوان ، وقد استطاع
 عثمان أمين أن يهذب فكره فى مجالات
 الجمال ، وقد استطاع بجهد الخالص أن
 يخرج بنفسه من الحيوانية إلى البشرية .
 وأهل التربية يقولون إن تربية الضمير
 تخرج الإنسان من بشر ، وقد استطاع
 عثمان أمين أن يحيا بضميره وأن يتحكم
 فى سلوكه دائماً ، ومن هنا فإنه كان واحداً
 من أولئك القلائل الذين انتقلوا بأنفسهم
 وبدواتهم من البشرية إلى الإنسانية . وأهل
 التربية يقولون إن تهذيب النفس يخرج

الإنسان الأرقى إنسانية من الإنسان وقد استطاع
عثمان أمين بهذيب نفسه، بل بما عرفناه
عنه منذ كان طالبا في كلية الآداب ،
استطاع أن يخرج في ذاته الإنسان الأرق
إنسانية من الإنسان .

هكذا كانت شخصية عثمان أمين وبقيت
حتى فارقنا إلى دار الخلود ، وقد امتد
فكر عثمان أمين في العقدين الآخرين
من حياته ، استطاع أن يبرز نظرية
الجوانية ، هذه النظرية التي خرجت
به من طور الحيوانية إلى البشرية ثم
إلى الإنسانية ، ثم من الإنسانية إلى
إنسانية أعلى هذه الجوانية هي التي جعلت
معالم شخصيته ، وأنا أذكر أننا عندما
اخترناه زميلاً لنا في المجمع العلمي
المصري ، وجاء يقدم نفسه في بحث
فلسفي ، حاول أن يتحدث إلينا عن هذه
الجوانية وبهرنا جميعا ، لقد سمعت
عثمان أمين أكثر من مرة ، وقرأت له
أكثر من مرة ، تحدث إليه أكثر
من مرة ، ولكني لم أسمع بمثله هذه الروعة
عندما تحدث إلينا في المجمع العلمي .

وامتازت حياة عثمان أمين بجانب ثان
هو جانب اللغة العربية ، كنا في الكلية
نختلف إلى بعض دروس الأدب ،
وكان جانب من الطلاب الذين تخصصوا
في الأدب العربي إلى جانب آخر تخصص
في الجغرافيا أو الاجتماع أو الفلسفة ،

ولكننا مع ذلك كنا نحاول أن نستمع إلى
دروس أستاذنا الدكتور طه حسين ، وكنا
ننتظر عثمان أمين وبعض زملائه في قسم اللغة
العربية ، لأننا مثلنا كمثل عابر السبيل في
قسم اللغة العربية ، وأظن أنني قرأت
لعثمان أمين عندما جاء إلى هذا المجمع
وقد قدم نفسه على أنه عابر السبيل في اللغة
العربية ، ولا أظن ذلك إلا أنه كان
من جانب التواضع من جانب عثمان أمين ،
لقد كان أصيلاً على طريق اللغة العربية لأنه
عنى بالجانب الجمالي في اللغة العربية ،
وتعمق فهم الجمال فيها .

فاللغة جانب منعكس من الإنسان ،
واللغة العربية بالذات أعرق اللغات الحية ،
من هنا فإننا إذا أردنا أن نلتمس أسباب
البقاء والخلود في اللغة العربية فإنما ينبغي
البحث عن أصولها الجمالية ، وكان عثمان
أمين سباقاً في هذا ، أتعب حياته منذ
اليوم الأول في كلية الآداب في البحث عن
جوانب الجمال وتلمس عثمان أمين طرق
البحث عن جوانب الجمال في اللغة العربية
من الطريق المباشر ، طريق الجمال في
اللغة ، واستطاع عثمان أمين أن يتجه هذا
الاتجاه الذي التزمه فقدناه .

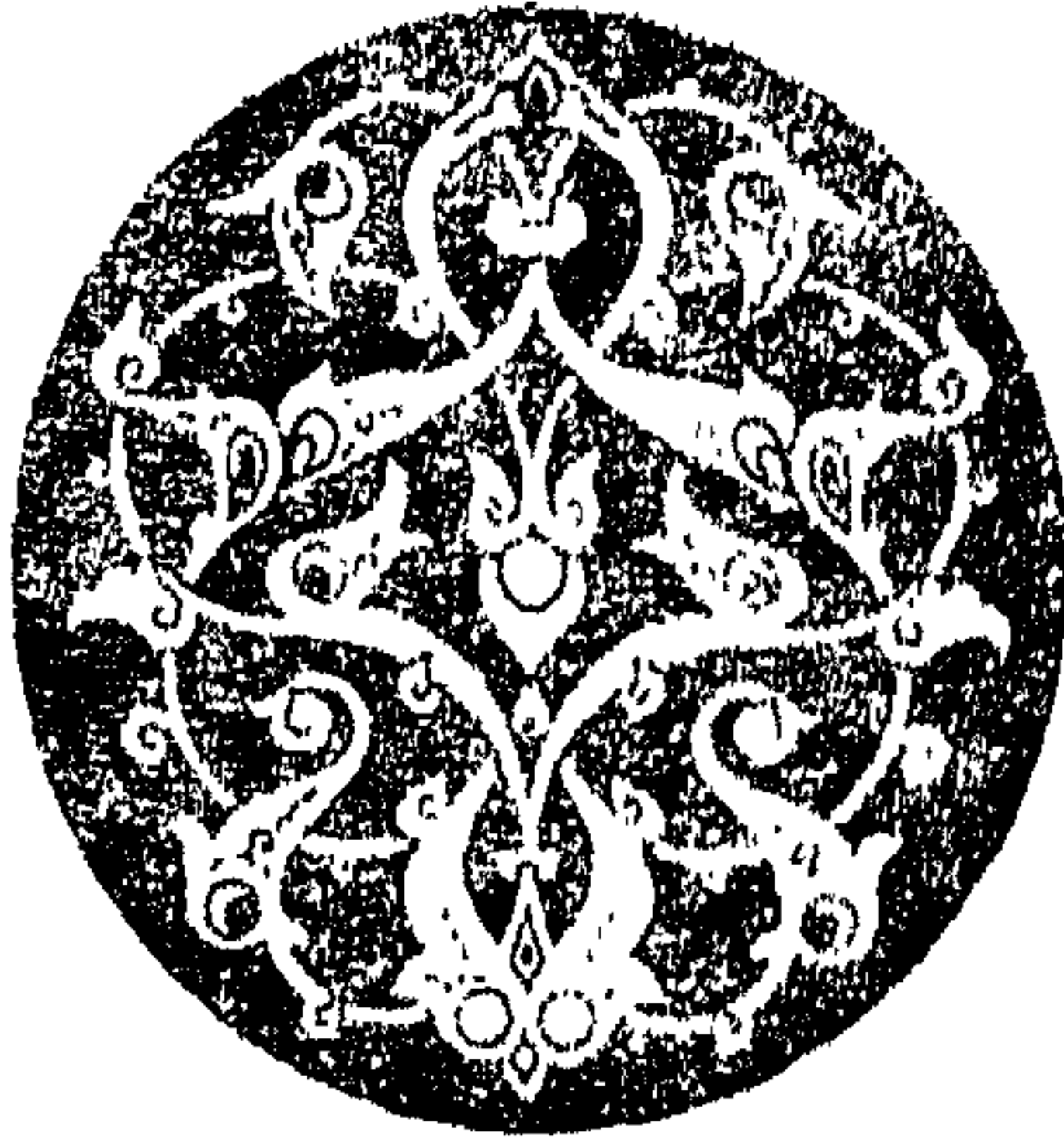
ذلكم كان عثمان أمين الأخ والصديق في تلك
الفئة الصغيرة قليلة العدد في كلية الآداب ،
تلك كانت مجموعة من الإخوة ، ومن
هنا فإننا نفقد جانباً من جوانب أنفسنا كما
قال الرئيس حين نفتقد واحداً من إخواننا .

كان عثمان أمين شخصية فذة ، ترك
طابعه الجمالى فى كلية الآداب ، وفى سلوك
أبناء كلية الآداب من أبناء ذلك الرعيل
الأول ، وقفة عثمان أمين تلك البعيدة على
شاطئ دجلة مبهوراً بالجمال ، جمال
الطبيعة الرائع ، الذى أدخل فى نفوس
زملائه جميعاً الإشفاق والحنف ، عثمان أمين
لم ير فى ذلك الموقف الذى بنطوى على
الخطر كله إلا جذب الجميع لينبهر به ،
وكادت قدمه أن تزل فى قاع اليم ، عثمان
أمين هو عثمان أمين الذى عرفناه فى

أواخر أيامه لا يرى فى الحياة إلا الجمال ،
ولا يرى فى الفلسفة إلا الحكمة ولا يرى
فى معاملة زملائه جميعاً - من أحسن إليه
ومن أساء إليه - إلا المحبة ، ذلكم كان
عثمان أمين الذى دخل الآن إلى دار الخلود
وما أرى إلا أنه قد يحمل معه منظر الجمال
الذى رأى الدنيا منه ، منظر الجمال الذى
سيرى به آخر الدارين حب فى حب
وجمال فى جمال .

سليمان حزين

عضو المجمع



كلمة الأسرة

للاستاذ محمد عز الدين أمين

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد رئيس المجمع

السيد نائب الرئيس

السيد الأمين العام

السادة الأعضاء

أيها السادة

يرد ثواب الآخرة نؤته منها ، وسنجزى
الشاكرين ، كل نفس ذائقة الموت ، وإنما
توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح
عن النار وأدخل الجنة فقد فاز ، وما
الحياة الدنيا إلا متاع الغرور .

أيها السادة أرجو أن تسمحوا لى فى
هذا الحفل أن أقدم إليكم شكراً وعزاءً ،
فإن كنا نحن أسرة الفقيد فى القراية والنسب
فأنتم أسرة الفقيد فى اللغة والعلم .

أسأل الله أن يتغمد الفقيد برحمته ،
وأن يجعله من الذين أنعم الله عليهم من
النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
وحسن أولئك رفيقا ، والسلام عليكم
ورحمة الله .

الحمد لله الذى لا يحمد على كل مصاب
سواه . والصلاة والسلام على رسول الله
سيد العالمين ، وما ينبغى أن تكون عليه
فى مثل هذه الحالة أن نقول إن العين
لتدمع ، وإن القلب ليحزن ، وإنا
لفراقك يا أخى لمحزونون ، ولسكننا
لأنقول إلا ما يراه ربى . اللهم ألهمنا الصبر
جميعاً ، وقضاء الله نافذ ، وما كان لنفس أن
تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً ، ومن
يرد ثواب الحياة الدنيا نؤته منها ، ومن

